كتاب

الدر الفريد

في

تفسير العهد الجديد

تأليف

العلامة مارديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي السرياني
مطران مدينة امد (ديار بكر)

الجزء الثاني

يحتوي

على تفسير بشارتي لوقا ويوحنا

عني بترجمته وتهذيب عباراته وطبعه على نفقته
الراهب عبد المسيح الدولياني السرياني الارثوذكسي

طبع بمصر سنة ١٩١٤ م

لأن لا سند لنا في الكتب المنزلة

﴿ ٥١ ﴾ وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء

كان القديس لوقا يعرف ان الناس تبحث عن مقام السيد المسيح بعد قيامته فأراد ارشادهم وقال انه صعد الى السماء . واعلم ان مخلصنا ولو انه في السماء الا انه موجود في كل مكان بما انه اله وبالتالي لا يحده شيء . وهل انشقت السماء عند صعوده اليها وولوجه فيها فقد اختلفت الأقوال وأثبت بعضهم وأنكر آخرون والصحيح انه ليس من لزوم الى انشقاقها فقد خرج من القبر من احشاء والدته ولم تفسد بتوليتها . ومشى على البحر ولم يغرقه . ودخل العلية والأبواب مقفلة . وأخرج منذ البدء ضلعاً من آدم ولم يفتح له جنبه . وأجرى المياه من الصخرة ولم يشقها . وكذلك تخرج الأثمار وأوراق الاشجار من الاشجار عينها ولا تشقها . أفلا يقدر له السجود وجسده ممجد غير قابل الموت ان يدخل السماوات بدون ان تنشق أمامه

﴿ ٥٢ ﴾ فسجدوا له ورجعوا الى أورشليم بفرح عظيم ﴿ ٥٣ ﴾ وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون الله ويباركونه . آمين

عاد الرسل كما أوصاهم معلمهم الى أورشليم فرحين مسرورين لأنهم أكدوا قيامته وحادثوه وقبلوا وعده بارسال الروح . وقد واظبوا على الذهاب الى الهيكل واظهروا تعظيمهم له وهم يعرفون ان النبوة والنعمة فارقتاه على شبه ما فعل داود ازاء شاول فقد كرمه وهو عارف ان منحة الملك قد انفصلت عنه . وروى أناس ان الرسل ظلوا في الهيكل ولم يتيمموا بأمكنة لا فائدة روحية منها ولم يكتفوا بزيارتها من مدة الى آخر كما يفعل النصارى الذين لا يحبون البيعة بل واصلوا الاقامة يسبحون الله ويعظمونه والسنتهم تلهج بذكر آلائه وبالثناء عليه لانه أرسل وحيده الى العالم وأعطى البشر الخلاص . وانهى الانجيلي كتابه بكلمة آمين اعلاماً ان الرسل مجدوا حقاً الاله العظيم في هيكله . اه .

تفسير بشارة يوحنا الانجيلي

المقدمة للمؤلف

وفيها سبعة فصول

الفصل الأول

في كلام المؤلف

أيها الأخ القارىء لا بدّ ان ما قلناه مختصراً وبعبارات موجزة قد وقع لديك موقع الاستحسان وبعد أن قطعنا الأنهر الثلاث أي بعد ان روينا ورتبنا تفاسير العلماء وشروحهم على الاناجيل الثلاثة السابقة بامنا بمعونه تعالى الى النهر الرابع الى انجيل يوحنا المتكلم بالالهيات . فان مياهه العذبة فاضت على الارض وجرت الى المسكونة كلها جمعاء . وأنت أيها الراغب في الروحيات المفرح قلبك بالاقوال الخلاصية صلّ لأجلي أنا الضعيف لأجني معك ثمار الكلام الالهي

الفصل الثاني

في منشأ يوحنا وحرفته ونوع معيشته

هو ابن زبدى وكان رجلاً صياداً فقيراً . تستدلّ على ذلك من انه كان يصطاد في بحيرة صغيرة وليس لهُ ولأخيه ولأبيه الاّ شبكة بالية يصلحونها عند كل حادث لعجزهم عن مشترى شبكة جديدة قوية . وبالتالى لم يرسله والده الى المدارس

ولا أدخله مدينة يقتبس فيها العلوم بل كل ما كان في وسعه انه علّمه صناعة صيد السمك الحقيرة . وكان من قرية تُدعى بيت صيدا موقعها في الجليل ولم يكن ليوحنا ادنى المام بالقراءة والكتابة ولم يخالط غير الصيّادين الذين مدار حديثهم في طبخ الحيتان ومرقة السمك ولكن بعد حلول الروح القدس عليه وعلى رفاقه أخذ ينطق بالأقوال السامية التي لا يصل اليها أقوى العقول البشرية

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في ما امتاز به يوحنا في الشريعة الجديدة ﴾

سُمّي يوحنا في الشريعة الجديدة ابن الرعد لانه كان كالرعد في السماء يبلّغ أقوال الربّ المسكونة كلها . وأيضاً ابن الاحساس لأنه أحس ادراكه بتجسد الربّ فقال : الكلمة صار جسداً وحلّ فينا . وكما دُعي في العهد العتيق ابرام ابراهيم وسراي سارا ويعقوب اسرائيل وفي العهد الجديد شاول بولس وسمعان صفا كذلك دُعي يوحنا ابن الرعد حتى اذا تذكر تبديل اسمه يتذكر معاً نعمة سيده وهبات عونه . فبحق وصواب اتكأ على صدر مخلصنا في العشاء السري ورضع الباب العلوم الالهية . ثم ان الروح في العليّة وهبه الحكمة كما وهب رفاقه الرسل فتكلم على اسمى الامور الالهية وذكر لنا ان في البدء كان الكلمة وان الايمان بالسيد المسيح هو الحياة الخالدة وما أشبه مما يأتي في مواطنه

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ في الشروط الواجبة للاستفادة من كلامه وفي موته ﴾

نشر يوحنا البشارة في افسس فسمعها الملائكة والبشر لأن القديس بولس يقول : فقد عرف حكمة الله الرؤساء والسلاطين . فمن ثمّ ان كان الملائكة والناس قد اصغوا لكرازة يوحنا فمن شروط مَن يرغب في سماع كلامه ان يكون بعيداً عن جلبة الاشياء العالمية ويأتي الى الاجتماعات البيعية بروح التواضع والايمان قاصداً ان

يتلقى تعليماً مماثلاً حياة ثم عليه ان يحفظ في قلبه ويضع في عمله ما يبشر به ليكون من ورثة الملكوت . وذهب بعض قليلي الادراك الى ان يوحنا الانجيلي لم يمت بل هو حي كاخنوخ وايليا وما دروا مامعنى الكتاب القائل : « ولم يقل يسوع انه لا يموت بل ان شئت أن يثبت الى ان أجيء فماذا لك . » وكان الواجب عليهم أن يستنتجوا ان الذين بشروا بالقيامة لابدّ ان يموتوا ليقوى من يسمعونهم ويتلمذون لهم على التصديق . وأيضاً لا بدّ أن يكونوا معتقدين ان حياة أخرى في العالم الآتي محفوظة لهم وبسببها يرذلون الآن هذه الحياة الحاضرة . ثم نقول لهدم رأي المذكورين ان القديس يوحنا الذهبي الفم أثبت في تفسير الأناجيل ان يوحنا الانجيلي مات وان جسده في افسس اما نفسه ففي الفردوس مع نفوس سائر القديسين . وستتحد بجسده عند القيامة وترتفع الى مافوق الرقيع . وعلى هذا الاعتقاد كيرلّس وساويرس واثناسيوس واوسابيوس الذي ذكر بصراحة في تاريخه الكنسي ان يوحنا مات . ومن أقوال اثناسيوس في عظته الثالثة والأربعين : ان قبور القديسين والشهداء باقية حتى يومنا وقد رأيناها ومنها قبر بطرس وبولس في رومية وقبر يوحنا في افسس

﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ في انجيل يوحنا وما الداعي الى كتابته ﴾

بقي الرسل بعد صعود ربنا الى السماء في أورشليم وفي المدن التي حولها . وكانوا ينادون بالكلمة حتى الزمن الذي تتلمذ فيه بولس واذ ذاك أعدّ بطرس العدّة للسفر الى رومية بسبب سيمون الساحر . فمضى أيضاً يوحنا الى مدينة افسس حيث اجترح المعجزات العديدة . وحدث في هذه الاثناء ان متى ومرقس ولوقا كتبوا أناجيلهم وانتشرت . فأقبل على مطالعتها الناس على اختلاف طبقاتهم فكان الأمر داعياً اهل افسس الى ان يطلبوا بالحاح من يوحنا ان يكتب لهم سيرة السيد المسيح لانه كان معه منذ البدء . وبعد ان اطلع عليه السلام على ما حرره من قبله . رأى الكتابة آية في الضبط لكنه لاحظ انها لا تحوي الكلام الوافي عن لاهوت المسيح ومولده الأزلي

ولا عن بدء تعليمه حتى الزمن الذي طُرح فيه يوحنا في السجن . فأثنى على رغبة أهل افسس الطالبين منه أن يكمل ما تقصه الانجيليون وأجاب طلبهم وكانت كتابته باللغة اليونانية . ودأبه ان يذكر بعض أخبار رواها الانجيليون قبله . فانما وقع له ذلك لما توخاه من الغاية وتأييدها بما يلزم لافادة الناس . ولما قصده من تنسيق الحوادث بالتتابع على نهج واضح جليّ . وذهب آخرون الى ان الرسل انفسهم توسلوا اليه راجين ان يكتب انجيلاً حتى يتمكنوا فيما بعد ان يؤيدوا أقوالهم بآياته . واسندوا مذهبهم الى كلام اوسابيوس المؤرخ القائل : بعد ان كتب الثلاثة أناجيلهم طلب الرسل من يوحنا ان يكتب لهم انجيلاً أيضاً . ثم أخبروه بما وقع لبولس وباعتدائه لكنه لم يلبّ الطلب حالاً فأتاه بطرس وبولس والحّا عليه حتى رضي وأتمّ العمل .

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ في موضوع انجيل يوحنا ﴾

تكلم يوحنا في بدء كتابه عن لاهوت السيد المسيح ولم يحذُ حذوَ مَن تقدّمه من ذكر اعمال الرب بالجسد . وقصده السني ان ينفي كون المسيح انساناً ساذجاً فيهدم تجديف بولس السميساطي.وأقواله عن السيد المسيح نوعان شريفة ووضيعة فمن الأول قوله في البدء كان الكلمة . وان من رآه رأى الآب وما أشبه . ومن الثاني قوله ان الآب أعطاه ان تكون له الحياة في ذاته وانه أرسله وهو أعظم منه وانه انسان يقول الحق وسأل أعداءه لماذا يطلبون قتله . ورُوي عنه هذا الحادث الغريب وهو انه بينما كان يكتب نزل المطر فأمر الغمام بالتبدد والتلاشي فأطاعه وانقطع المطر .

﴿ الفصل السابع ﴾

﴿ في انتقاله من هذه الحياة ﴾

لحقه الاضطهاد فنُفي بأمر دومبطيانوس الى جزيرة بطمس ثم عاد الى افسس

بعد موت هذا الطاغية ومات فيها بسلام الرب بعد حياة ثلاث
وسبعين سنة وقد ضمّن انجيله خمسة أمثال ومن الشهادات
خمس عشرة . وتأويل اسمه الشفقة والحنان

الاصحاح الأول

في تجسد الكلمة

﴿ ١ ﴾ في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله

البدء نوعان أزلي وزمني ففي كلام موسى يؤخذ بالمعنى الزمني وأيضاً بالمعنى الزمني فسر الآيات الآتية : ان الذي خلقهما من البدء ذكراً وأنثى خلقهما . وأنت منذ البدء وضعت أساسات الارض . وهو قتّال الناس منذ البدء . وفي معنى الأزل خذ كلام الثاولوغوس في مقالته الاولى عن الابن ونصّه . انه هو القديم منذ البدء : وقال يوحنا الذهبي في تفسير الآية الحاضرة : ان قوله في البدء انما معناه : منذ الازل ودائماً أي كان الكلمة في الأزل ولا ابتداء لوجوده . وقال القديس كيرلس ولو فرضنا ان كلمة البدء تعني البدء والأول فلا يستنتج ان للكلمة بدءاً زمنياً لأن الانجيلي وضع هذا البدء عينه قبل كل زمان اذ قال كان بحيث لازمانَ ولا ابتداءَ أعلى من البدء المذكور في يوحنا . وبناءً على ذلك نقول ان الكلمة كان في بدءٍ يعلو كل ابتداء وزمان أي كان في الازل والأبد ودائماً . ويسأل لأي الاسباب سمّاه يوحنا كلمة ؟ فالجواب ان الابن سمّي كلمة لانه مولود من الآب كما ان كلمتنا العقلية يلدها عقلنا الذي هو روحي محض وأيضاً لأن الابن باعتباره ابناً وحيداً لله غير قابل الآلام والولادة الزمنية . ثم كما ان بوجود العقل توجد فينا الكلمة لأن العقل ان لم يدرك ويعقل لا يكون عقلاً كذلك منذ وجود الآب وُجد الابن أي الكلمة بحيث لا يمكنك ان تدلّ على زمن أو تتصوّره من دون أن يكون الابن

الكلمة . وان فرضت كون الآب عديم الكلمة مدةً فانه يكون بلا ريب عديم الحكمة والمعرفة لاننا نعني بالابنِ الكلمةِ حكمةَ الله ومعرفته . وحاشا لله المتعالي ان نتصوّر فيه مثل هذا العيب . واعلم ان كلمة العقل يمكن اظهارها بالخطوط أو بالاحرف فتراها اذ ذاك الاعين . كذلك الابن الكلمة امكنه أن يظهر بالجسد ويتأنس مثلنا من دون أن يفقد شيئاً ما مما له في الآب . وأيضاً كما ان كلمة عقلنا تبقى كلها في قائلها وتصل كلها الى أذن السامعين وتتجسم كلها في الكتابة وتبقى مع ذلك روحانية ولو أخرجت الينا من النفس كذلك الابن الكلمة باقٍ كله في أبيه وكله في الجسم وفي العالم ولا يحصره حدّ . ثم ان كلمتنا الصادرة عن نفسنا تكشف عما في ضمائرنا ومثلها أيضاً الابن الكلمة كشف لنا الغطاء عما كان في الآب مخفياً وهو شهد بذلك وما أصدقه شاهداً بقوله : كلما سمعته من الآب عرفتكم به — ولماذا قال في البدء ولم يقل في الأول ؟ أجيب ان كلمة البدء سابقة للفظ الأول وأيضاً الأول له ثانٍ وان كان للأول وجود فلا بدّ من وجود ثانٍ . أما البدء فهو موجود ويكون موجوداً ولا يحتاج الى آخر يأتي بعده ولزيادة ايضاح نذكر هذا المثل : اذا وضع رجل حجراً في البناء سُمّي هذا الحجر رئيسياً وان وضع حجراً آخر دعوناه حجراً ثانياً ومن هذا القبيل يقال ليوم الأحد انه الأول من أيام الأسبوع — ثم بدء هذا العالم هو أوله أو الساعة الأولى التي خُلق فيها وما قبلها لا يُدعى زمناً لكن ما بعدها

وعلينا أن نحدّد ما معاني لفظ « كلمة » فهي أولاً لا تدلّ على مخصص ما كما يدل اسم يسوع والله والمسيح . ثانياً لا تدلّ على اقنوم أو ذات كما في الانسان ثالثاً تدلّ على الابن الأزلي المولود من الآب وفي هذا المعنى احذر من أن تجعل الولادة كولادة الأجسام واقعة في الزمان والمكان وأيضاً ولو ان الكلمة لا تفارق النفس فان ذلك من باب النظام المألوف لأن الله قادر أن يفرقهما اما في الله فلا تنفصل الكلمة عن الآب وان كانت قد صارت جسداً . ولا قيمة لما قاله تباع أريوس من ان تسمية الكلمة بالابن يجعله بعد الآب ويكون ثانياً لأن الابن وُجد معاً عند ما وُجد الآب . ولا بداية لأحد منهما ولا بعدية لواحد بالنسبة الى الآخر

ولاحظ هنا انه قال في البدء كان الكلمة لا الابن أو يسوع أو المسيح اما الأن بعضهم تسمّى باسم يسوع وباسم المسيح اما لأن تسمية الابن تجعلنا نفكّر بالجسد وبالأبوة والبنوة أو تظهر ان الآلهة متعددون عند النصارى كما عند الوثنيين

وفسر اليونان وتوما الحرقلي في البدء كان الكلمة ان البدء معناه الرأس وان الابن كان في الرأس أي في الآب .

واعلم ان الكلمة كان أزلياً فوق الأزمنة وان كلام يوحنا في البدء لا يشبه كلام موسى القائل أيضاً في البدء لأن هذا يتبعه كلمة خلق وذاك تتبعه كلمة كان والخلق يدل على زمن والكون يدل على الأزل . وجرت عادة أهل البيان والكتابة انهم يستعملون الكلمة الواحدة أو التركيب عينه بمعنى مختلف تستنتجه من نص العبارة ومن المتعلقات السابقة واللاحقة

فمما تقدم يكون البدء على أنواع ثلاثة الأول بدء هو علّة لما يأتي بعده كما اذا قلنا المسيح بدء تبريرنا لان نيلنا النعمة صادر عنه وبه . الثاني بدء ليس بعلة ما بعده كما هو بدء الشغل في المعاصر والبيادر الثالث بدء أي الأزل الذي ليس فيه بعد وقبل وهذا هو معنى البدء في يوحنا أما معنى البدء في موسى فراجع للنوع الثاني ومن المستحيل أن ترجعه الى المعنى الثالث . ولتباع أريوس مغالطات عديدة في كلمة البدء لأنهم يجدّفون على الكلمة الأزلي بأنه مخلوق . ونحن نقول انه لو كان مخلوقاً للزم يوحنا القول : في البدء خلق الله الكلمة لكن هذا الانجيلي السامي التعاليم الصحيحة عرفه أزلياً ونفى عنه الخلق لأنه قال فيما بعد ان به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كوّن فان كان يخلق الأشياء كلها فيستحيل أن يكون مخلوقاً أو أصغر من الآب . وان كان قد وصف بانه شاب وشيخ في آيات أخرى فما ذلك الا لكونه صار انساناً

وفي الآية الأولى عينها يقال أيضاً « والكلمة كان عند الله » فاذاً دلّ لا على الكلمة المسموعة والمتجسمة امامنا بالصوت أو بالاحرف بل على الاقنوم الثاني لا على عرَض لان لا عرَض في الله بل على جوهر وذات لا على شيء مؤنث بل على اقنوم فيه تعالى . ثم ان لفظة عند لا يدلّ هنا على مكان بل على ان الكلمة مولود من الآب

وان الكلمة اقنوم غير اقنوم الآب . وزيد في الآية عينها « وكان الكلمة الله » اعلاناً انه مساوٍ في الجوهر للآب الذي وُلد منه فاسمعوا يا كفرة ويا اريوسيون كيف ان يوحنا كشف الغطاء عن لاهوت السيد المسيح وأضاء بتعليمه البشر كما تضيء الشمس الأعالي . فكلما تكلمنا عن الكلمة فاننا نتكلم على الله لا على عمل من أعماله

﴿ ٢ ﴾ هذا كان في البدء عند الله

بعد ان فسرنا كلمة بدء بالأزل تعلم حق العلم ان الكلمة كان في الأزل لا في الزمان . وفي الله انتفى كل النفي متى والزمان وتقدم الوجود . وبهذه الآية ادحض قول من يحدّفون بانه كان زمان لم يكن فيه الابن وقول من يضعون في الله اقنوماً واحداً لا ثلاثة أقانيم . وما أبدع يوحنا في تعبيره عن الابن بالكلمة فانه دلّ بها على الآب لأن الكلمة لاتكون وحدها . ودلّ بها على طريقة ولادة الابن . فكما ان العقل يلد الكلمة وتبقى فيه هكذا ولد الآب ابنه وبقي هذا فيه . وبنوع ما يمكن القول ان الآب هو العلة وان الكلمة هو المعلول . وان بحثت عن الاسباب التي حملت يوحنا على مراجعة لفظ « الكلمة » قلتُ : لم يذكره غيره من الانجيليين فأراد ذكره عوضاً عنهم ورسمه في عقول الناس وقلوبهم .

﴿ ٣ ﴾ كل به كوّن وبغيره لم يكوّن شيء مما كوّن

بقوله « كلّ » شمل كل الاشياء ولم يحصر منها عنه سيئاً سواء كانت ظاهرة محسوسة أو روحية غير محسوسة كالملائكة والشياطين . فالكلمة ضابط الكل بدون استثناء وهو خالق الكل وبذلك يتبين انه اله . وللهراطقة الشروح الغريبة في أمر الاقانيم وفعل الخلق . ومقصد الاريوسيين ان يعطوا الكل من الثلاثة طبيعة متميزة . ومن عبارات سفاهتهم ان النجار والقدّوم والمكان ثلاثة أشياء مختلفة متميزة . فالآب في فعل الخلق هو العلة الفاعلة كالنجار في عمله الكرسي . والابن في الفعل

عينه هو كالقدوم في يد النجار . ويسمونه العلة الآلية . ونسبة الخليقة اليه كنسبة القدوم الى الكرسي . والروح القدس هو كالمكان . لان الخليقة صارت به في المكان والزمان على شبه وجود الكرسي بعد انجازها في محل ووقت . اما الاعتقاد الصادق فهو ان الابن مساوٍ لأبيه في فعل الخلق لانه مع الآب واحد وكما يقيم الآب الموتى كذلك الابن . وأيضاً ان الروح القدس مساوٍ للآب والابن في الفعل عينه وانما هم ثلاثة أقانيم لهم طبيعة واحدة وجوهر واحد . ولهذا المعنى صح قول يوحنا ان بغير الكلمة لم يكوّن شيئاً مما كوّن . وبعبارة أخرى أن لولا الكلمة لما وُجدت المخلوقات ولا الملائكة ولا شيء آخر . ومما لا يحتاج الى مراجعة ان الكلمة لم يكوّن الخلائق الاّ بالاتحاد مع الآب والاثنان أبدعا كل شيء بدون استثناء

﴿ ٤ ﴾ فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس

عبر بالحياة عن القوة التي خلقت . وهذه القوة لا يدركها ضعف أو نقصان . وكما ان مياه البحر لا تقدر على تنقيصها مهما اغترفت منها كذلك قوته العلوية على خلق الاشياء . وأيضاً لك ان تفسر الحياة بالايمان به أي من فضله نشأ لبني البشر ان يعرفوه الهاً ويؤمنوا به . ثم لا بأس من تأويل الحياة بالعناية . أي منه هذه العناية الشاملة البشر والمخلوقات . ولما كانت آلام المسيح وما أذاقه اليهود من الأعذبة هي التي أعطتنا الحياة من موت الخطية كان لنا أن نسميها حياة أيضاً . ولاحظ أيضاً ان الحياة ليست للكلمة فقط بل وللاقنومين الآخرين أيضاً . أي للآب وللروح القدس ولا فرق ما بينهم فيها . وقد كذب تباع مقدونيس في حق الروح القدس اذ قالوا عنه انه مخلوق وبالتالي لا يشترك في التكوين والحياة مع الابن والآب . ولكن لا نرى ان يوحنا أشار الى ما يريدونه بنوع من الانواع ولا يفيدهم تفسيرهم ان الحياة كانت في الكلمة أي مخلوقة منه . وان الانجيلي اعنى بالحياة الروح القدس . لأن الحياة هنا الموصوفة بانها نور العالم انما تدلّ على الكلمة المتجسد كما يتضح من المتن وكما فسر

يوحنا المعمدان بشهادته عن نفسه بانه ليس هو النور بل بان النور هو المسيح . ومن المثبت بالاستقراء ان الهراطقة يستخدمون كلمات الكتب المنزلة لغاياتهم الفاسدة ولا يريدون أن يميزوا بين معناها في محل ومعناها في آخر . فقد يكون المفهوم بالروح الله مثلاً أو نفس الانسان . فيدّعون انها هي الروح القدس ويدلون على ذلك بتأويلاتهم الفارغة من الهدى والصواب .

اما كون الحياة هي نور الناس فليست تلك التي يحيون بها الحياة الطبيعية ويتحركون بها . بل انما هي الايمان بيسوع المسيح . والدليل على هذا التفسير انها تُدعى نوراً . ومن يدعو الحياة الشاملة للبشر والبهائم نوراً . اما كيف تكون الحياة ايماناً وتستحق ان تدلّ عليه . فانك تعلمه من ان الايمان يطرد موت الجهل أو بالاولى موت الخطية ويبدد ظلمات الضلال . ومفعول هذا السامي لا في قلوب فئة دون أخرى بل في الجميع . فنستنتج اذن ان الشعوب كلهم أعطوا الحياة الروحية . وكما ان النور يضيء على الناس أجمعين بدون فرق بين رجل وآخر . هكذا الايمان بالكلمة أو عنايته السامية ممتدة للجميع وناشرة لواءها عليهم . ثم كما ان النقصان لا يصيب النور . كذلك الكلمة ابدع الخارقات كلها وتوسعت بها ولم يعره نقصان . وان أردت ان تفهم بالحياة ما سببته آلام السيد المسيح لنا بمقتضى ما سبق لنا ذكره فقل : ان هذه الآلام أوجدت لنا النور أي بالصليب فُتحت أعين الوثنيين الذين كانوا عمياناً عن الحق . وأيضاً لا يمنع شيء من أن تفسر مع بعضهم لفظ « الحياة » الحياة الناطقة فينا أي تلك التي تأتينا من القوة العاقلة التي تهبنا التمييز والنطق .

﴿ ٥ ﴾ والنور يضيء في الظلمة والظلمة لا تدركه

اعني بالنور الصليب في العالم بين اليهود ذوي الادراك المظلم فانه أشرق عليهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

وأول الظلمة التي وُصفت بعدم الادراك . اما بالشيطان الذي حاول خداع السيد المسيح فعجز وناله الوهن . واما بالموت الذي لم يتسلّط على ربنا له المجد تسلّطاً دائماً . واما بالشعب اليهودي الذي لم يفهم مَن كان السيد لانه له السجود اخفى لاهوته في الجسد البشري الذي اتخذه منا . أما اليهود لم يؤمنوا به بارادتهم

﴿ ٦ ﴾ كان رجل مرسل من الله اسمه يوحنا ﴿٧﴾ هذا جاء للشهادة لكي يشهد للنور حتى يؤمن الجميع على يده

الكلام هنا على يوحنا الذي قد سُمّي أيضاً ملاكاً واتصف بصفة الملاك . وهي ان لايقول شيئاً من عند نفسه بل ينطق بما يسمعه . وقد دلّ عليه بانه رجل ولم يذكر مولده وأبويه . لان غاية الانجيلي الافصاح عن ارساليته لاغير . وارساليته السامية ان يشهد للكلمة الذي عبر عنه هنا بالنور . ولكن اياك ان تعتقد بان الكلمة كان محتاجاً لغيره بان يشهد له بل انما البشر واليهود وما تميزوا به من الميل الى الارض وضمائرهم غير المستقيمة كل هذه أوجبت ان يشهد يوحنا للسيد له المجد لانه اخفى لاهوته في الجسد . لانهم لايطيقون النظر الى مجده لضعف بصائرهم . وكما ان المسيح رضي بان يتأنس لاجل البشر كذلك رضي بان يشهد له عبده وان يعمّده

﴿ ٨ ﴾ لم يكن هو النور بل كان ليشهد للنور ﴿ ٩ ﴾ كان النور الحقيقيّ الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم

نفى الانجيلي عن يوحنا كونه النور وأثبت ذلك للكلمة . لأن اليهود ظنّوا في حماقتهم الاول أعظم من الثاني . فهدم هذا الظنّ وافهمهم ان يوحنا عبد ومبشر لاغير وما أرسله الله الاّ شاهداً . وكأنه بكّت الشعب الكافر على قبوله العبد وصلبه السيد الذي شهد العبد له . وأراد أيضاً زيادة بيان فنعت الكلمة بانه النور الحقيقي تمييزاً له عن يوحنا المدعو سراجاً . واعلاماً انه ينير بالايمان به كل انسان . وانارته هذه

صادرة عن قوته المخصوصة به دون غيره . وان كان البشر يعمون نفوسهم عن الايمان به . فانما اثمهم في رقبتهم فلا يلومون الا نفسهم . ومثل ذلك مثل الشمس التي ترمي بأشعتها على الخلائق كلها فمن لا يرى نورها فانما ذنبه عليه لا عليها . أو مثل الرعد الذي يقصف ويُسمع الجميع فمن كان اصمّ فانما لومه على ذاته لا على الرعد . ومن الاكيد ان مَن يأتي من الناس الى هذه الدنيا يقوى على مشاهدة النور ان شاء . ويمكنك ان تتوسع في التأويل فتقول ان السيد المسيح كان نوراً حقاً قبل تأنسه وبقي نوراً في تأنسه وثبت نوراً بعد تأنسه بدون انقطاع . وهو ينير بعنايته خطوات الناس أجمعين

﴿ ١٠ ﴾ كان في العالم والعالم به كوّن والعالم لم يعرفه ﴿ ١١ ﴾ أتى الى خاصته وخاصته لم تقبله

كان السيد المسيح قبل تجسده في العالم كالخالق في خليقته . ولم يُخلق مع العالم لأنه غير مخلوق تعالى له المجد تعالياً رفيعاً . لكنه برز من الخفية الى الظهور . وان سألت ما الدليل على انه كان في العالم كالخالق ؟ أجبت ان العالم كوّن به فاذن هو خالقه أما العالم وهم بنو البشر فلا رتيا كهم في الأرضيات لم يعرفوه ولا عرفوا أباه . ووُجد من بينهم مَن خافوا الله واتقوه فكانوا به عارفين قبل تجسده . ومنهم ابرهيم الذي اشتهى أن يرى يومه . وداود الذي أشار اليه بقوله . قال الرب لربي اجلس عن يميني . ولما أتى لهُ المجد بالجسد الى خاصته من دون أن تبطل أزليته رفضت خاصته قبوله . وافهم بالخاصة كل البشر بدون استثناء لانه خلقهم ثم ان اليهود رفضوا تعليمه رغماً عن دلالة الانبياء اليه بالوضوح الكافي . ولقساوة قلوبهم لم يروا في عجائبه ومعجزاته ما يهتدوا به الى انه المخلّص من الموت والشيطان والضلال .

﴿ ١٢ ﴾ فأما كل الذين قبلوه فأعطى لهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله الذين يؤمنون باسمه ﴿ ١٣ ﴾ الذين لا من دم ولا من مشيئة لحم ولا

من مشيئة رجل لكن من الله وُلدوا

كانّا السيد الذين تباره ان يكونوا ابناء الله واخوة الكلمة . ومن الظاهر ان كل البشر قادرون على أن يعتمدوا ويصيروا أبناء الله واخوة المسيح . فقد أعطوا هذا السلطان . أي باختيارنا وحريتنا لا بالاكراه نقوى على أن نصبح ابناء الله . ولما كان العماد ولادة شاء الانجيلي ان يميز ما بينه وبين الولادة من المرأة . وغايته ان يبين ان الميلاد من المعمودية أشرف وأفضل من الميلاد الحقير من المرأة . فاذن المولودون من المعمودية ليسوا من دم أي من ميلاد من امرأة أو من جبلة قديمة زمنية فاسدة . ولا من مشيئة رجل وامرأة يتزوجان بل من مشيئة الروح أو من ارادة الله . وقد وُلدوا بالروح وبالايمان . اما بالروح فلأنه منحة نعطاها وتجعلنا ابناء الآب . واما بالايمان فلأننا نتطهر من الضلالة والطغيان . فلنثبت اذن على حال المعمودية قديسين ابراراً غير مدنسين بالخطية

﴿ ١٤ ﴾ والكلمة صار جسداً وحلّ فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً

انما صار الكلمة جسداً ليجعلنا روحانيين . وانما ولد من امرأة ليلدنا ولادة روحية بالعماد . وانما صار الله ابن انسان ليجعل الناس أبناء الله أو ليجعلهم الهيين . وانما تنازل من علوه الينا ليصعدنا الى السماء . أما حلوله فينا فمنذ ما نأكل جسده ونشرب دمه . وان سألت كيف صار الله جسداً ؟ فجوابي مختصر لكنه مفحم وهو ان الله قادر على كل شيء . وقد يجوز سؤال الفخار أتقدر أن تجبل انساناً حياً من طين مع انه مستحيل ولا يجوز أن يسأل الله عن ذلك ولا ان كيف صار الكلمة جسداً . لان لا عسير على الله بل كلّ خاضع لارادته فيعمل ما يشاء . لذلك سؤالك يستدلّ منه ان الله ضعيف مع ان بولس الرسول يسميه القوة والحكمة . وكما ان ميلاد الابن الأزلي من الآب لا يدركه عقل مخلوق ولا يفهم انسان كيف تمّ الخلق من العدم .

كذلك صيرورة الكلمة جسداً فوق الادراك . ومن المعجزات ... النار تلتهب في العوسجة ولا تحرقها وان مياه النيل تتحول دماً للمصريين وماء زلالاً للعبرانيين . وأن يكون عمود النور ضوءاً للعبرانيين وظلاماً قاتماً لفرعون وجنوده : وان يفتح السيد عيني الأعمى بالطين ويحول الماء خمراً جيداً . ويشبع من كسرة خبز آلافاً من الجياع . ويحيي ميتاً مرّ عليه في القبر أربعة أيام . وان يولد من عذراء بدون زرع بشري وبدون فك ختم بتوليتها . وأن يقوم من القبر من دون كسر الاختام الموضوعة عليه . وأن يدخل العلية والأبواب موصدة . واننا نعلم حق العلم حدوث هذه المعجزات ولو اننا لا ندرك كيف تمت . وكذلك نعلم حق العلم ان الكلمة صار جسداً لكننا لا نقوى على ادراك كيفية ذلك . ومن المؤكد ان أموراً عديدة لا نعرف كيف هي ولا كيف أجريت ومع ذلك لا ننكر وجودها . ومن يدرك عدد الكواكب والملائكة ورمال البحار والشعر . ومع ذلك لا ينكر وجودها عاقل فيه ذرة من الفهم وهل يكون ذا ادراك من قال . أنا لا أعرف ثقل الأرض وكيل البحر فاذن لا ثقل للأرض ولا كيل للبحر . وان كان المراطقة أعينهم يقرون بأنهم لا يدركون جيداً انتخاب يعقوب واسحق ورذل عيسو واسماعيل فكيف يريدون ادراك صيرورة الكلمة لحماً

ومن اعتراضاتهم كيف صار الكلمة لحماً دون أن يلحقه التغير : فالجواب انه تراءى للانبياء في القديم باشباه شتى ولم يتغير فهو مثل الذهب يدخل النار وتدخله لا يعتريه تبديل . وأيضاً يتحول الخبز جسداً عند التقديس وتبقى اعراضه ظاهرة غير متغيرة . ثم ان مياه العماد تصير بنوع ما روحية لانها تلد في النفوس النعمة وجوهرها لا يتغير . كذلك قل بان الكلمة صار جسداً ولم يتغير . وللمعلمين في هذا المعنى اقوال عديدة . قال القديس فيلكسينوس : كما انه صار جسداً بدون أن يناله تغير كذلك صار لعنة بسبب آثامنا من دون أن ينقلب طبعه لعنةً . وكما انه صار لعنةً ... ميتاً من جرى تعويضه عن خطايانا ولم يطفيء الموت حياته . كذلك لما صار جسداً لم ينقلب لاهوته بشراً . وقال موسى ابن الحجر : المخلوق قابل التغير ولذلك

يتغير أما الكلمة فغير قابل التبديل ولهذا المعنى لما صار جسداً لم يتغير . ومن يدّعي كذباً انه تغير يجدّف بأن لاهوته قد تغير . ولا يفقه ان الشيء الواحد بعينه قد يكون لأناس ضياء ولآخرين ظلاماً كعمود النور المذكور آنفاً . وكالمياه عينها التي بانت دماً للمصري وعذبة للعبراني

ثم اننا نعلم من نفس الآية ان الكلمة بصيرورته جسداً . اتحد مع الجسد البشري والنفس الناطقة أيضاً . لأن عادة الكتاب اطلاق الجزء على الكل . فيقولون جسداً ويعنون الانسان كله المركب من جسد ونفس . وانما صار جسداً ليجعلنا هيكلاً لهُ ويحلّ فينا . وليكن بالغاً في الثبوت لديك ان حلوله في الجسد لم يكن بطريق الشركة البسيطة معه على شبه اضاءة النور للحائط أو اصابة النار بحرارتها من يقتربون منها بل كان اتحاده بالجسد اتحاداً جوهرياً مثل النفس والجسد فينا أو مثل النار والحديد بحيث صار اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة . وبذلك نفحم النساطرة والخلقيدونيين الذين يقولون ان في المسيح طبيعتين . واننا أيضاً نهدم مذهب أوطاخي بكلمة حلّ فينا . لان تباعه يقولون بامتزاج الطبيعتين على شبه اختلاط الخمر بالماء بحيث يفسدون بذلك الاتحاد البديع الغير المدروك الذي نعتقد به

ثم ان الابن ولو صار جسداً فانه لم يفقد مجد لاهوته ولم يستر سفرد عظمته السامية . ولهذا المعنى قال الانجيلي : وقد أبصرنا مجده أي نحن الرسل الذين كنّا رفاقاً لهُ في حياته على الأرض ومن الأكيد ان البشر رأوا أيضاً مجده في ميلاده اذ قد تراءى نجم يدلّ عليه . ونادت الملائكة مبشرة بظهوره . وبعد ذلك شهد الآب لهُ في عماده ونزل الروح عليه . وقد كان هذا المجد لائقاً بالابن الوحيد لانه اله وملك لا مثيل لهُ في المجد يضبط بقدرته الأشياء كلها بسلطان ذاته لا بسلطان معطى لهُ من آخر على شبه الأنبياء والملوك . وما كان هذا المجد ؟ هو تأنسه وتنازله وهو اله الى ان [illegible] المعجزات التي جرت زمن ميلاده وعملها في سني تبشيره وتدابيره [illegible] . وقد اجترحها كلها بسلطان لائق به . هو قول الآب المعلن ان هذا ابني الحبيب ثم نزول الروح عليه . هو تجديده السماويين والأرضيين بتجسده . ولزيادة

ايضاح لهذا المجد وصفه الانجيلي بانه مجد وحيد لئلا يختلط بمجد الملائكة والانبياء أو سائر الخلائق لان الكلمة وحيد الآب ووحيد في ميلاده بالجسد اذ لم يكن له اخوة وولدته أمه بدون أوجاع لا كعادة النساء اللواتي ينالهن آلام ويجري منهن دم واخلاط وتتعلم لاولادهن الصرّة · واعلم ان قوله رأينا مجده مجد وحيد ولو ان ظاهره التشبيه الاّ انه لا يحوي ادنى ارتياب ولا ينقّص شيئاً من المجد . ومعنى الآية ان مجده ليس مجد جسد أو انسان بل مجد الوحيد من الآب مع انه صار جسداً على شبه ما تقول اذا رأيت ملكاً وأردت أن تصفه بهذه العبارة : رأيته مثل الملك فانما قصدك اثبات انه ملك حقاً لا انه يشبه ملكاً آخر . ثم ان الكلمة ممتلىء نعمة من ذات طبيعته لا بفضل آخر عليه . وبذلك يفحم الهراطقة القائلين انه له المجد اقتبس النعمة من غيره على شبه ما نقتبسها نحن اذ ليس لنا نعمة الاّ من الله نستحقها بأفعالنا وأيضاً هو مملوّ حقاً لانه الله وطبعه الحق ولم يمسه تغيير عندما تجسد

﴿ ١٥ ﴾ ويوحنا شهد له وصرخ قائلاً هـذا هو الذي قلت عنه ان الذي يأتي بعدي قد جُعل قبلي لأنه أقدم مني

الانجيليون الثلاثة السابقون أتونا بشهادات من الأنبياء . أما يوحنـا الانجيلي فروى لنا شهادة يوحنا المعمدان . وكان ذا فضل ملحوظ المنزلة وكلمة مسموعة ذا سلطان . واطنب يوسيفوس المؤرخ في الثناء على يوحنا المعمدان . ومن البين ان هـذا البارّ الذي رأى السيد المسيح وشهد له منقاد لالهام علوي كما يظهر من نص الكتاب القائل . ان الذي ترى الروح نازلاً عليه . لا يمكنه أن يشهد بغير الصدق . ولهـذا السبب كان لشهادته قيمة بالغة وهوذا شاهد المخلص صرح بوجه كله فرح وابتهاج . وكأنه أعدّ لشهادته العدّة فسار سيرة تقشف وفضيلة حتى اجمع على حبه قلوب اليهود وأخذوا يقبلون على الاستفادة من نصائحه وكلامه . وفيما هم في هذه الحالة شهد للسيد له المجد . فما أنفع ماقال وما أوقع ما كان كلامه اذ ذاك فهو عندهم أفضل من الصوت الذي جاء من السماء للشهادة ليسوع . ولمـا كان السيد قد صار انساناً لاق أن يشهد

له الانسان لما لشهادته من النفع والتأثير على بني جنسه

ولنتأمل الآن في عبارات الشهادة . نرى يوحنا يسير تدريجاً في عمله فيبتدئ بالصغير لينتهي الى الكبير . مثلما يعمل الطائر مع فراخه عندما يمرنهم على الطيران . فانه بشر أولاً بتجسد السيد واعلنه انساناً . ثم شهد بانه اله . واذ كان اليهود يوهمون ان يوحنا هو المسيح الموعود به . لم يأول جهداً في جدة الامر في أن يعلنه أعظم منه . وانتبه هنا الى عدة أمور « ١ » ان السيد كان حاضراً أمام يوحنا أو في الأقل كان على مرأى منه فأشار الشاهد اليه بقوله ها هو « ٢ » كثيراً ما كان المعمدان يتكلم على السيد في غيابه . وذلك متحصل من كلمة : قلت عنه « ٣ » كان ظاهر السيد كظاهر كل الناس ليس فيه كبير عظمة فاقتضت الحالة ان يدل المعمدان اليه . ومن المعروف انه له المجد كان يأذن لأدنياء القوم وللخطأة ان يدنوا منه كما يبين لك من مثل السامرية والزانية « ٤ » القول : « يأتي بعدي » . يعلم ان يوحنا رسول الله سيأتي بعده مرسله أي الملك السماوي ولذلك كان ميلاد الرسول سابقاً بستة أشهر لميلاد المخلص . وانما نتكلم على الميلاد الجسدي لان مولد الكلمة الازلي لا بدء له وهو سابق لظهور لا يوحنا وحده بل المخلوقات كلها جمعاء . وهذا ما اثبته المعمدان عينه بقوله : « لانه أقدم مني وقد جعل قبلي » وكما فسر القديسان افرام وفيلكسينوس : كان قبلي بلاهوته ثم أتى بعدي بمولده بالجسد . اما القديس الذهبي الفم فارتأى ان الاتيان فيما بعد انما قيل عن كرازة المسيح لا عن ولادته من البتول عليها السلام . وخلاصة قوله ان السيد أقدم مني بالعظمة والكرامة فلا تظنوا أن بسبب كرازتي قبله جعلت أعظم منه كلاّ بل أنا عبده ورسوله واصغر منه بكثير وسيأتي للبشارة بعدي . وفسر الاريوسيون كلمة : « كان قبلي » بان ذلك اشارة الى ازلية وجود الكلمة قبل العالم . ونقض الذهبي الفم تأويلهم بقوله : لو كان هذا مقصد المعمدان لما اقتضى الأمر ان يقول : « انه أقدم مني » لأن عبارته هذه تكون اذ ذاك فضلة لا موجب لوجودها . ومن يجهل ان الله الكلمة هو قبل يوحنا المعمدان .

﴿ ١٦ ﴾ ومن امتلائه نحن كلنا أخذنا ونعمةً مكان نعمةٍ

ذهب نياكسيفورس وغيره ان الآية من كلام المعمدان . وقال الذهبي الفم وموسى ابن الحجر انها ليوحنا الانجيلي ونحن تابعون لرأيهما ومن عبارات هذه الآية نعلم ان المسيح ينبوع النعمة والصلاح ومعين الحياة الخالدة تفيض خيراته الغزيرة على جميع الناس ولا يمسه نقصان وكما ان معين الماء الفائض لا ينقص مهما استقى الناس منه . وأيضاً كما انك توقد من مصباح واحد آلافاً وربوات من المصابيح والمصباح باقٍ على حاله كذلك الكلمة يهب من امتلائه ولا ينقص . وقد أخذ منه الرسل الاثنا عشر والمعمدان والاثنان والسبعون تلميذاً وملايين من الناس واجترحوا بقوة روحه المعجزات والقوات واغترفوا من مياهه العذبة . وهو له المجد على ما هو بدون تبديل أو نقصان كالبحر التي تؤخذ منه الأمطار ويستقي منه الناس وهو باقٍ كما هو بعد مرور آلاف من السنين . أما المراد بنعمة مكان نعمة فهو ان الشريعة الجديدة حلّت محل العتيقة فبهذه تخلص اليهود من العبودية وخطاياهم لا بأعمالهم بل بفضل الله ونحن بتلك حصل لنا مجاناً النجاة من العبودية والخطايا أيضاً لا باستحقاق فعالنا . وان قابلت بين النعمتين وجدت الجديدة أشرف وأفضل لأنها لا تسرع في الانتقام بل تترك للمجرم زمناً ومحلاً للتوبة .

﴿ ١٧ ﴾ لأن الناموس أعطي بموسى وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح حصلا

المقابلة في الآية بين الناموسين ناموس موسى وشريعة المسيح وبين الهيكلين والذبيحتين والختانين أي الختان اللحمي وختان المعمودية . فموسى أمر باتخاذ خروف لتضحيته في بيت بيت أما المسيح فضحى ذاته . موسى بسط يديه على الجبل والمسيح مدّهما على الصليب . موسى أوجب اللعنة على كل من لم يعمل بما هو مكتوب في الناموس اما المسيح فقد صار بدلاً منا لعنة . وأيضاً اختص الحق والنعمة والسلطان

بالمسيح لأنه من ذاته يغفر الآثام ومن ذاته يعطي نعمة الروح القدس بالعماد وبظهوره في العالم بطلت الرموز التي كانت تشير اليه لأنه الحق . أما الناموس موسى ولو انه أعطي بالنعمة فقد كان ظلّ المستقبل أي كان صورة ومثالاً لما يأتي . وقد اعطاه الله بيد عبده وخادمه ولذلك قيل : الناموس أعطي بموسى أما العهد الجديد فحصل بالمسيح ولم يُعطاه .

﴿ ١٨ ﴾ الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو أخبر

ان صحّ أن لم يرَ أحد الله . فلماذا قيل ان موسى تكلم معه وجهاً لوجه . ولِم ادّعى اشعيا قائلاً . اني رأيت الرب ؟ فالجواب ان الناس والملائكة أيضاً لا يقوون على مشاهدة الله من ذاته وليس لله شكل محسوس ليتراءى لانسان آخر . وبما انه لا شكل خاص به جاء في الكتب . انه عز وجل ظهر باشباه كثيرة للانبياء . ورد أيضاً على الاعتراض ما كتب من الاقوال الالهية القائلة لانهم يعاينون الله . وما قاله السيد له المجد من ان ملائكتهم يشاهدون وجه أبي في كل حين ليشمل جوابنا تفسير كل هذه الآيات . وبناء عليه نقول ان مرأى الله قد يُعنى به النظر الباطني والتفكر المتواصل فيه . وأيضاً قد يكون نظراً جسدياً اذ لا يستحيل ان يتخذ الله شبهاً مادياً يتعامل بواسطته مع مخلوقاته الناطقة . ثم لا يستحيل أن يرفع النفس الناطقة بقوة علوية فتشاهده ولو انها في هذه الحياة . واعتقد بصحة هذه التفاسير . وذهب قوم الى ان كلمة « الله » في الآية الحاضرة انما تعني الآب لا غير . وعن طبيعته واقنومه قيل انهما غير منظورين لخلائق اما الابن فانه تراءى في القديم بعدة اشباه ثم تأنس وصار وسيطاً بين السماويين والأرضيين . اما ظهوره بعدة اشباه فواضح من ان دانيال رآه شبه حجر . ومن ان أشعيا تكلم عنه لما رأى مجده . وأيضاً ظهر الروح بشبه حمامة على الاردن وعلى الرسل في العلية . فاذن

احصر كلمة الله بالآب وعنه قلْ أنْ لم يره أحد . اما نحن فلا نرى لهذا التفسير صحة . ونردّه بهذه العبارة : ان الابن الوحيد الذي في حضن الآب أخبر بأن لم يرَ الله أحد . فان كان الابن في حضن الاب قال انه لم يرَ أحد الآب . فاستنتج أنْ لم يرَ أحد الابن أيضاً لانه بطبعه واقنومه غير منظور . ومن الأكيد ان الابن مساوٍ للآب في الجوهر والطبيعة وهو مع الآب في الأزل بدون انفصال وظهوره في الجسد لم يفصله عنه . وهوله المجد أخبرنا بالخفايا فأعلمنا ان الله واحد مثلث الاقانيم . وان هذه الاقانيم هي الآب والابن والروح القدس لها حياة واحدة وذات واحدة لا يختلف منها واحد عن الآخر بغير الاقنومية . وان الابن الذي هو الاقنوم الثاني صار انساناً وظهر بين البشر . واستنتج بعض الشرّاح من قوة التعبير في اللغة اليونانية ان الانجيلي يعني « بحضن الآب » خفايا اللاهوت . بحيث يكون المعنى على هذا النسق : ان الوحيد للآب أخبرنا خفايا أبيه التي يدعوها حضنه ،

﴿ في شهادات يوحنا المتعدّدة ﴾

﴿ ١٩ ﴾ وهذه هي شهادة يوحنا اذ أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ﴿ ٢٠ ﴾ فاعترف ولم يُنكر واعترف اني لست المسيح

كان اليهود عارفين مَن يوحنا وابن مَن هو ومع ذلك أرسلوا يسألونه : مَن أنت اما الداعي الى عملهم هذا فهو على رأي بعضهم ان اليهود لم يقبلوا شهادة يوحنا الاولى عن المسيح فأرادوا زيادة تأكيد . ورأينا انهم كانوا مفعمين حسداً على يسوع ولا يجسرون على اظهار عواطفهم وكانوا يعدّون قبوله معلماً والخضوع له من العيوب الفاضحة . ومما زاد حنقهم ان يوحنا كرّر شهادته بان السيد أعظم منه . فأرسلوا اليه قصد ايقاعه في الخداع وحمله على ان يقدّم نفسه مسيحاً ومعلماً . وكان صاحب منزلة سامية عندهم فقالوا : ان رضي باعلان نفسه مسيحاً انتصرنا على يسوع . فأتاه قوم من

الكهنة واللاويين المتظاهرين بالفضيلة والتقوى . وقد سألوه ثلاث مرات تبعاً لما رواه الانجيلي وفي الثلاث مرات اعترف بانه ليس المسيح وأبى أن يجيب تبعاً لشهواتهم

﴿ ٢١ ﴾ فسألوه اذن ماذا أايليا أنت فقال لست اياه . ألنبي أنت أجاب كلاّ

واذ رأى الفريسيون انهم ما استفادوا فتيلاً من سؤالهم رجعوا الى طريقة أخرى فطلبوا منه هل أنت ايليا . وكانوا ينتظرون مجيء هذا النبي قبل المسيح ليعدّ كل شيء . وبين الاثنين أكبر مشابهة . لان يوحنا كان بتولاً كايليا وكاهناً مثله وله سلطان مثله على التعميد . ومن الأكيد ان ايليا سيأتي قبل مجيء المسيح الثاني للدينونة كما أتى يوحنا قبل مجيئه الأول . فضلاً على ان يوحنا ظهر طبقاً لقول الملاك لزكريا متصفاً بالروح وبقوة ايليا . وفي جواب يوحنا بالنفي صعوبة وهو ان سيدنا قال ان ايليا جاء ولم تقبلوه فكيف قال يوحنا انه ليس ايليا ؟ . أجيب ان يوحنا جاء شبه ايليا بالروح والخدمة والقوة لا بالذات عينها . ولما رأى الفريسيون انهم ما استفادوا شيئاً واذ كانوا عالمين ان موسى وعدهم بالنبي العظيم سألوا المعمدان . ألنبي أنت . وقد كانت الظنون تتناولهم فيه . فمنهم من يعتقد بانه المسيح ومنهم من يحسبه النبي الموعود . وآخرون يحسبونه مسيحاً ونبياً . وكان فريق رابع يعدّه ملكاً ومخلصاً . فأجاب يوحنا أيضاً : كلاّ . وبهذا ردعهم عن مقصدهم الشرير وارتأى قوم ان قول موسى الموعود به ان الله سيقيم لكم نبياً قد تحقق في يشوع بن نون وفي سائر الأنبياء . لكن هذا الرأي مخالف لاعتقاد اليهود اذ كانوا يحسبون النبيّ المشار اليه أعلى درجة من سائر الأنبياء وأفضل ممن سواه

﴿ ٢٢ ﴾ فقالوا له فمن أنت لنرد الجواب على الذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك ﴿ ٢٣ ﴾ فقال أنا صوت صارخ في البرية قوّموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي

وشاء السائلون ان يعرفوا ما رأي يوحنا في نفسه . ولأنهم كانوا واثقين بصدقه طلبوا منه أن يلقنهم ما يردون به جواباً على مرسليهم . وهنا أيضاً حاول تبطيل اعتقادهم وقال بكل تؤدة وهدوء : انا صوت صارخ في البرية . وكان اشعيا قد تنبأ بذلك فذكر المعمدان الكلام عينه . وانما دعي عليه السلام صوتاً لأن الكلمة تظهر بالصوت والله الكلمة الخفي ظهر بواسطة صوت يوحنا . وأيضاً يضمن الصوت الكلمة ويوصلها الى السمع وهو يبقى خارجاً عن الأذن . كذلك يوحنا أدخل الكلمة بكرازته في قلوب سامعيه أي جعله معروفاً وبقي هو خارجاً . وزيد « في البرية » لانه كان يبشر في برية اليهود . والبرية أي القفر الخراب ممثلة اليهود المقفرة قلوبهم من الايمان والعمل الصالح . ولما كانت العادة أن تمهد الطريق قبل سفر الملك لئلا يعثر فيها واكراماً لعظمته . وكان يسوع الملك الاعظم والسلطان الاكبر دعا المعمدان الناس الى ان يقوموا الطريق ويخفضوا العالي ويرفعوا المنخفض أي يجردوا قلوبهم من الخطايا وادناس المعاصي ومن أعالي الكفر ومنخفض الهلاك . وان كان مثل هذه العبارات غير موجودة بالصراحة في يوحنا فانه أشار اليها ضمناً بذكره اشعيا . ومن كلام هذا النبي : قوموا السبل أي افتحوا قلوبكم لنعمة الكلمة ومهدوا لنا سبلاً لندخل ونحل فيكم . وأيضاً حولوا الطريق أي اهجروا عبادة الاصنام الكاذبة وميلوا الى الرب يسوع واستبدلوا أعمالكم السيئة بأعمال صالحة

﴿ ٢٤ ﴾ وكان المرسلون من الفريسيين ﴿ ٢٥ ﴾ فسألوه وقالوا له فلم تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ﴿ ٢٦ ﴾ أجابهم يوحنا وقال أنا أعمد بالماء ولكن بينكم من لستم تعرفونه

كانت الفريسية هرطقة عند اليهود فاصحابها أرسلوا اليه بعضاً منهم وكانوا كهنة ولاويين واذ نظروا ان اللين لم يجذبه اليهم وانهم عاجزون عن خداعه غيروا طريقتهم وأخذوا يلومونه قائلين : ان لم تكن المسيح ولا ايليا ولا النبي فلم تزاول التعميد

وكأنهم ينتظرون ان يغير صدقه ويقول: أنا المسيح . أما هو فقال : ان معموديتي بالماء لا غير فهي غير كاملة لأنها ظل تلك التي سيعطيها المسيح وتحوي الكمال والحقيقة وتهب الروح القدس . ثم صرح بان المسيح المخلص بينهم أي اما بين المجتمعين امامه . أو لأنه من صف الشعب الاسرائيلي ولكنهم لا يعرفونه

﴿ ٢٧ ﴾ هو الذي يأتي بعدي وقد جُعل قبلي الذي أنا لا أستحق أن أحلّ سير حذائه ﴿ ٢٨ ﴾ وكان ذلك في بيت عنيا في عبر الأردن حيث كان يوحنا يُعمد

فسر القديس افرام وفيلكسينوس عبارة « يأتي بعدي وقد جُعل قبلي » بان الكلمة ولو صار انساناً لكنه اكرم مني . وبما انه اله هو أقدم مني لأن الخالق أقدم من مخلوقاته . ودلالة على شرف المسيح قال المعمدان بانه غير أهل لحل سير حذائه . ومن المعلوم ان حل الحذاء من الخدمات الدنيئة الواطئة . فمعنى عبارته أنا لا أستحق أن أكون معدوداً بين أصغر خدمه الذين يزاولون أدنى الأمور . وبالمعنى الروحي ان سير الحذاء هو تدبير المسيح بالجسد فيكون المعمدان قد أراد انه لا يقدر على ان يدرك سراً واحداً ولو أدنى الاسرار من حياة المسيح واسرار سياسته بالجسد فانظر يا أخي الى تواضع يوحنا ومع انه أعظم الناس يضع نفسه بين أحقر العبيد ونحن مع امتلائنا من الشرور والرذائل نريد أن ندعى معلمين واساقفة ومطارنة وان ننال كل الالقاب الشريفة . وقد سمع اليهود جواب يوحنا فسكتوا لعجزهم عن جواب ما . وهم المستوجبون كل اللوم لأنهم أبوا قبول السيد المسيح ورفضوا شهادة يوحنا المتحلي بصفات عجيبة باهرة . ولاحظ ان الانجيلي أراد تعيين مكان هذا الخطاب ليثبت أولاً صحة الكلام وليظهر ان الشهادات للمسيح أعطيت في وسط الجمع ولم تخف على أحد . وقيل ان ذلك جرى في عبر الأردن في بيت عنيا . وهنا أقوال . فاما بيت عنيا كانت اثنين الأولى بالقرب من أورشليم حيث بيت لعازر وقبره . والثانية بجانب الاردن . فتكون

هذه الثانية المدلول عليها في الآية . واما وُضع من أحد النساخ بطريق السهو والغلط كلمة «بيت عنيا» لان بيت‌عنيا الحالية المشهورة تبعد عن الاردن اثني‌عشر ميلاً . أو ان كلمة عبر تؤخذ بالمعنى المتسع وتدلّ على بلاد كبيرة بالقرب من الجليل ومن غدران الاردن

﴿ ٣٩ ﴾ وفي الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً اليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم

بينما كان يوحنا يعمّد المتقاطرين اليه ويعظهم ويسمع اعترافهم بخطاياهم رأى السيد المسيح مقبلاً اليه . وقال فريق انه أتى ليعتمد . ورأى آخرون انه أتى ليشهد له يوحنا فاغتنم هذه الفرصة وتكلم عنه . فسماه حملاً لطهره وخلوّه من الخطايا ولأنه حمل آثام العالم أجمع . وقد دلّ بقوله «هوذا» انه كان يكرز عنه كثيراً وان سامعيه كانوا مشتاقين لأن يشاهدوه . وفي تسميته له المجد «حملاً» معانٍ متعددة . أولاً . ان الآباء الأقدمين الذين ماتوا لم يكونوا حملان الله بل عبيده فهم اذن متفرقون بالحالة والتسمية عن السيد المسيح . ثانياً . سُمي السيد حملاً تحقيقاً لنبوّة أشعيا القائل كمثل الحمل اقتيد الى الذبح . ثالثاً والعادة ان الحمل الناموسي كانت خطايا الشعب توضع على رأسه كذلك السيد المسيح حمل على عاتقه خطايا العالم . وأيضاً كان يذبح بدلاً من الشعب والمسيح تألم ومات عوضنا . ثم الحمل الناموسي كان بريئاً من العيوب والعاهات . والمسيح الحمل الالهي بريء من كل دنس الخطية . رابعاً صوف حمل الناموس كان يصنع منه ثياب للعراة . والمسيح ألبس آدم حلة المجد التي فقدها في الفردوس خامساً موسى بخروف الفصح أبطل ابليس المفسد وأمات سلطانه . والمسيح بموته أبطل الخطية ولاشاها . ومن الأكيد ان أشعيا لم يدعه حملاً عند ذكره الآلام الا ليحمل اليهود على الافتكار أمام الخروف الفصحي بذاك الذي سيذبح حقاً لأجلهم . وليدلهم على ان الرموز ستعبر يوماً وتزول وتتجدّد في محلها الاشياء الحقيقية .

واعلم ان كلمة حمل الله تعني ابن الله . ولبيان ذلك نقول : ان المضاف الى اسم الجلالة يتخذ أحد هذه المعاني الاربعة . فاما يكون مختصاً بطبع الله كقولك : المسيح ابن الله ووحيد الله . واما يدل على انه منتخب من الله كقولك هرون كاهن الله ورسول الله . واما ينسب اليه تعالى ومثل ذلك اليهود شعب الله . واما يكون ملك الله ومثاله : خليقة الله . وتسمية المسيح حمل الله تابعة لأول هذه المعاني

. وقد وصف هذا الحمل بانه يرفع الخطية . ولم يقل رفع لان السيد لم يكن قد مات وقد رفع الخطية بموته والآن يرفعها عندما نندم عليها ونقتبل سرّ التوبة . وهو له المجد قرّب مرة واحدة الذبيحة فكفّر عن خطايانا كلها وبقوة هذه الذبيحة يمكننا أن ننال الطهر كل حين . وانتبهْ الى ان سيدنا اتخذ عدّة اسماء وهي — ١ . الوحيد لانه بدون اخوة وبلا مثيل — ٢ . الابن لانه ولد من الآب الأزلي قبل كل الدهور وهو لم يلد ٣ . الكلمة لانه ولد بلا وجع ولا اخلاط سالت معه من الاحشاء التي كان فيها كما تُولد الكلمة من العقل . ولأنه أخبر عن مخفيات الآب كما نُخْبر بكلمتنا عن المخفي فينا . وأيضاً لأنه لم يسبقه الآب لأن الآب لم يكن في وقت بدون كلمة — ٤ . المسيح لان الروح القدس مسحه لكونه ولد بالجسد — ٥ . يسوع لانه مخلص — ٦ . وكان طفلاً وصبياً ورجلاً كما يشهد الانجيل لانه صار انساناً فمرّ في اطوار الطفولية وفي سنّ الصبيان والشباب والرجال — ٧ . الحمل في المعمودية لانه أخذ آثامنا وغرّقها في مياه العماد كما غرّق فرعون في البحر — ٨ . الختن لانه شريكنا في العماد . وسائل كيف صدّق الناس يوحنا في تسميته السيد المسيح حمل الله ومسيحاً مع ان هيئته الخارجية لم تكن لتشهد لهُ الا بانه انسان ؟ فالجواب انهم صدقوا لحسن ظنهم بالمعمدان الشاهد اذ كان في القفار يزاول الزهد والاماتة والفضائل كما صدّق الناس فيما بعد بشارة الرسل بسبب اجتراحهم المعجزات .

﴿ ٣٠ ﴾ هذا هو الذي قلت عنه انه يأْتي بعدي رجل قد جُعل قبلي

لانه أقدم مني ﴿ ٣١ ﴾ وأنا لم أكن أعرفه لكن لكي يظهر لاسرائيل جئت أنا أعمد بالماء

اعلن المعمدان ان المسيح أفضل منه لانه له المجد يمنح بالمعمودية الروح القدس ولم يكن المعمدان يعرفه قبل ان أتى اليه واعتمد منه وكان ذلك بعناية ربانيـة . واذ انفتحت السماوات وهبط الروح على السيد علم يوحنا ان من اتاه هو الخلص . وكان لاسمه السجود قد اتى بالمعجزات الباهرة زمن مولده . الا ان يوحنا كان اذ ذاك رضيعاً فلم يعلم بها . وبناء على ذلك معنى كلامه لليهود هو هذا : لا تظنوا اني أشهد له بسبب شدة محبتي له وتعلقي به فاني لم أكن أعرفه لكن الوحي اعلمني ذلك لاني بتدبير من الله خرجت صغيراً الى القفر وبقيت فيه ثلاثين سنة فما تربيت معه ولا معرفة شخصية سبقت لي به ولذلك صدقوا ما أشهد به . والآن جئت أعمد بالماء قصد اظهاره وطلباً لتطهير القلوب وتسهيل طرق لتؤمنوا به حق الايمان . ومن البين ان الناس كانت تتقاطر الى الكارز العظيم طالبين منه معمودية التوبة واستماع مواعظه . ولم يرسل تعالى نبيه معمداً الا ليتمكن اليهود من معرفة شرف عماد السيد المسيح وما سيرسمه من ضرورتها .

﴿ ٣٢ ﴾ وشهد يوحنا قائلاً اني رأيت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء واستقرّ عليه ﴿ ٣٣ ﴾ وأنا لم اعرفه لكنّ الذي ارسلني لاعمد بالماء هو قال لي ان الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس ﴿ ٣٤ ﴾ وانا عاينت وشهدت ان هـذا هو ابن الله

يستنتج ان يوحنا وحده رأى الروح لانه يقول : اني رأيت ولم يقل قـد رأت الجموع . وأيضاً انه رآه بأعين الروح لا الجسد على شبه ما كان يراه الانبياء . لأنه لو رآه بعين الجسد لكانت الجماهير حوله رأته مثله أيضاً . وارتأى آخرون ان بعض

الناس الصالحين الذين كانوا هناك رأوا الروح أيضاً . وقال فريق آخر ان الرؤية اشترك فيها الحضور . وربّ معترض يقول : لماذا لم يؤمنوا به ان كانوا قد رأوه؟ أجيب ان اليهود لم يؤمنوا به حتى في الزمن الذي تكاثرت فيه منه العجائب والمعجزات . ثم اعلم ان الروح لم يظهر بطبيعته الازلية بل تحت شكل الحمام . وكان قد ظهر للاقدمين بشبه النار على حسب ما كانوا يفقهون اما الآن فاقتضت العناية الالهية ان يبدو بشكل الحمامة . واعتقد متين الاعتقاد ان الروح واجب له الاكرام عينه الذي للابن لانه لايقلّ درجة عنه . وقد اعلن المعمدان ان الآب أرجعه من البرية بالهامه السماوي . وبالهامه أيضاً افهمه ما العلامة التي يستدلّ بها على السيد المخلص . ومن الأكيد ان الابن لم يكن محتاجاً لحلول الروح عليه لكن ليراه يوحنا ويشهد له فلا يكذّبه سامعوه . وأيضاً لم يحلّ الروح على السيد المتعمد الا ليعرفه الناس وينتفي من عقولهم ان الابن دون يوحنا لاغيره .

ولما كانت اثبات لاهوت السيد المسيح غاية الانجيلي أولاً . وأيضاً غاية المعمدان الذي كان في اعماله وقوله كلها يرمي الى اثباتها اختصر كرازته بقوله عاينت وشهدت ان هذا هو ابن الله . فبعد ان سماه حملاً سماه ابناً أيضاً ليثبت عظمته ولاهوته وانه مخلص البشر وربهم وشفيعهم الذي لا ترد شفاعته وقد تأنس لنجاتهم من الويلات

﴿ أيضاً في شهادة المعمدان ودعوة بطرس واندراوس ﴾

﴿ ٣٥ ﴾ وفي الغد أيضاً كان يوحنا هناك هو واثنان من تلاميذه

مقصد الانجيلي ان يبين كون المعمدان اتبع ترتيباً في كرازته وظلّ أياماً كثيرة يدعو الناس الى يسوع المخلص . ففي اليوم الأول جاء السكهنة واللاويون اليه وألقوا سؤالهم كما مرّ ثم في اليوم الثاني رأى يسوع مقبلاً اليه فسماه حمل الله . وفي هذا اليوم عينه اعتمد له المجد ولم يروِ الانجيلي ظروف العماد لأن الانجيليين السابقين رووها وهو لا يذكر الا ما نقصوا فيه كما انه لم يروِ ماوقع للمعمدان من السجن والاستشهاد .

ومن المعلوم ان السيد ذهب حالاً بعد عماده الى البرية وعند رجوعه ظهر ليوحنا ولاثنين من تلاميذه . فيكون معنى في الغد أي بعد زمن أو في يوم آخر . اعتراض : لماذا قال الانجيلي في الغد مع وجود أيام عديدة بين المعمودية والشهادة الآتي ذكرها التي وقعت بعد تجربة السيد في البرية . حله . عادة الكتاب أن يقول مثلاً : في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان مع ان ستاً وعشرين سنة مرّت بين الحادثين . وأيضاً أن يقرن بين خراب أورشليم وانتهاء العالم وما بين الأمرين زمان بالغ نهاية الطول . فاستخدم الانجيلي الطريقة عينها . وكأنه أراد تنسيق الحوادث نعين لكل منها يوماً أي الأول لسؤال الفريسيين والثاني بالعماد المخلصي والثالث وهو الأول تاريخاً بعد رجوع السيد من البرية لتسميته حمل الله . والرابع لذهابه الى الجليل . والخامس لعرس قانا الجليل

﴿ ٣٦ ﴾ فنظر الى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله

استخدم المعمدان لا قوى نفسه فقط بل جوارحه أيضاً للكرازة بالسيد المسيح وها الآن ينظره ماشياً فيدلّ عليه لا بالصوت والكلام فقط بل بعينيه ويديه ووجه طافح سروراً . وقد مرّ بنا انه دعاه حمل الله . والآن يراجع التسمية ليجعلها راسخة في قلوب سامعيه وأكبر اقبالاً على اتباع ابن الله . واننا نرى السيد المسيح يصون السكوت كالعريس ولا يتكلم ولكن آخرين يكلمون العروس بدله ليأتوا بها اليه . فان يوحنا يخاطب البيعة أي نفوس المؤمنين ليجعلها تابعة عريسها . وكما ان العروس لا تسعى وراء خاطبها ولو ملكاً أعلى منها درجة . كذلك السيد نزل من السماء وخطب البيعة ليصعدها الى دار الخالدة

﴿ ٣٧ ﴾ فسمع التلميذان كلامه فتبعا يسوع

كان خطاب المعمدان أو شهادته أمام الجميع لا بينه وبين التلميذين ولأجل ذلك

عرفا أن لا غش فيها فأظهرا الخضوع لمعلمهما ومضيا وراء يسوع الذي يعمد بروح القدس ويحمل خطايا البشر . وهما طالبان بكبير الرغبة أن ينالهما نصيب أوفر من تعاليمه وأن يتقدما أكثر في مدرسته . أما من سواهما فما تبعوا يسوع بسبب الحسد الذي استولى على قلوبهم . ودليل ذلك مما قالوا فيما بعد ونصه يا معلم ان الذي شهدت عنه يعمد أيضاً . وأيضاً لماذا نحن نصوم وتلاميذ المسيح لا يصومون . فيتضح هنا ان ارادتنا هي التي تنفر عن هبات الله لكنها متى شاءت نيلها وجدتها بالقرب منها تابعة لها ومساعدة على الرغبة الصالحة .

﴿ ٣٨ ﴾ فالتفت يسوع فرآهما يتبعانه فقال لهما ماذا تريدان فقالا له رابي الذي تفسيره يامعلم أين تسكن ﴿ ٣٩ ﴾ فقال لهما تعاليا وانظرا فأتيا ونظرا حيث يسكن وأقاما عنده ذلك اليوم . وكان نحو الساعة العاشرة

لم يسأل السيد تلميذيه وهو فاحص الكلى والقلوب الا أولاً ليطمئن قلباهما فيطلبان منه ما يريدان بثقة ليمهدا الى استماع بنادمه ويزيل خجلهما ولم يكونا من قبل من المتعاملين معه لا سيما وان المعمدان كان قد أخبر عنه له المجد الأمور العجيبة . وقد صدر السؤال عن المسيح كانسان لا يعرف مع أنه عالم بكل الأمور قبل حدوثها . وقد سألاه أولاً عن محل اقامته كأنهما يطلبان منه السر عما يريدانه وسمياه معلماً لرغبتهما في أن يصيرا تلميذين له واننا نعلم ان يسوع الاله المتأنس الذي لا تسعه السماوات قد أقام ببيت لم يكن له . فدعاهما الى مأواه قصد أن يأنسا به ويظهر لهما انهما مقبولان عنده . فالوقت تبعاه ولما كانت الشمس قد دنت من الغروب وكانت الساعة العاشرة باتا عنده قصد ان يسمعا تعليمه ويستفيدا من كلامه وكانت رغبتهما في الاستفادة كبرى حتى ان احدهما خرج ليصطاد سامعين آخرين ويأتي بهم الى يسوع . وانظر ما أعظم ما كان اجتهاد السيد في الكرازة والتعليم فانه كان في كل زمن يبشر بملكوت الله سواء

طالع في الكتب ان الخلاص يظهر من بيت لحم. فأجاب فيلبس بما قاله اندراوس لسمعان وعمل نثنائيل ما عمله سمعان أي انه قبل الى يسوع بشوق مفرط

﴿ ٤٧ ﴾ ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً اليه فقال عنه هذا هو في الحقيقة اسرائيليّ لا غش عنده ﴿ ٤٨ ﴾ فقال له نثنائيل من أين تعرفني . أجاب يسوع وقال له اني قبل أن يدعوك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك

بعد ان بكّت نثنائيل فيلبس عن تصديقه ان من الناصرة شيئاً صالحاً احتقر كل عاطفة بشرية وأتى فكرم خفي فمدحه السيد على خلوص نيته من الغش وجذبه اليه لم يبتدىء باعلامه انه وُلد في بيت لحم لا في الناصرة لئلا يكون له سبباً لزيادة الشك بل أعلمه انه عارف به من قبل وباسمه وبالموضع الذي كان فيه وبدعوة فيلبس له وبزمن خطابهما معلناً انه مطلع على الخفايا وانه رآه بالروح وبالتالي انه أعظم من الناس وانه اله . وروى بعضهم ان نثنائيل هو برتولماوس . وقد كان عارفاً بالكتب المنزلة كما يستبين ذلك من اجوبته . قيل انه قتل انساناً في أيام شبابه ثم حفر تحت التينة وطمره ولما كشف المسيح له الغطاء عن هذا الأمر اعترف نثنائيل بانه اله . ومن المعلوم ان السيد أشار اشارة خفية الى الحادث الا ان مخاطبه فهم الاشارة من دون ابطاء . وروى فريق آخر ان عندما قتل هيرودس اطفال بيت لحم اخفت أم نثنائيل ابنها تحت التينة فنجا ولهذا المعنى ذكر مخلصنا التينة

﴿ ٤٩ ﴾ أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله أنت ملك اسرائيل ﴿ ٥٠ ﴾ أجاب يسوع وقال له لأني قلت لك اني رأيتك تحت التينة آمنت انك ستعاين أكثر من هذا ﴿ ٥١ ﴾ وقال له الحق الحق أقول لكم انكم سترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر

شعر نثنائيل بأن السيد عالم بالخفيات علم الله بها فقال له أنت ابن الله . وسائل

لماذا لم يطوّبه السيد المسيح كما طوّب سمعان بطرس عند اعترافه به انه ابن الله: فالجواب ان الاعترافين مختلفان لأن بطرس أراد اعلانه ابناً طبيعياً لله ونثنائيل أعلنه ابناً بالنعمة لا غير أو انساناً لا أكثر ودليل ذلك انه اتبع كلامه بقوله: أنت ملك اسرائيل الذي ينتظر الجميع مجيئه. اما ابن الله الطبيعي فهو ملك الخلائق كلها لا اسرائيل وحده. فلأجل هذا السبب لم ينل نثنائيل الطوبى. وكأن السيد له المجد أراد اعلان انه اله فأعلم ان السموات تكون مفتوحة وملائكة الله تصعد اليها وتنزل منها على الأرض معترفين بانه اله ولو ظهر انساناً. وقد تحقق هذا القول في زمن الميلاد الخلاصي أولاً ثم عندما غلب له المجد ابليس اللعين بصلبه وقبره وصعوده. وتأمل ما الطف سيدنا وحنانه فانه يرفع أفكار مخاطبه من الأرض الى أعلى ليجذبه الى الاعتراف به بانه اله وكأنه يقول له: مَن تخدمه الملائكة أتعده انساناً فقط. كلاّ بل هو أعظم.

الاصحاح الثاني

﴿ في عرس قانا الجليل ﴾

﴿ ١ ﴾ وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك.

قال موسى ابن الحجر ان هذا اليوم الثالث ليس الثالث بعد العماد لكن الثالث بعد رجوعه من البرية. اما القديس ايوليطوس بابا رومية فقد رتب الأيام بان قال: اليوم الأول هو ذاك الذي تبع فيه التلميذان السيد المسيح. والثاني هو يوم خروجه له المجد الى الجليل والثالث هو يوم العرس. وتجاسر أحد المراطقة المدعو غايوس على التنديد بيوحنا لانه خالف قول الانجيليين السابقين الذين أثبتوا ان السيد بعد عماده مضى الى الجليل حيث عمل معجزة الخمر. ولكن ايوليطوس أجاب هذا الضالّ بان بيّن موافقة الأناجيل الأربعة قال ما معناه: خرج السيد بعد عماده الى

البرية ولما كان تلاميذ يوحنا والشعب يتناظرون فيمن هو رجع بعد أربعين يوماً وتراءى ليوحنا الذي سمّاه حمل الله . وفي مدة غيابه فتش الناس عنه كثيراً ولذلك رأى الرجوع اليهم وفي اليوم الثالث لرجوعه كان العرس في قانا فلا مناقضة البتّة بين كتبة الأناجيل الأربعة . وان سألت : عرس مَن كان؟ اجبتُ مع مارساويرس انه كان عرس نيقوديموس وكان رئيس المتكأ لعازر الذي من بيت عنيا . اما قانا فهي مدينة في بلاد الجليل

﴿ ٢ ﴾ فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس

قال يوحنا الذهبي ان السيد المسيح كان معروفاً في كل الجليل ولذلك دعوه وأمه الى الحضور في احتفال العرس . وقال يعقوب السروجي انه لهُ المجد أمهل أن يدعوه فدُعي كسائر الناس وقصد بمجيئه فائدة الحاضرين . وكما انه أخذ شبه العبد وهو سيد الجميع بدون استثناء كذلك شاء أن يتكي مع الخطأة في العرس حتى اذا أتى بالمعجزة الباهرة اعتقد الناس بانه الصحتاً وايضاً أراد أن يعلن ان الزواج طاهر مقدس ثم رأى الفرصة سانحة ليدعو الناس الى استماع تعاليمه والايمان به . وقد أعطى لاسمه السجود مثالاً صالحاً للأغنياء حتى لا يصدوا عن الاختلاط بالفقراء اذا دُعوا معهم الى اجتماع ما .

﴿ ٣ ﴾ وفرغت الخمر فقالت أم يسوع له ليس عندهم خمر

قال القديس يوحنا ان المسيح لم يعمل قبل عماده آية غير انه جلس بين العلماء في الهيكل وعمره اذ ذاك اثنتاعشرة سنة فأدهشهم بحكمته . لأنه لو أتى بالمعجزات لما احتاج الى شهادة يوحنا ليصير معروفاً وانما صدّ عن عمل الآيات في سني شبابه لئلا يُقال عنه انه خيال وقد قالوا عنه ذلك بعد ان نظروا تدابيره وأعماله مع انه ظهر واضحاً انه ينمو بالجسم وانه في سن الرجال ولو عمل آيات في صباه لشنّع كثيراً في حقه المنافقون واليهود الطالبون أن يقتلوه . أما مار ساويرس فقد قال ان أعجوبة قانا هي الأولى بعد عماده لهُ المجد لكنه أتى بعجائب

في أماكن أخرى كتكسيره الأصنام عند دخوله مصر. لكنا نخالف هذا الرأي وننضم الى رأي يوحنا الذهبي ثم نقول معه ان العذراء مريم كانت عالمة حق العلم مما رأته في الحبل به وفي ولادته انه قادر على كل شيء وعلى اتيان معجزة فلذلك قالت له ان ليس عندهم خمر. وقال مار يعقوب السروجي عن لسان العذراء: كما انه حبل به بلا زواج وأجرى الحليب من ثديّ كذلك هو قادر أن يملأ الأجاجين خمراً بدون احتياج الى عنب الكرمة. وذكر مار افرام انه له المجد أعلمها قبل أن يمضيا الى العرس ان الخمر ينقص وانه سيعمل معجزة لايجاده أي يحوّل الماء خمراً ولهذا السبب ذكرته بما قاله لها. وقال آخرون انها سمعت ما قاله يوحنا عنه فعلمت انه قادر على صنع الآية فطلبتها منه رحمةً لأهل المنزل وطلباً للافتخار به على شبه ما أراد اخوته عند ما قالوا له: اظهر نفسك للعالم أي اصنع العجائب وقصدهم أن يمجدهم الناس بسببه

﴿ ٤ ﴾ فقال لها يسوع مالي ولكِ يا امرأة. لم تأتِ ساعتي بعد

يمكن تأويل هذا الجواب بأمرين الأول انه انتهرها لان طلبها ليس روحانياً وانما يصدر عنها كصدور الأوامر عن الأمهات اللواتي اعتدن أمر أولادهنّ ومن واجبها أن تسجد له لا ان تأمره بإتيان المعجزات لأن عملها مختص بالله وحده الذي يفعلها متى يشاء وحيثما يشاء وكأنه قال لأمه: اياكِ أن تجري مرة أخرى على هذا المنهاج. وانما سبب انتهاره الآ يظن به الناس انه يفتخر بصنع المعجزات افتخاراً باطلاً بل يصنعها منقاداً لروح الخير والافادة. الثاني أراد أن يفهمها ان الواجب أن يطلب منه الآية المحتاجون اليها لا ان تطلبها هي ليروا الأعجوبة ويقدروها حق قدرها. فيكون جوابه لا جواب من ينتهر بل من يعين أمه وأهل المنزل على الطلب. أما قوله لم تأتِ ساعتي بعد فليس المعنى ان الأزمنة والساعات تحصر عمله أو تصدّه عن العمل فهو خالقها ويتصرّف بها كما يريد بل انه يفعل كل شيء في وقته وان أفعاله انما تجري في الزمان المناسب لها فيكون المعنى: أني سأعمل الآية في الساعة التي أعرفها موافقة والى الآن لا يعرفني أهل المنزل والا كانوا التمسوا مني معجزة فانتظري يا أمي الآن –

وبعبارة أطول : أتأخر عن صنع الآية حتى يعلم أهل البيت نفاد الخمر ونقصانه فتكون معجزتي اذ ذاك كبيرة القيمة في أعينهم ثم ان المدعوين أجمعين لا علم لهم بنفاد الخمر فأترك لهم الوقت ليشعروا بذلك قصد أن يمدحوا ترأفي بهم ويمدحوا عملي والمشروب الذي يقدّم لهم . ثم انه له المجد صنع المعجزة ليظهر انه غير خاضع للزمن والساعة وليكرّم والدته المجيدة ويزيل عنها الخجل وقال فريق ان معنى كلامه لم تأت ساعتي . انه ليست الآن ساعة خروجه من البيت وقد علم ان الخمر نفد ثم هو باقٍ لا يخرج وانه مستعد أن يصنع الآية ولهذا السبب قالت مريم للخدم اعملوا مهما يأمركم به . وفسر فريق آخر تفسيراً مخالفاً قالوا ما معناه : لماذا تطلبين أن أصنع هذه الآية . ولا نفع للطلب . فأنا ذو قوة وحول أصنع المعجزات عند حلول زمنها سواء طلبت أم لا وانكِ ترين الأمور رأياً بشرياً أما رأيي فالهي . ثم صنع المعجزة ليعلمنا طاعة والدينا . وقال مار افرام ان السيد لم ينتظر الساعة ليستعين بها على العمل الاّ انه كان منتظراً الساعة الأولى من السنة المقبولة التي بشر بها أشعيا فلما حلّت صنع معجزته . وقال القديس فيلكسينوس : أراد السيد تعليم أمه انه لم تأت بعد الساعة التي يلزمه اعلانها فيها أن : لست أمي بالطبع وبالتالي يلزم ألاّ تخاطبيني كما تخاطب الأم ابنها الطبيعي . ومن المعلوم ان السيد عاش مع والدته وأطاعها وأكرمها وولد منها حقاً أما هنا فطلب منها ألاّ تلزمه بان يكشف لها أمام الناس انه ليس ابنها بالطبع بل بالتدبير . لأن ساعة هذا الكشف هي عندما كان على الصليب معلقاً فالتفت اليها والى يوحنا الحبيب قائلاً : أيها الشاب هذه أمك . وقد قال بعضهم ان معنى الآية : لم تأت ساعتي . أنتظر قليلاً لعمل اعجوبة الخمر التي تطلبينها .

﴿ ٥ ﴾ فقالت أمه للخدام مهما يأمركم به فافعلوه

كيف أوصت مريم البتول الخدّام بالطاعة لابنها ان لم تكن متأكدة انه سيجترح الآية . فقد قال القديس يوحنا الذهبي الفم : انها عرفت انه مريد وقادر ثم أرادت أن تنفي عنه وصمة التكبر عليها من جرى جوابه ولذلك قالت للخدام

ما قالت وهي واثقة ان ابنها سيعمل ما طلبت ولكنها انتظرت قليلاً الى ان نفد الخمر كله وعرف الناس الحضور نفاده . وقال ما رافرام ان السيد أفهمها انه سيعمل المعجزة وانه سبق فأخبرها انهم سيحتاجون الى خمر والاّ ما كانت طلبت منه شيئاً . وما أبدع كلام يعقوب السروجي ونصه : وان كان السيد قد امتنع ظاهراً الاّ انها تقدّمت الى الخدم وأمرتهم بان يملأوا الأجاجين ماءً لمعرفتها معرفة يقين ان من جعل الحليب في ثديها سيبدل الماء خمراً

﴿ ٦ ﴾ وكان هناك ست أجاجين من حجر موضوعةً بحسب تطهير اليهود تسع كل واحد منها مترين أو ثلاثة ﴿ ٧ ﴾ فقال لهم يسوع املأوا الأجاجين ماءً فملأوها الى فوق

انما وضعت الاجاجين لان بلاد فلسطين خالية من الينابيع والأنهر والناس في عرس يحتاجون الي التطهير من النجاسة والغسل لكثرة وفودهم والظروف الداعية لذلك كما اذا أصابهم احتلام أو مسوا ميتاً وما أشبه . وبما ان هذه الأجاجين كانت معدّة للتطهير عُرف ان الخمر أو عصيراً آخر لم يدخلاها وان سألت ما كانت تسع ؟ اجبتُ ان المترين أو الثلاثة تقدّر بمئة جرّة ماء ثم ان أردت ان تعلم لأي الاسباب أمر بأن تملأ ماءً ولماذا لم يخلق فيها الخمر من دون مادة سابقة أقول : انما فعل ذلك لئلا يظن الناس ان آيته خيال لاحقيقية لها . ثم قصد ان يرى الجمهور بعذبه التبديل الذي حدث وكما انه سبحانه هو الذي يصعد الحيـاة في أغصان الكرمة لتعطي عنباً فيعصر خمراً كذلك بدّل مادة الماء بمادة الخمر سداً لتخرّصات تباع ماني القائل بوجود خالقين في العالم أي خالق الخير وخالق الشرّ لأنه لو كان للشر خالق لما قوي على أن يأخذ من أعمال خالق الخير ليعان بها قوته وبعبارة أخرى لما قدر يسوع على ان يأخذ ماءً وهو خير ليحوله خمراً وهو شرّ على زعمهم . وانك ترى ان السيد أمر الخدّام بوضع الماء في الأجاجين ليكونوا شهداء على آيته ولئلا يتهمه متعنّت بانه أتى

هو بالخمر ووضعه فيها . قال القديس افرام : لو لم يكن لهُ المجد قد قال لأمه اني صانع المعجزة لما أطاع الخدّام أمره وملأُوا الست الأجاجين رغماً عما وصفهم به العذراء الطاهرة . ومن عبارات مارساويرس : لم يأمر تلاميذه بأن يملأُوا الأجاجين بل أمر الخدّام الذين هم شهود غرباء عنه . وقد ملأُوها الى فوق حتى لا يبقى محل ليخلط أحد فيها الخمر فصاحت على رأي بعضهم طافحة على مثال ما ترى كيلاً طافحاً حتى فوق أطرافه فاستدل من هنا على عظم الاعجوبة

﴿ ٨ ﴾ فقال لهم استقوا الآن وناولوا رئيس المتكأ فناولوا ﴿ ٩ ﴾ فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المحوّل خمراً ولم يكن يعلم من أين هو وأما الخدام الذين استقوا الماء فكانوا يعلمون دعا رئيس المتكأ العروس ﴿ ١٠ ﴾ وقال له كل انسان انما يأتي بالخمر الجيدة أولاً فاذا سكروا فمئذ ذلك يأتي بالدون أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة الى الآن

رئيس المتكأ ليس مَن يجلس في صدر المجلس بل هو رجل ذو خبرة ومهارة يفوض اليه تنظيم الحفلة ويذوق المأكل والمشرب قبل توزيعه على الحضور فهذا عندما ذاق الخمر وجدها لذيذة جداً قال القديس الذهبي الفم: لم يرَ الآية عند اجتراحها كلها مَن في العرس بل عرفها أولاً الخدم ثم بلغت بالتدريج الى الجميع وكانت الخمرة فائقة في الحسن والجودة ليس في الخمور الطبيعية ما يفضلها ومن أوصافها انها جديدة عتيقة . جديدة على ذوق الحضور الذين ما شربوا مثلها لا في العرس ولا في حياتهم ولأنها صُنعت جديداً بأمر الله . وعتيقة أي تفوق بلونها ورائحتها وتركيبها كل مشروب معروف . قال القديس افرام ان طعم الماء تغير خمراً اما لونه فبقي كما هو . وقال أيضاً ان في كل من الاجاجين كان نوع الخمر مختلفاً طعماً ورائحة . وما كان جواب العريس على ملاحظة رئيس المتكأ فان الانجيلي لم يروِهِ لعدم لزوم معرفته اذ ان المقصود من الرواية المعجزة الباهرة لاغير . وانما سُئل العريس ولم يسأل الخدّام لتكون الشهادة

أكثر تحققاً وهذا ما شاءهُ المسيح فضلاً عن ان الخدام لا يصدّقون عادة في اثباتهم . قال الذهبي الفم لم يعرف بالمعجزة الاّ الخدام والعريس ورئيس المتكأ . اما القديس افرام ومار يعقوب فخالفاه وقالا ان كل الحاضرين عرفوها . وفي المعنى الرمزي كان الخمر الأول ممثلاً للناموس اما الخمر الذي صنعه السيد فدالّ على الانجيل

﴿ ١١ ﴾ هذه الآية الأولى صنعها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه

هذه الآية هي الأولى بالنسبة الى المعجزات التي عملها السيد فيما بعد في قانا لأنه اشفى فيها عبد الملك وأتى بعجائب أخرى . وقال مار افرام ان هذه هي الآية الأولى الظاهرة لأنه له المجد كان مواصلاً عمل الآيات وهو مدبّر القوات العلوية والدنيوية . وقال القديس الذهبي ان الجميع لم ينتبهوا حق الانتباه للآية وما عرفوا مجده حق معرفته الاّ انهم علموا بالعمل العظيم الذي يُذكر في العالم ما دام الناس فيه أما التلاميذ فكانوا من ذوي الرأي السديد فهدتهم المعجزة الى الايمان بالسيد ولو ان بعض أصحاب العقول المتكبرة أبوا الاّ انكار الفضل واتباع الظلم

﴿ ذهاب يسوع الى كفر ناحوم ثم الى أورشليم وطرده الباعة من الهيكل ﴾

﴿ ١٢ ﴾ وبعد هذا انحدر الى كفر ناحوم هو وأمه واخوته وتلاميذه ولبثوا هناك أياماً غير كثيرة ﴿ ١٣ ﴾ وكان فصح اليهود قد قرب فصعد يسوع الى أورشليم ﴿ ١٤ ﴾ فوجد في الهيكل باعة البقر والخراف والحمام والصيارفة على موائدهم

نزل السيد الى كفر ناحوم قصد أن يريح أمه فلا تجول معه في الأماكن البعيدة التي يقصدها ليكرز فيها . وافهم باخوته اولاد يوسف . واعلم انه له المجد اعتمد في شهر كانون الثاني ثم صام وعند رجوعه لم يطل الاقامة حتى رجع الى الجليل وحضر

العرس ثم في نيسان صعد الى أورشليم لأن الناموس كان يأمر أن يحتفل الناس بالاعياد في هذه المدينة . فوجد له المجد في الهيكل باعة الخرفان والبقر والصيارفة . وكان الفريق الاول يبيع الحيوانات لذبحها تقرابين . والفريق الثاني لصرف المال اذ كان يعد الهيكل بيت تجارة (طالع بقية القصة في شرح انجيل متى ٢١ : ١٢ و١٣) ومن المختلف عليه ان متى يضع هذا دخول السيد في عيد الفصح قبل آلامه ومن نص انجيل يوحنا نرى الخلاف . فلحل هذه الصعوبة قل اما ان السيد أخرج الباعة من الهيكل مرتين الاولى في بدء كرازته كما هو مسطور هنا والثانية في آخرها كما روى متى. واما متى غير الزمن وما يجب أن يكون زمن العماد وضعه زمن الآلام لان العماد دليل على الآلام واعلم ان مخلصنا منذ ان ولد حتى عماده في سن الثلاثين حفظ رسوم الناموس الطبيعي والمكتوب وانتصر على كل خطية ولم يكن في جسده حركة شهوة ولا في نفسه ميل الى شيء من المعصية لانه ليس مولوداً من زواج فلا تدغدغه شهوة

﴿ ١٥ ﴾ فصنع صوتاً من حبال وأخرج جميعهم من الهيكل والخراف والبقر أيضاً ونثر دراهم الصيارفة وقلب الموائد ﴿ ١٦ ﴾ وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا ولا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة ﴿ ١٧ ﴾ فذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرة بيتك أكلتني

اخرج له المجد الباعة بالسوط ليبين ان الناموس بطل وان زمن الذبائح انقضى وحل محله العماد وزمن جسده ودمه الأقدسين وانه ذبح نفسه تعويضاً عن المعصية وان الذبائح الناموسية هي ظل ذبيحته ولانه أتى لا بد من ابطالها وعبادة الله بالروح والحق . أيضاً اخرج الباعة دلالة على خراب الهيكل واظهاراً غيرته على تمجيد الله وتنظيف المكان المعد لعبادته. ثم أخرج الصيارفة وقلب الموائد يطرح المال المحلل الحرام معلناً بباهر العمل سلطانه الالهي . ولما كانت الكباش تجمع للبيع والشراء لا للذبائح بكت أصحابها على مقصدهم الردي ثم دعا الله أباه وان كانوا قد سكتوا

عند سماعهم هذه التسمية فلأنهم أوّلوا انه ابن الله بالنعمة لا بالطبيعة . فامام هذه الأعمال
تذكّر التلاميذ قول داود : غيرة بيتك أكلتني

﴿ ١٨ ﴾ فأجاب اليهود أية آية تُرينا حتى تفعل هذا ﴿ ١٩ ﴾ أجاب
يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه

قال بعضهم ان اليهود خاطبوه بلين وانكر آخرون قالوا : بل بغضب ومعنى الآية : انك تريد تبطيل الذبائح التي أدخلها موسى بآيات ومعجزات من الله وأنت لا تصنع آية فكان جوابه له المجد : انقضوا هذا الهيكل الخ وهو عالم انهم يجرّبوه ولا يلتمسون الآية بخلوص النية وبإيمان القلب . وقد حسبوه مثل موسى ويشوع واليشع الذين أتوا بالمعجزات لكنه وعدهم بأن يُريهم آية موته وقيامته فأراد بنقض الهيكل موته الخلاصي وباقامته في ثلاثة أيام قيامته المجيدة من القبر . فهذه الآية الباهرة التي لم يعمل أحد مثلها ذكرها له المجد انه قادر على اجرائها وقد تمّت فعلاً . واعلم ان غياب الشمس ومضيها من الشرق الى الغرب لا يُعدّ ان آية لأن هذه حالة الطبيعة أما كسوفها ووقوفها فعجيبان وقيام الارض على لاشيء أو تبعاً لرأي على المياه ثم وقوفها ليسا بغريب في أعيننا اما تزلزلها فهو خارق المعتاد . وأيضاً من المألوف أن يلد انسان آخر ومن غير المألوف ان يلد ثوراً أسداً أو تلد فرس شبلاً واننا ندعو اعجوبة كلّ شيء يغيره الله في مألوف طبع مخلوقاته فان اظهر مثلاً في اقنومه الامور الباهرة قلنا : الامر غير عجيب لأن تلك الامور لائقة بشأنه العلي . اما ان اظهر ماهو وضيع قلنا عجباً . ولهذا المعنى ليس عندنا بالكبير ان يكون مولوداً في الأزل من الآب لكن ولادته من عذراء بالجسد وصيرورته انساناً من الأشياء العجيبة . ومثل ذلك ارتكاض يوحنا في احشاء والدته عند ملاقاة ابن الله المتأنس ومنحه العماد لسيده السامي ثم تحويل سيدنا الماء خمراً . فلمثل هذه الاسباب ذكر له المجد موته وقيامته لا سيما وانه سبق

فعرف ان الأرض ستتزلزل والصخور تتشقق والشمس تظلم والروح يخرج من الهيكل بشبه حمامة في زمان صلبه . لأنه وقع الخوف اذ ذاك على طبائع الثلاث ولا على غير الحساسة كاظلام الشمس وتزلزل الارض وتشقق الصخور ثانياً على الحساسة كالقائد الروماني ومن معه ثالثاً على الملائكة وهي الطبيعة الروحية ولم يرو الانجيليون شيئاً من هذا لانه يتعذر وصف ما يحدث للملائكة الروحيين وصفاً مادياً . وكأن سيدنا قال : عندما ترفعوني على خشبة الدار أي الصليب ويقع الشك في قلوب الناظرين اليّ ويظنون اني انسان تعرفون اذ ذاك اني اله واني واجب الوجود بالنسبة الى الاصناد التي هي كل العدم . ولكن النساطرة يدّعون ان الهيكل الذي يشير اليه السيد انما هو الانسان المسيح الذي يسكن فيه الله ونردّ ادّعاءهم بان الانجيلي قال : الكلمة صار جسداً وجاء في بولس ان الله أرسل ابنه مولوداً من امرأة وان اجابوا بأن بولس عينه قال . أخذ ابن الله شبه العبد . نقول ان ذلك مثبت لمعتقدنا بان الكلمة اخذ شبه العبد باقنومه بتأنسه من البتول وليس باقنوم آخر . ثم لو كان كلامهم صادقاً لكان يوحنا قد قال . انه يعني هيكل لاهوته ولكنه ذكر هيكل جسده لنفهم ان الجسد هو جسد ابن الله الاقنوم الثاني من الثالوث وان ابن الله هو الذي وُلد بالجسد في الزمن وتسمى يسوع ومات وقام . وان لم يرد النساطرة قبول هذا الاعتقاد فلا فضل لهم على اليهود لأن اليهود اعتقدوا انهم صلبوا انساناً وهذا هو معتقد النساطرة عينه . قال الذهبي الفم في شرحه الآية الحاضرة سمّى يسوع جسده هيكلاً لكن احذر من ان تظن ان الساكن منفرق عن المسكون فيه بل انه هو هو بعينه اله وانسان وكله يعرف انساناً وكله يعرف معاً الهاً . قال القديس فيلكسينوس ان السيد له المجد سمّى اقنومه هيكلاً وقد قال : انقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه . وفي المعنى الروحي نحن المؤمنون مع الملائكة جسد المسيح وهيكله وكلنا مجتمعون فيه ومتحدون به كما نجتمع في الهيكل ونتحد بعضنا ببعض بارادتنا لنيل الكمال حتى يكون الله كلاً في الكل وأيضاً المسيح هيكل لأن أباه ساكن فيه وفي يسوع كل اللاهوت وهو وأبوه واحد . ومن البديع تسمية النصارى المعمودين هياكل الله بالنعمة التي يعطونها وبحلول الروح عليهم .

وانا نعلم ان الله ساكن في مخلوقاته والخليقة كلها ساكنة بنوع ما فيه . لانه يحفظها ويعطيها الوجود وبدون عنايته تعود الى العدم

﴿ ٢٠ ﴾ فقال له اليهود انه في ستٍ وأربعين سنةً بُني هـذا الهيكل أفتقيمه أنت في ثلاثة أيام ﴿ ٢١ ﴾ أما هو فـكان يعني هيكل جسده ﴿ ٢٢ ﴾ ولما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بما كتب وبالكلام الذي قاله يسوع ﴿ ٢٣ ﴾ واذ كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه حين شاهدوا آياته التي صنعها

فهم اليهود كلام السيد عن هيكل الحجارة . وكانوا قد بقوا ست وأربعين سنة يعملون لبنائه وما كانت هذه المدة بلازمة لهم الآ ان الحروب المتواصلة مع مجاوريهم ألزمتهم عدة مرات بالانقطاع عن الشغل تبعاً لما رواه يوسيفوس المؤرخ فضلاً عن ان البناء الاول الذي كان أمتن وأعظم تنظيماً وحسناً لم تتجاوز مدة اقامته عشرين سنة . وأيضاً التلاميذ أعينهم لم يدركوا معنى كلام سيدنا الا بعد قيامته وحلول الروح عليهم في العلية كما شهد يوحنا نفسه . ثم ان السيد أتى بالمعجزات في هـذه المدة أمام الجماهير المتقاطرة للاحتفال بالفصح فآمن كثيرون به ولو ان ايمانهم لم يكن كاملاً كما يتضح من الآية الآتية

﴿ ٢٤ ﴾ أما يسوع فلم يكن يأتمنهم على نفسه لأنه كان عارفاً بكل أحد ﴿ ٢٥ ﴾ ولأنه لم يكن محتاجاً الى شهادة أحد عن الانسان لأنه كان يعلم ما في الانسان

كان من المحقق لدى مخلصنا ايمان الصادقين بايمانهم وعدم ايمان الكاذبين والمرائين . وقد آمن به كثيرون من أجل آياته ومجدوه كمعلم ومن جملة هؤلاء نيقوديموس الذي أتاه في الليل . ثم ان آخرين لخوفهم من اليهود كانوا يأتونه في

السرّ وخفية الظلام فما كان له المجد واثقاً بهم ثقته بتلاميذه الكاملين في تعلقهم به . ولهذا السبب لم يكن يلقي عليهم تعليمه كله لضعفهم ووهن ارادتهم وهو لا ينظر للكلام بل للقلوب والافكار . ولا يحتاج الى ان يدلّه آخر عليها لانه يفحص ما في طيات الكلى ويعلم مستورات الضمائر

الاصحاح الثالث

في محادثة يسوع ونيقوديموس

﴿ ١ ﴾ وكان رجل من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود
﴿ ٢ ﴾ فجاء الى يسوع ليلاً وقال له يا معلم نحن نعلم أنك أتيت من الله معلماً لأنه لا يقدر أحد أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعملها ما لم يكن الله معه

نيقوديموس كان تابعاً لهرطقة الفريسيين ومن رؤسائهم وكان في بدء أمره يميل الى السيد المسيح ومن مبادئه ان لا يحكم الا بعد سماعه الأمور وتحقيقها . وهو الذي جاء بالحنوط لتكفين جسد المخلص ولو انه مستوجب الملامة الا انه لم يكن كغيره من تابعي مذهبه بل كان ممن آمنوا سراً وخافوا الاعتراف جهاراً لئلا يصيروا خارج الجماعة ولذلك يروي الانجيلي انه جاء ليلاً الى يسوع لما كان مبتلى به أيضاً من المرض الأدبي السائد على اليهود . ثم ولو انه أقرّ للسيد بانه أتى من الله فلم يوبخه له المجد على ضعفه ولم يقل له : ان كنت تعتقد اني من الله فلماذا تأتيني ليلاً وما ذلك لا ليتم كلام الانبياء من انه لاسمه المجود لا يكسر قصبة مرضوضة وهنا القصبة هي نية نيقوديموس المتقلقلة غير الثابتة فلم يرد المسيح كسرها أي لومه على عمله وأيضاً لم يرد أن يصلح له عبارته الدالة على أن المسيح محتاج الى معونة الله وبالتالي انه غير الله بل تركه مدة في درجة ادراكه السفلى الأرضية لئلا يصعب عليه سماع لفظ ابن الله الطبيعي وظهر له بالأعمال سلطانه الالهي وما خاطبه الا بما يلائم

به فهمه شيئاً فشيئاً الى اقتباس الحقيقة كلها

﴿ ٣ ﴾ فأجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك ان لم يولد أحد ثانيةً فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله

كلمه سيدنا بصورة الغائب حتى لا يمس عواطفه بأذى وقال : ان لم يولد الانسان من المعمودية المعدّة كولادة ثانية وبالتالي ان لم ينل بواسطتها هبات الروح القدس فلا يقدر أن يفوز بالايمان بلاهوتي وبالملكوت الخالد . وكما ان المرء بولادته من المرأة يرى العالم المنظور الحاضر هكذا بولادته من العماد يصبح كأنه ناظر المملكة الروحية السماوية لانه يدرك اذ ذاك مادي . اعتراض . كثيرون لم يعتمدوا ونالوا الملكوت وهم ابراهيم وهابيل والانبياء أجمعون . حلّه : ان سيدنا لم يقل عن الذين كانوا في الماضي بل عن الذين سيولدون أي من زمن مجيئه فصاعداً من لم يولد من الماء والروح فلا ينال السماء وافهم هذه العبارة بأن الأعمال الصالحة في المميزين لازمة ضرورة للحصول على سعادة الملكوت ولذلك لا تحمل الآية على اطلاقها من دون قيد . وبهذه العبارة شاء السيد ان يبعد مخاطبه عن التفكّر بميلاد الجسد وان يجذبه الى الايمان . وفسر آخرون الآية بما يأتي : جبلتُ الانسان من طينٍ وماء فتبع الفساد والآن أريد أن أجبله من ماء وروح ليتبع الصلاح وأنا الخالق في الحالتين وقد صار الانسان في الاولى نفساً حية والآن اجعله روحاً محيياً . وان سألت هل من تبرروا باعمالهم بدون عماد يحرمون الملكوت ؟ اجبتُ : كلاّ ومنهم اص اليمين الذي لم يعتمد اما من اعتمد فانه يرث الملكوت بشرط ان لا يشرد عن الهدى والصواب فان كثيرين مدعوون اما المختارون فقليلون . وكما ان الشبكة جمعت كثيراً من الاخيار والاشرار ثم طرح الصيّاد الاشرار كلهم هكذا الكنيسة تجمع بالعماد من كل شعب وجنس ثم من يتهاون منهم ولا يتجرد من البالي والعتيق فيه متمسكاً بالفضيلة

[illegible] المصير

﴿ ٤ ﴾ فقال له نيقوديموس كيف يمكن أن يولد انسان وهو شيخ ألعله يقدر أن يدخل جوف أمه ثانية ويولد ﴿ ٥ ﴾ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان لم يولد أحد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله

يانيقوديموس انك تسمّي يسوع معلماً فلِمَ لم تقبل كلامه ولِمَ تظهر عدم ايمانك وارتيابك في كلامه وتسأله كيف يتم ذلك : فان كان الله يريد أمراً ألا يمكنه أن يفعله . ألا تفقه ان السيد يكلمك على الميلاد الروحاني لكنك رجل باقٍ غارقاً في الماديات واسمع الآن جوابه الذي معناه كما ان الله يجبل الولد في الاحشاء بالميلاد الطبيعي كذلك في العماد يكون الماء بمقام الاحشاء والروح بمقام الجابل ولهذا المعنى يسمّى العماد ميلاداً ثم ان القيامة يقال لها أيضاً ولادة لان الذي يقوم بعد ان مات كأنه يخلق ثانية ويُولد من جديد

﴿ ٦ ﴾ ان المولود من الجسد انما هو جسد والمولود من الروح انما هو روح ﴿ ٧ ﴾ لا تعجب من قولي لك انه ينبغي لكم أن تولدوا ثانيةً

المولود من الجسد ينسب الى الجسد فيقال له جسدني وكذلك المولود من الروح يُقال لهُ روحي فبهذه الأقوال يبعد السيد مخاطبه عن الجسديات والماديات . وتسأل كيف ان جسد سيدنا وُلد من الروح مع انه لحم ومادة ؟ أجيب انه لم يُولد من الروح فقط بل من جسد العذراء الطاهرة أيضاً . ولو لم يكن هذا صادقاً لما مست الحاجة الى أن يرسل الله ابنه مولوداً من امرأة . وكان لهُ المجد عارفاً بقلق النفس المضطربة في نيقوديموس وعالماً بأن الشك سائداً فيها لغلاظة ادراكه الفريسي وها يأخذ يبين لهُ الحقيقة بالامثال والتشابيه بشيء يقرب من الروح ويبتعد ولو بالظاهر عن كثافة المادة

﴿ ٨ ﴾ فان الروح يهبُّ حيث يشاء وتسمع صوته الا أنك لست

تعلم من أين يأتي ولا الى أين يذهب هكذا كل مولود من الروح

قال قوم ان المراد بالروح هنا الريح المخلوقة ودليل ذلك أن ينسب له صوت ومشيئة وهبوب أما المشيئة فلا تعني الارادة الحرة هنا بل قوة الريح الشديدة التي تعصف ولا أحد يقوى على ضبطها وعادة الكتاب المنزل أن ينسب ارادة للغير المحسوس أيضاً فيقول مثلاً الخليقة خضعت للباطل بارادتها . وافهم بالصوت هبوب الأرياح وضجيجها التي تسمعها وأنت جاهل من أين تأتي والى أين تنتهي . فمعنى تشبيه السيد يكون هذا : ان كانت الريح المتحركة في الفضاء لا يدرك الانسان هبوبها واتجاه حركتها مع انه يسمع لها صوتاً فكيف يفتش عن فعل روح الله . وان كان المرء عاجزاً عن ضبط هبوبها فبأولى حجة لا يقوى على ضبط فعل روح الله ولا يفيده في ضبطه ناموس أو حدود طبيعية أو شيء آخر أياً كان . وقال فريق انه المفهوم بالروح هنا الروح القدس الذي هو اله غير محدود فلا يعرف الانسان مكانه وانتقاله ومجيئه وذهابه لأنه مالئ المسكونة ومن ثم اعلم ان لهذا الروح مفاعيل ثلاثة الأول قبل العماد فان أهل بيت كرنيليوس قبلوه قبل أن يغتسلوا بماء هذا السر . الثاني بعد العماد كما قبله أهل السامرة . الثالث في فعل العماد كما يقبله الناس اليوم . وقد دل على سلطة الروح بقوله يهب حيث يشاء لأنه كامل كل الكمال ولا أحد يقدر عليه وهو قادر على الكل . ثم دل على أفعاله العجيبة بذكره صوته فالرجل الروحاني يفهم هذا الصوت ويشعر به كما شعر به الرسل الا ان الرجل الحيواني لا يدركه . وأخيراً دل على انه غير محدود بالقول : انك لا تعرف من أين يأتي ولا الى أين يذهب فهو غير مدرك كالآب والابن . فمعنى الكلام يكون : ما أقوله لك الآن يا نيقوديموس من الشروح والأدلة كله روحي وكذا المولود من الروح روحي أيضاً ليس فيه مادة كما في الولادة الطبيعية .

﴿٩﴾ أجاب نيقوديموس وقال له كيف يمكن أن يكون هذا ﴿١٠﴾ أجاب يسوع وقال له أتكون معلماً في اسرائيل ولا تعلم هذا ﴿١١﴾ الحق

الحق أقول لك اننا انما ننطق بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا

وبخ سيدنا مخاطبه المتقدّم نفسه معلماً لاسرائيل وكأنه يريد ان يذكّره بأقوال الأنبياء وبالحوادث العجيبة التي وقعت في القديم وكلها رموز للميلاد المسيحي من ذلك مجاز آل اسرائيل في البحر وفي الأردن وتطهّر نعمان وتشابيه الأنبياء العديدة القائلين: الشعب المولود الذي يصنعه الرب أيضاً يجدّد شبابك مثل النسر وأيضاً أصبّ عليكم ماءً طاهراً وأعطيكم روحاً جديدة وما أشبه ذلك . وكان نيقوديموس عارفاً بكل هذه ولذلك قال له سيدنا : ننطق بما نعلم أي أنت انما تعرف ما رأيت أو ما سمعت أما أنا فاني اله ناظر الى المخلوقات كلها وعارف بما هي عليه ومعرفتي أعلى من معرفتك التي هي صادرة في مبدائها عن الحواس . وقد تكلم سيدنا بضمير الجمع اما لأنه شمل معه الآب والروح واما لأنه يتكلم عن نفسه فقط . ولكن رغماً عن شهادة السيد عن نفسه وشهادة الآب له في المعمودية وهبوط الروح القدس عليه بشبه حمامة فان الناس لم يقبلوها ولم يؤمنوا به الايمان المطلوب منهم

﴿ ١٢ ﴾ ان كنت قد قلت لكم الأرضيات ولم تؤمنوا فكيف ان قلت لكم السماويات تؤمنون

استدلّ بعضهم بعبارة . ان كنت قد قلت لكم الأرضيات . ان كلمة الروح السابقة هي عن المخلوق لا عن روح القدس لأن معنى قول السيد . اني أتيتكم ببرهان أخذته من الأمور الأرضية أو المخلوقة وأنتم لا تذعنون فكيف تقدرون على ان تعلموا السماويات واني قد كلمتكم عن الميلاد الروحاني الذي من المعمودية . أو كما قال آخرون: اني خاطبتكم في مولدي من البتول فكيف اذا خاطبتكم في مولدي الأزلي من الآب . فسمى له المجد المعمودية ومولده من البتول شيئاً أرضياً لأنهما جريا على الأرض ولأنهما بالمقابلة الى ولادته الأزلية شيء أرضي حقير ولاحظ انه لم يقل : لم تفهموا بل [illegible] لأن الايمان وحده يجعل الناس مقبولين أمام الله

١٣ ولم يصعد أحد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء

ان نيقوديموس دعا مخلصنا معلماً وظنه كأحد الانبياء فأراد له المجد يفهمه انه أكبر من الانبياء فقال : أنا نزلت من السماء وأصعد انا نفسي الى السماء وليس من الانبياء مَن نزل ثم صعد وانتبهْ الى ان الذي نزل هو هو بعينه الذي يصعد وهو ابن البشر: قال يوحنا الذهبي في هذا الصدد . لا يسمّي السيد جسده ابن البشر بل كلّه وعادة الكتاب أن يدعو المسيح تارةً كله الهاً وتارةً كله انساناً فيأخذ له التسمية أما من اللاهوت واما من الناسوت . وقال موسى ابن الحجر صار الكلمة انساناً وتسمى باسامي ذليلة كرجل وابن الانسان وابن البشر دلالةً على تجسده لكنه بقي في السماء وكان فيها وفي الأرض معاً لانه اله ولا حدود تحصره والاّ ما أمكنه القول انه ابن البشر الذي هو في السماء . فهو اذن لم ينتقل بل تراءى على الارض ما بيننا بدون مغادرة سمائه . وفي المعنى عينه قال بولس الرسول عن المسيح انه الانسان الثاني الرب من السماء . وقد استنتج تاودورس النسطوري من لفظ ابن البشر ان المسيح انسان محض وردّ استنتاجه الفاسد بان هذه التسمية لا يمكنها ان تضلنا اذ ان الكلمة دُعي بهذا الاسم أيضاً لانه صار جسداً وسماء الآباء بهذا الاسم أيضاً ولو انه دنيّ بالنسبة الى الله لانه أراد أن يتأنس . وما قول تاودورس في تسمية السيد المسيح باسم ابن أو وحيد أو كلمة أنستنتج مثله انه واحد من ابناء البشر أو كلمة من كلماتنا أو وحيد لأبيه وأمه فتقـل اذن انه دُعي بابن البشر لانه اذ هو ابن الله الطبيعي صار انساناً بدون تغير أي أخذ الجسد الذي كان لآدم قبل تجاوزه الوصية . وان رغبت في ان تعرف ما كانت عليه حالة آدم قبل معصيته ذكرت لك ما وصفها به فيلكسينوس قال : الخالق الشريف خلق آدم خلقة شريفة أي . ١ً . جعله غير مائت . ٢ً . غير متألم ٣ً غير مائل الى الخطية . ٤ً . ممتازاً بالسلطة على افعاله وحائزاً على حرّية ذات اختيار

٥. نبياً عارفاً بالاشياء الخفية . ٦ . ذا علم وحكمة روحانية يميز ما في طبائع المخلوقات ويعرف ماهيتها . ٧ . ممتلئاً فطنة وحكمة نفسانية . ٨ . ملكاً على المخلوقات المنظورة . ٩ . مرتبطاً بخالقه بالتأملات ـ ١٠ . لا تدغدغ الشهوة جسده ولا تميل بنفسه الى الخطية . اما معنى خلقه غير مائت ان حياته خالدة ابدية وقد كان في نفسه أقلّ درجة من الملائكة لارتباطه بالجسد وكان في جسده أفضل من سائر الحيوانات لامتيازه عليهم بعدم الموت وقد ناقض العلماء رأي فيلكسينوس هذا قالوا : خلق آدم مائتاً قابلاً للموت في طبيعته لكنه لو حفظ الوصية لكان تعالى أنعم عليه بامتياز الخلود . ونحن نتبع هذا المذهب لاننا نعتقده صحيحاً . ثم تأويل غير متألم انه لا يمس جسده المرض ولا الهرم ولا ينال نفسه الحزن والخوف والارتياع لأن الاوجاع والعاهات والحزن والموت في الكآبة كل هذه جزاء المعصية فلما ارتكبها آدم نزلت به وتسلطت عليه . وتفسير غير مائل الى الخطية اننا لا ندرك ما الافكار التي كانت تخطر في نفسه الاّ انه كان متجرّداً من الميل القسري الى الأثم فكان باختياره أن يرضى به وان يندم فيما بعد على عمله وان لا يرضى بمخالفة الله فلا يضع سبباً للندامة ولو خلقه الله مائلاً بالاكراه الى المعصية لما كان مستوجباً الملامة والعقاب عليها ولهذا المعنى كانت حرّيته ذات اختيار ودليل ذلك انه تجاوز أمر الله بدون مانع أو رادع . وقيل أيضاً انه خُلِقَ نبياً عارفاً لانه أعطى الحيوانات اسماءها ودعا الخليقة شريكته امرأة وعرف انها ضلع من اضلاعه استُلّ منه وهو نائم فقال هذا عظم من عظامي ولحم من لحمي . وأيضاً كان ذا حكمة وافهمْ بذلك اطلاعه على الروحيات السماوية التي انما تدركها النفوس الطاهرة بهبة خاصة من الروح القدس وقد نال هذه الحكمة عينها الرسل في العلية وبعض المتوحدين في العالم وسينالها القديسون في دار الخلود . وتكون هذه الحكمة عينها عملية تهدي المرء في اعماله وترشده في اقواله وقد حصلها آدم وقد أعطيت القديسين لكن لا بالقدر الذي كان في أب البشر . وأيضاً تسلط آدم أكبر تسلط على حيتان البحار وعلى الحيوانات والطيور ولم يكن يحتاج للقبض على شيء منها الاّ لأن يناديها فتأتيه صاغرة طائعة وأيضاً كانت لهُ قدرة على العناصر الاربع وعلى الشمس

والقمر وفصول السنة بحيث ان المخلوقات المنظورة كانت تسمع لصوته ونداءه سمعها للملائكة وكما غيّر موسى الفصول والعناصر في ضربات مصر وكما أوقف يشوع نور الشمس كذلك كان لآدم أن يفعل واذ رأى الشياطين سلطته هذه غضبوا لانها لم تكن لهم وكان آدم ترابياً أدنى درجة منهم فأخذ رئيسهم شبه الحيّة وأسقطوه من الفردوس . وأيضاً كان آدم مربوطاً بعبادة خالقه والنظر الى سموه وعارفاً ان ذلك حق الله عليه ولما كان سيد الشهوات وضابطاً نفسه عن كل حركة معصية لم يظلم عقله ظلام ولم يردعه مانع عن اصدار أفعال الديانة فكان تجاه الله كولد لا يعرف غير والدته وما تطلبه منه الطبيعة من سدّ احتياجها بحيث ان أول أفعال أبينا الأول كان عبادة الله وثانيها الالتفات الى احتياج نفسه فوضع الله شريعة ألاّ يأكل من ثمر شجرته فكان ثالث أفعاله أن تجاوز هذه الوصية وما تجاوزها حتى سطت الشهوات عليه وفقد الهبات السامية التي فيها اعتراض على هذه الشروح المأخوذة من فيلكسينوس . كيف كان المخلوق يأكل ويشرب ويتزوج وهو غير قابل الآلام . فان الكاتب عينه يجيب : من الأكيد ان الانسان كان يأكل ويشرب بدليل ان الحيوانات والأشجار بثمارها خلقت لأجله . وأيضاً كان يتزوج بدليل وجود الذكر والأنثى . أما انه كيف كان يأتي هذه الأفعال وهو غير قابل الموت فلا نستطيع ادراك ذلك ولم يكن بينه وبين الملائكة فرق في غير جسده وحواسه الاّ اننا نعلم حق العلم ان الخطية لم تفسد تكوينه الأول لكن حريته حملته على التعدّي وأضعفت قواه فبلغ الى ما نشاهده الآن في كل انسان وفينا أعيننا فالأرض عصته وأخذت تنبت له شوكاً وقرطباً ثم شرعت الأمراض والموت والآلام تتتابه فالجسد الذي أخذه سيدنا هو في الحالة التي كانت لآدم قبل المخالفة وبرئ من كل العيوب التي سطت عليه بعد المخالفة ولأنه له السجود لم يولد من زواج أو زرع بشري كان بالتالي معتقاً من الآلام والجوع والعطش والاحتياج الى النوم ومن الأمراض والحزن والخوف وحركات الشهوة والميل الى المعصية ومن الموت ولم يكن في جسده ما يميل به الى شيء منها الاّ انه بارادته واختياره وحباً بخلاصنا احتملها مثلنا وأتته من الخارج لا من ذاته فقبلها وقد كُتب اقتات وتعب وخاف وجاع لكنه لم

يكتب انه أكل بعد الجوع أو شرب بعد العطش أو استراح بعد التعب بخلاف ما يقع لنا وروي ان عرقه نزل منه على الأرض كقطرات دم فذلك لم يكن طبيعياً في انسان . وأيضاً انه نام ولم يستيقظ رغماً عن تلاطم الأمواج فنومه لم يكن طبيعياً بل هو دبره لاظهار سلطانه الالهي لكنه لم يكتب انه مرض لان جسده كان معافى سليماً ليس فيه محل لجراثيم الأمراض ومن المقرر ان الانسان حاوٍ للطبيعة البشرية ولدنس الخطية الأصلية هذا ان لم يرتكب الفعلية أيضاً ثم خاضع لسلطان الموت والآلام . فالله الكلمة أخذ الطبيعة لما اتحد بها ثم لاشى الآلام والموت اذ حملها عليه باختياره لأجلنا ولم يرتكب الخطية ولا ولد مدنساً بها بل لاشاها بعدم قبوله لها . ثم انه له المجد اختص بأشياء أربعة الأول طبيعي كأخذه نفساً وجسداً مثلنا وكالحبل به وتربيته الثاني ناموسي كاختتانه وتقدمته القرابين واحتفاله بالأعياد . الثالث تدبيري أو متعلق بما قصده من خلاص البشر كاحتماله الجوع والعطش والتعب والخوف والنوم وما أشبه . الرابع خارق المألوف في الطبيعة كالحبل به بلا زواج وخروجه من الاحشاء بدون فك ختم بكارة أمه وقيامته من القبر بدون كسر الأختام الموضوعة على الحجارة. واعلم انه لو كان المسيح انساناً لاغير لما أوجبت الحالة على الانجيليين أن يرووا لنا شيئاً عن ميلاده وسلوكه في الحياة وتدابيره وما احتاج اليه لأن هذه الأمور تعرض لكل انسان بل لأنه اله متأنس أرادوا اعلامنا بها ثم ان المسيح شعر بالآلام والجوع والعطش وما أشبه شعوراً حقيقياً لا خيالاً ولو لم تكن طبيعته قابلة من ذاتها هذا الشعور . هذا ما رأينا نقله عن تأليف فيلكسينوس المعلم المفضال الذي يتبعه الأرمن ولو ان علماء السريان واليونان يناقضونه في قوله ان آدم كان غير قابل الآلام وان آلام المسيح وجوعه وعطشه وما أشبه هي تدبيرية بل على رأيهم هي طبيعية ولو انها ارادية وغير ملومة والظاهر لنا ان اختلافهم في هذه المسألة الثانية هي لفظية أكثر مما هي معنوية لأن الفريقين يمدان آلام السيد حقيقية لا خيالية

﴿ ١٤ ﴾ وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن

البشر

قرن هنا خبر صلبه بخبر العماد لأن في العماد أعطانا غفران خطايانا وبصلبه عوّض عن الاهانة التي ألحقت بالله بسبب هذه الخطايا وكذا القديس بولس صنع بقوله لعل بولس صُلب عوضكم أو باسم بولس اعتمدتم . ثم انظر كيف ان هذا المعلم الالهي يُرجع فكر مخاطبه الى الرموز التي جرت في العهد القديم وهذه الرموز دالّة على الحقيقة المستقبلة وكأن يسوع يقول : ان اليهود قد نالوا الشفاء بنظرهم الى حية النحاس المرتفعة التي كانت رمزاً لصلبي فبأولى حجة ينال الشفاء ومعونة كبرى مَن يؤمنون بي أنا المرتفع على الصليب . والعجيب انه تعالى أدّب آل اسرائيل بالحيّات ليبطلوا تذمرهم في حقه ثم أشفاهم بحية نحاسية . وكان من قبل قد سقط آدم بواسطة الحيّة التي تمثل بها ابليس فأراد جلّ جلاله أن يتقدّم الحيّة رمزاً الى ما كان مزمعاً أن يرفع آدم وبنيه من سقطته . فان سخر بنا عبدة الأوثان بسبب ان صليب مخلصنا حقارة وذلّ فلنقل لهم ان الحية التي هي أحقر المخلوقات قد وهب النظر اليها الحياة ثم ان الايمان بالصليب جدّد العالم ورفعه الى درجة الحياة الحقيقية وكما انه لم يكن سم في حية النحاس كذلك لا خطية في المصلوب وكما ان الحية كانت واحدة كذلك السيد المسيح هو واحد وله طبيعة واحدة . ولماذا قال : ينبغي أن يرفع ابن البشر . ولم يقل : أن يُعلق ؟ فالجواب انه ارتفع ليطرح الشياطين الماردين من علوّ كبريائهم وبسحقهم سحقاً وليشير الى كلامه : وأنا اذا ما ارتفعت عن الأرض جذبت اليّ كل أحد . ومن البين ان مخلصنا استخدم الأمور الحقيرة ليقنع الناس بها ويجذبهم الى الايمان به

﴿ ١٥ ﴾ لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية

﴿ ١٦ ﴾ لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية

انما ارتفاع السيد على الخشبة كانت الغاية منه أن يراه الناس متألماً ويؤمنوا به معتقدين انه اله غير متألم فلا يهلكون في جهنم بل ينالون الخيرات والنعيم الأبدي . وقد ذكر الحياة الأبدية لأن الكلمة كانت اذ ذاك شائعة تتداولها الألسنة فالخبز يتحول جسد المسيح والخمر دمه وماء الأردن عماداً محيياً والشيخ يجدد شبابه والايمان بالمصلوب المرتفع شبه حية النحاس يصير حياة لنا خالدة لا انقطاع لها لانه هو ايمان بالله وحيد الله وكأن هــذا الخطاب أذهل عقل نيقوديموس فقــال له السيد ما تأويله . لا تعجب من اني سأرتفع وان الأب رضي بصلبي فانه لا ضعفَ في الصلب بل الآب أحب العالم محبة كبرى حتى شاءَ أن يصلب ابنه . ولولا رضاه لما قوي اليهود على تعذيبه بعذاب الصلب واما غاية صلبي ان يؤمن بي الناس فلا يصيبهم هلاك بل ينتصرون على اعدائهم أي شهوتهم والعالم وابليس كما اني سأنتصر على الموت والعذاب والقبر وكل اعدائي بقيامتي ممجداً . فالعظمة والكرامة والتسبيح لله الذي أشفانا من لدغة الخطية وسمها بارتفاعه على خشبة الصليب

﴿ ١٧ ﴾ فانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العــالم بل ليخلص به العالم ﴿ ١٨ ﴾ من آمن به فلا يُدان ومن لا يؤمن فقد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ﴿ ١٩ ﴾ وهذه هي الدينونة ان النور جاء الى العالم والناس أحبوا الظلمة على النور لأن أعمالهم كانت شريرة

للسيد مجيئان الأول لغفران المعاصي والذنوب والثاني للدينونة فقال عن ذلك لم آتِ لأدين العالم . وعن هذا : متى ما يأتي ابن البشر بمجد أبيه يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله . فمن آمن به له المجد فلا يلحقه عذاب ومن لا يؤمن فيعذب لأجل عدم ايمانه واعماله الشريرة . وقيل في الماضي : قد دين لان عادة الكتاب ان يصور المستقبل كالماضي ثم لأن عدم الايمان في الانسان هو عينه حكم عليه ودينونة اذ ان ضميره يبكته . وعليك ان تلاحظ ما يسمّي به المسيح نفسه أولاً بعد أن د

ذاته ابن البشر أخذ تسمية ابن الله الوحيد ثانياً يدعو نفسه النور والخطاة ظلمة لانهم يفضلونها على النور ولأجل تفضيلهم سينالون جزاء قاسياً وأولا كلا ربنا على هذا المنوال. جئت الى الناس وهم لم يتركوا معاصيهم ويؤمنوا بي ولو كنت أتيت لأدينهم لكان لهم سبب مخافة وعلة ابتعاد عني لكني ماجئت الا لأغفر لهم ذنوبهم. فأي جواب يعطونه يوم أطالبهم الحساب. انا النور اتيت اليهم بذاتي فأثمهم أكبر وملامتهم أعظم في تركهم الاقبال اليّ وعدم هجرهم الظلام للسير في النور الساطع. وهم رفضوا الخلاص وهل ألام ان كنت لا أترأف على من يتعمد عني ولا يريد نيل رأفتي. ولماذا أبوا الاتيان اليّ. فلأن أعمالهم شريرة ويريدون مواصلتها والبقاء في الظلام لئلا اذا أتوا الى النور ينكشف الغطاء عنها فيشملهم الخجل وتبكيت الضمير

﴿ ٢٠ ﴾ لأن كل مَن يعمل السيئات يبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلا تفضح أعماله ﴿ ٢١ ﴾ فأما الذي يعمل الحقّ فانه يُقبل الى النور لكي تظهر أعماله لأنها مصنوعة في الله

معنى الآيتين: مَن يريد ان يمشي دائماً على طريق الشرّ لا يأتي اليّ ومن يرغب في عمل الصلاح يؤمن بي لأن الأول يريد أن يحيا حياة الوثنيين والثاني حياة السماء. قال مار يوحنا: ان كلام السيد موجّه في حق الوثنيين واليهود الذين كان واجباً عليهم ان يقبلوا الى الايمان المستقيم وقد دلّ عليهم بوصفهم اذ هم الذين يعملون السيئات ويعيشون في الضلالة. ولماذا لم يطيل مخلصنا خطابه مع نثنائيل كما أطاله مع نيقوديموس فما ذلك الاّ لان نيقوديموس كان أكبر اجتهاداً في معرفة الحق ثم أتى من تلقاء نفسه الى مخلصنا وكان اتيانه في الليل أي في ساعة موافقة للتعليم وأيضاً كان عارفاً بالكتب فجاراه المسيح في معرفته وأجابه تبعاً لما يريده ويطلبه واذ كان له المجد عالماً بباطنه افهمه ان عدم الايمان دينونة للانسان وان عدم الاقبال الى تعاليمه الالاهية

او عدم اعتناقها انما يتأتى عن التورط بالأعمال الردية ويحسن بنا أن نقول كلمة في حق المراطقة . يدعي النسطوري ان كلمة الآية ١٣ : الذي نزل من السماء تدل على مجي المسيح الثاني . فنرد ادعاءه بان تفسيره مخالف لنص الكتاب الذي يعلن ان بعد هذا النزول تجسد الابن ومخالف لقول الملاك جبرائيل الذي يشهد للعذراء : ان قوة العلي تظللك ثم لقول الرسول بولس المعان ان الله أرسل ابنه متأنساً من المرأة وأيضاً هذا الذي نزل يقال عنه انه سيصعد الى السماء ليأتي ثانية بمجد ليدين الناس. ثم ان تاودورس شريك النسطوري في اعتقاده الكاذب يرى ان شفاء العبرانيين لم يحصل برؤية حية النحاس بل بالقوة الخفية التي فيها وهكذا الايمان بالمصلوب لا يعطي الخلاص والحياة بل الايمان بالله الساكن في المصلوب . وما أرذل هذا التفسير واسقمه فموسى لم يقل : ان بالقوة الخفية كان الملدوغ ينال الشفاء ولا المسيح قال ان الحياة تعطى بالايمان بالله الساكن في المصلوب بل ان الذي ينظر الى الحية كان يشفى وان المسيح سيرفع كما رفع موسى الحية في البرية . واننا نسأل الهرطوقي : ما الايمان الذي كان سيدنا يطلبه ممن يبغون الشفاء . أكان يطلب ان يؤمنوا بانه انسان ومعلم ونبي . وما الحاجة الى مثل هذا الايمان ويكفيهم فتح الأعين ليروه انساناً ويسمونه نبياً فاذن كان يطلب ان يروا فيه انساناً لكن ان يؤمنوا به الهاً . أي ولو ظهر حاملاً جسداً ومائتاً ومحكوماً عليه بالموت من اليهود انه فيه قوة الله وهو بذاته غير قابل الموت والدينونة وفي هذا القدر كفاية

﴿ شهادة يوحنا للمسيح الذي يكرز ويعمد ﴾

﴿ ٢٢ ﴾ وبعد ذلك أقبل يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية وكان يتردد هناك معهم ويعمد ﴿ ٢٣ ﴾ وكان يوحنا يعمد في عين نون بقرب ساليم لكثرة الماء هناك وكانوا يقبلون ويعتمدون ﴿ ٢٤ ﴾ لأنه لم يكن يوحنا

كان سيدنا يصعد في الاعياد الى أورشليم قصدَ ان يعلّم ويشفي ثم اذا ما انقضى الاحتفال بها يذهب الى حيث تجتمع الجماهير وهذا ما أجراه الآن من اتيانه الى الاردن للكرازة وللشفاء . وفي تلك الآونة كان يوحنا في عين نون وهي اما عين ماء أو قرية يكثر فيها الماء ويصلح لذلك اجراء العماد فيها . وكان هذا البارّ مواصلاً الكرازة لتقريب المقبلين اليه من يسوع ومن الايمان به وقد عين الانجيلي خلافاً لمن تقدّموه زمن الحوادث الحاضرة التي جرت قبل ان يحبس يوحنا

﴿ ٢٥ ﴾ وكانت مناظرة بين تلاميذ يوحنا واليهود في شأن التطهير

روى فيلكسينوس ان تلاميذ يوحنا وبعض اليهود ظنوا ان يوحنا عينه هوالمسيح وان المسيح لم ينل عظمة وكرامة بين الشعب الا بشهادة ابن زكريا . فقادهم هذا الظن الفاسد الى مشاجرة في شأن التطهير أي في المعمودية أي هل يسوغ ليسوع ان يعمد أولاوما هي صفة معموديته . قال القديس يوحنا الذهبي الفم : كان الحسد متسرباً في قلوب تلاميذ المعمدان واذ رأوا سيدنا وتلاميذه يعمدون بدت فيهم مفاعيله المؤذية وأخذوا يقولون جهاراً ان معمودية المعمدان أفضل من معمودية يسوع ووقعت مشاجرة بين تلميذ من تلاميذ يوحنا ويهودي كان قد عمّده تلاميذ المسيح ولما لم يقتنع الواحد بكلام الآخر أتى الاثنان الى يوحنا ليفصل بينهما وقال آخرون انهما انقادا لتحريض تلاميذ المعمدان الطالبين اثارة الغيرة في نفس معلمهم

﴿ ٢٦ ﴾ فأقبلوا الى يوحنا وقالوا له يا معلم ذاك الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت شهدت له ها انه يعمد والجميع يقبلون اليه ﴿ ٢٧ ﴾ فأجاب يوحنا وقال لا يستطيع الانسان أن يأخذ شيئاً ما لم يعطَ له من السماء .

معنى السؤال : يامعلّم ان الذي كان معك بشبه تلميذ وشهرته بواسطة شهادتك لهُ قد هجرك ويأتيه الناس ليعتمدوا منه . وها نقدّم لك رجلاً قد مضى اليه وقبل المعمودية من تلاميذه وما أبدع ما أجاب به المعمدان واننا موضحون بقدر امكاننا ما معاني عباراته في الآيات التالية . وقد سمّاه انساناً لئلا يزيد ثائر غضبهم وحسدهم فأعلمهم ان ليست شهادته التي جعلت السيد معروفاً بل السماء هي التي أعلنت مقامه وعظمته وأعطته ما هو طبيعي لهُ فمن خالفه يكون مخالفاً لله عينه . وفسر القديس افرام وفيلكسينوس كلام يوحنا بان : الانسان الصانع المعجزات والمعلّم التعاليم انما يكون لهُ الأمران لا من ذاته بل من هبة السماء . وانا قد منحتني السماء ان اكرز واعمّد كخادم الابن . ومما يؤيد هذا التفسير الآية التابعة التي تأويلها الواضح : أنتم معترفون باني شهدت لكم باني لست المسيح ولذلك لم أجذب الناس الى الايمان بي فانما انا رسول من لدن الآب لأنادي امام ابنه واكون خادماً له أو أنا المبشر المتقدم امام الابن المخلّص لاعلن العالم قدومه السعيد

﴿ ٢٨ ﴾ أنتم تشهدون لي بأني قلت لكم انني لست المسيح بل أنا مرسل أمامه ﴿ ٢٩ ﴾ مَن له العروسة فهو العروس وأما صديق العروس الواقف يسمعه فهو يفرح فرحاً لصوت العروس ففرحي هذا قد تمّ

العروسة هنا هي الكنيسة وعروس المسيح خطبها بالمعمودية وتمّ عقد زواجه عليها بالقيامة لانه بالقيامة جعل النفوس مقرونة بنفسه والأجسام موحّدة بجسده . وفضّل استخدام اسمي العروسة والعروس بدل الرجل والمرأة دلالة على الافراح السماوية وفي رسائل بولس ان اقتران الرجل والمرأة سرّ عظيم لانه يرمز الى اختلاط المسيح بكنيسته . وأيضاً انما سمّى العروسة لانها هي التي تنتقل الى بيت العريس بدعوته وكذا الكنيسة خطبها المسيح بصوت تعليمه لأن الايمان من السمع والسمع من كلمة الله تبعاً لما أثبته الرسول المذكور عينه . فالمعمدان أعلن انه اجتهد شديد

الاجتهاد كما يفعل الصديق الشديد المحبة لتتبع الكنيسة المسيح . وسمى نفسه صديقاً محباً اولاً حتى لا يرتاب فيه تلاميذه ان وضع نفسه في درجة اذلّ . ثانياً حتى يعرفوا انه لم يحزن عند سماعه بعظمة السيد بل ان فرحه لا يعادله شيء . ثم وصف نفسه بأوصاف الخادم فقال انه الواقف يسمعه ومعنى الواقف المستعدّ للخدمة من دون ابطاء ويمكن تأويله بان بعد ان تبعت العروسة عريسها وقف يوحنا عن مواصلة التعميد دلالةً على ان عمله اكتمل وان خدمته بلغت حدودها . ومعنى يسمعه ان العريس خطب بصوت تعليمه عروسته الكنيسة ويوحنا يتلقى أوامره ليجريها بالضبط وبدون امهال وما أشدّ فرحه عندما يبلغ أذنيه صوت المسيح المعلّم الأكبر . وما أكمل سروره واغتباطه عندما يصل الى معرفته ان خطبة سيدنا قد كملت وان بشارته المحيية تمّت بالفعل في العالم وبطلت ان تكون عملاً مقصوداً اجراؤه . وهو قد أعان على تحقيقها كما أراد منه سيده وأمره به

﴿ ٣٠ ﴾ وله ينبغي أن ينمو ولي أن أنقص ﴿ ٣١ ﴾ لأن الذي جاء من العلاء هو أعلى من الكلّ والذي من الأرض هو أرضي وبالأرضيات ينطق والذي أتى من السماء هو فوق الكل

نموّ السيد هو تعظيمه بين الناس وواجب له هذا التعظيم وينبغي ان يعترفوا به انه المسيح وابن الله وانتبه ان السيد لا ينمو ولا يتعظم ولا يزيد في اقنومه لأن عظمته طبيعية وانما نموه أو تعظيمه باعتبار في عقول الناس ومعرفتهم . ولما كان واجب التعظيم عندهم فرسوله أيضاً لا بدّ ان يُكرّم ويُعظم بسببه . وبمثل هذه الأقوال السديدة كان المعمدان يهدّئ غضب مخاطبيه ويلطف من ثائر حقدهم . ومما عني به شديداً افهامهم ان السيد غير محتاج الى أحد لانه كافٍ نفسه بنفسه فقد أتى من السماء وهو فوق الكل أياً كانوا . وقابل نفسه بهذا السيد السامي فقال انه من الارض وقال القديس افرام ان الأرض احطّ منزلة من السماء فاذن كرازة يوحنا أقلّ درجة من

كرازة السيد . وأوضح المعمدان فكره بما لم يترك فيه ريب لاحد اذ عقب كلامه بانه ينطق بالارضيات أي بالامور غير السامية الموافقة طبيعة الارضيين اما ذاك الذي من الأعالي فهو خزانة المعارف وينطق بها كلها

﴿ ٣٢ ﴾ وبما عاين وسمع يشهد ولكن ليس أحد يقبل شهادته ﴿ ٣٣ ﴾ والذي قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق

المسيح صادق الكلمة في قوله انه ابن الله بل هو عارف بكل خفي وظاهر فلا يأتي الا بالحق وتأويل معاينته وسمعه لا انه اقتبل معرفة من غيره . كلاّ بل ان أخباره عن نفسه لا أصدق منه ولا احق . لكن قليلاً من الناس وهم التلاميذ و بعض اليهود الصادقي الادراك والارادة قبلوا شهادته ورفضها غيرهم . وعبر المعمدان عن فكره هذا بان قال : ليس أحد يقبل شهادته ولم يقل قبلها القليل لئلا يستنتج سامعوه ان قبولها من القليل دلالة على انها كذب . اما من قبلوا الشهادة فقد بينوا ان الآب الذي أرسل ابنه حق وصدق فان كلمة ختم تعني بين واوضح وأثبت . ومن لم يقبلوها فكأنهم جدفوا على الآب وادعوا انه كذاب أجارنا الله من ذلك ولك أيضاً ان تؤول الآية بان الذي قبل شهادة المسيح الله وأدرك معاني كلامه أثبت و بين لكم ان المسيح أعظم مني وانه الاله الحق ففي التأويل الأول كلمة الله تكون موضوعة عوض الآب . وفي الثاني بدل المسيح . وتسأل ما شهد به السيد المسيح عن ذاته ؟ أجيب أن يؤمنوا به انه الله وابن الله الحقيقي لا انه معلم أو نبي كغيره

﴿ ٣٤ ﴾ لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله لأن الله لا يعطي الروح بمقدار ﴿ ٣٥ ﴾ الآب يحب الابن وقد جعل في يده كل شيء ﴿ ٣٦ ﴾ من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية ومن لا يؤمن بالابن فلا يعاين الحياة ولكن غضب الله مستقر عليه

الانبياء والملائكة واولياء الله يقبلون الروح بمقدار لانهم محدودون لا يطيقون قبوله كله اما المسيح فقبله كله لانه الله ولا يفيد قبوله انه أصغر من الآب المعطيه: كلاّ . بل هو مساوٍ للآب في الطبيعة والذات والقدرة والآب يحبه وهو الخالق لكل الاشياء انما قيل « قد جعل بيده كل شيءٍ » لانه صار انساناً فالنتيجة الضرورية لهذه المقدمات ان من يؤمن بيسوع الاله المتأنس فانه ينال الحياة الخالدة ومن لا يتبعه مؤمناً به يعذّبه الله أشد العذاب في النار وهذا معنى غضب الله . وانتبه جيداً الى ان الايمان يجب ان يمتد الى الثالوث الأقدس كله وان الايمان وحده لايجعلنا نرث الحياة المؤبدة بل انما يطلب منه السيد المسيح الأعمال الصالحة فالمحروم من الايمان يدينه الرب والذي هو ذو ايمان ومحروم العمل الصالح يعذّبه الله في جهنم . ومن واجباتنا الضرورية ان نحصّل الأمرين كما ان الانسان يلزمه عينان لا عين واحدة . ثم ان بعض نسخ الكتاب تزيد : وبعد هذه أسلم يوحنا . أي بعدشهاداته المذكورة واعماله الباهرة سجن المعمدان . وليس لهذه العبارة من ذكر في الترجمة المعروفة بالبسيطة . فيوحنا كتب منذ بدء انجيله الى هنا ما لم يكتبه الانجيليون قبله كما انه يكتب في الفصل الآتي ما تركوه لانهم بعد القاء يوحنا في السجن لم يذكروا من حسد الفريسيين ليسوع الذي كان يعمد أكثر من يوحنا .

الاصحاح الرابع

﴿ ذهاب يسوع الى الجليل ﴾

﴿ ١ ﴾ ولما علم الرب أن الفريسيين قد سمعوا أن يسوع يتخذ تلاميذ ويعمد أكثر من يوحنا ﴿ ٢ ﴾ مع ان يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه ﴿ ٣ ﴾ ترك اليهودية ومضى أيضاً الى الجليل

أبان الانجيلي ما كان ذكره فيما مضى من معمودية يسوع وقال ان التلاميذ كانوا يعمدون وان معلمهم لم يكن يعمد . والسبب لأن الروح لم يكن قد أعطي بعد

والمعمدان عينه شهد بأنه سيعمد بالروح . وما الفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية التلاميذ ؟ فالجواب ان الثنتان كانتا محرومتي الروح فلا يظهر فرق بينهما . وان الفريقين انما غايتهما أن يأتيا بالمعمودين الى سيدنا ويهدياهم الى تعليمه والايمان به . وإنما الروح لم يكن قد وُهب لأن يسوع لم يكن قد مُجد أي صُلب . وأيضاً لم يكن سر الثالوث الآب والابن والروح القدس قد أعلنه سيدنا بل كان سراً مخفياً . اما التلاميذ فكانوا يعمدون باسم المسيح لمغفرة الذنوب فيقولون : يُعمد فلان لمغفرة خطاياه أو باسم الله الذي أرسل المسيح للخلاص نعمدك لتكون تلميذاً للمسيح الذي نؤمن به . ولما كان اليهود قد شرعوا يكيدون المكايد للسيد ترك اليهودية تهدئة لغضبهم وقصد الجليل وانما غايته أن يعلمهم انه ليس خيالاً . فتارة كان يهجرهم ويتحول الى غير بلادهم ليبين انه صار انساناً حقا وتارةً كان يفلت من بين ايديهم ولا يرونه ليوضح لهم انه اله حقاً ولا يقوى أحد على ضبطه وامساكه

﴿ في المرأة السامرية ﴾

﴿ ٤ ﴾ وكان لا بدّ له أن يمرّ في السامرة

الأسباب التي حملت مخلصنا على أن يمر بالسامرة هي « ١ » أن يفتقد السامريين وما كان اليهود يخالطونهم . فأظهر انه عابر طريق لئلا يزيد غضب اليهود عليه « ٢ » كان بالمكان الذي اجتاز به بئر دُفن بالقرب منها ابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم من أولياء الله فزارهم له المجد كمحبيه « ٣ » بعد ان رفضه اليهود ذهب الى الشعوب لعلمه أنهم يستفيدون من تعاليمه . والسامريون نسبة الى السامرة وقد أخذت اسمها من صاحبها سامير وكان الاسرائيليون يقيمون بجبالها الى أن تركوا عبادة الله فسباهم شلمانصر وأسكن بلادهم أجانب عنهم فسلّط الله عليهم السباع الى أن أتاهم كاهن ولاوي وعلّماهم عبادة الله . وقد تكلمنا على ذلك في شرح بشارة لوقا ١٠ : ٣١—٣٦ فراجعها ان شئت . وكانوا يقبلون كتب موسى لا غير ويعدّون أنفسهم من بني اسرائيل وينتسبون الى ابراهيم فيدعونه أباهم ويقولون ان أصله كلداني مثلهم . أما

اليهود فكانوا يرذلونهم رذلاً ولا يتعاملون معهم وما أعمق أحكام الله فان السامريين رجعوا الى الله تخلصاً من السباع واليهود أبوا الرجوع اليه مع انهم كانوا تحت نير السبي .

﴿ ٥ ﴾ فأتى الى مدينة من السامرة تسمى سوكار بقرب الضيعة التي أعطاها يعقوب ليوسف ابنه ﴿ ٦ ﴾ وكانت هناك عين يعقوب وكان يسوع قد تعب من المسير فجلس على العين . وكان نحو الساعة السادسة

سوكار كانت قرية شكيم (تك ٣٤) وتسمى اليوم نابلس وهي التي قتل أهلها شمعون ولاوي لانهم دنسوا دينة أختهما و بعد أن تملكها يعقوب أعطاها يوسف ابنه . وذكر يوحنا اسمها لسببين الأول ليخبر بـ هي المدينة التي تلمذ فيها يسوع السامريين والثاني ليعلم ان اليهود وأجدادهم مرذولون منذ القديم بسبب نقضهم الناموس ثم سمى البئر عيناً لأنها كانت تنبع ويجرى فيها الماء وانما لم يدخل مخلصنا مع تلاميذه المدينة لأنه شاء أن يصطاد الى الهدى المرأة ولئلا يعطي سبب تذمر لليهود منقاداً لما أوصى به رسله من أن لا يدخلوا مدينة السمراء . وتأمل هنا حنانه كيف لم يمنع رحمته عن هؤلاء الناس . فانه وان لم يمض اليهم قادهم اليه وخرجوا لملقاه كعابر طريق فقطع بذلك ملامة اليهود . وأيضاً أتعب نفسه ولو كان تعبه حقيقياً لقال الانجيلي ان تلاميذه تعبوا مثله فبارادته تعب كما بارادته جاع فأوضح حقاً انه قد صار انساناً لا خيالاً . وانما تعب ليزيل عنا تعب الآثام وهو القائل : تعالوا اليّ أيها التعبون لأريحكم . ثم ليعلمنا أن نخدم نفسنا ولو كان في هذه الخدمة تعب لنا ولا نترك الآخرين يخدموننا ونتجرد من كل شيء زائد غير لازم لحالتنا . ومن البين ان هذا المخلص يأتينا في كل عمل من أعمال حياته بالأمور المجيدة والجديدة الفائقة الوصف . ولم يلهم السامريين الخروج اليه بل جلس أيضاً لنائدتهم على العين في نصف النهار زمن شدة الحرّ فما أعظم اتضاع الخالق الذي يستريح على الأرض ليعطي الراحة ابناء البشر على الأرض

﴿ ٧ ﴾ فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماءً فقال لها يسوع أعطيني

لأشرب ﴿ ٨ ﴾ وكان تلاميذه قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا لهم طعاماً

أتت المرأة من دون دعوة خارجية بحيث لم تتقدّم لليهود فرصة التشكي من مخلصنا وبواسطتها نال أهل السامرة الفوائد الروحية الكبرى . وقد طلب منها السيد ان يشرب . قال قوم انما طلب املمه انها لا تعطيه . وقال موسى ابن الحجر : طلب الماء ليبطل بطلبه المرسومات الناموسية الجارية بين اليهود ويعلن انه واضع الناموس وربه ولا يخضع له . ثم ان عطشه هو الذي أراده كما أراده أيضاً على الصليب اتماماً للنبوات وهنا أذن به ليكون سبباً لتعليم المرأة . وقد كان تلاميذه ذهبوا لمشترى الطعام لأنهم لم تكونوا يتزوّدون للطريق لنقتدي بهم فلا نهتم بكل ما ليس ضرورياً ولا سيما لنهم البطون

﴿ ٩ ﴾ فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب أن تشرب مني وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية واليهود لا يخالطون السامريين ﴿ ١٠ ﴾ أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعرفين عطية الله ومَن الذي قال لكِ اعطيني لأشرب لكنت أنت تسألينه فيعطيك ماءً حياً

عرفت المرأة ان سيدنا يهودي من لهجة كلامه ومن ثيابه وظنت ان العطش اضطره الى ان يتجاوز الناموس : اما هو له المجد فأصلح اعتقادها به وأعلمها انه لا يريد شرب الماء بل منحها ماء الحياة . وشرع أولاً يكشف الغطاء عن ذاته ليقودها الى الاصغاء لكلامه . قال فيلكسينوس انه سمّى نفسه الله لانه قال : عطية الله وهي عطيته . ثم ماء الحياة هو يسوع عينه أو الحياة الأبدية تبعاً لفيلكسينوس أو الروح القدس تبعاً للذهبي الفم . وقد فهمت السامرية عينها قيمة العطية بعد ان بين لها ماهي

﴿ ١١ ﴾ قالت له المرأة ياربّ انه ليس معك ما تستقي به والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي ﴿ ١٢ ﴾ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي

أعطانا هذه البئر ومنها شرب هو وبنوه وماشيته ﴿ ١٣ ﴾ فأجاب يسوع وقال كلّ من شرب من هذا الماء يعطش أيضاً وأما مَن شرب من الماء الذي أنا أعطيه له فلن يعطش الى الأبد ﴿ ١٤ ﴾ بل الماء الذي أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء ينبع الى الحياة الأبدية

أخذت المرأة تكرّمه بسبب تأثير عباراته فيها فسمّته رباً أي سيدها لكنها لم تفهم انه يكلّمها لا على ماء مادي بل على ماء روحي . ولأنها تعدّ نفسها من اليهود ويعقوب أباها وانه شرب مع بنيه من ماء لم يرَ أحسن منها ولا أطيبَ قالت : ان كان لك بئر أحسن وأفضل تكون أعظم من يعقوب . ولم يثبت سيدنا كلامه اتضاعاً منه لكنه أخذ يصف طيب الماء الذي يعطيه وجعله أفضل من كل ما سواه تاركاً المرأة تستنتج ان مخاطبها أعظم من يعقوب كما قالت . قال مار فيلكسينوس : المياه تعني حياة الأبد التي تعطى بدلاً من الايمان بالمسيح . أما مار يوحنا الذهبي الفم فيقول ان التسمية تعني الروح القدس الذي يسمّى أيضاً ناراً . ومثل هذه التسمية لا تدلّ على طبيعة الروح بل على مفاعيله التي هي الغيرة والطهر أو النار الآكلة الخطايا والحرارة في التقوى ثم عذوبة النعمة المطفئة الشهوات وحلاوة الالهامات الربانيّة والسلوان الالهي الذي يدخل الضمائر والتنظيف من دنس الهفوات والمعاصي . ومن أوصاف الماء الموهوب من السيد انه غزير جداً ومَن شرب به يكتفي به دائماً فلا يعود يعطش

﴿ ١٥ ﴾ فقالت له المرأة يارب اعطني هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجيء أستقي من ههنا ﴿ ١٦ ﴾ فقال لها يسوع اذهبي وادعي رجلكِ وهلمي الى ههنا ﴿ ١٧ ﴾ أجابت المرأة وقالت انه لا رجل لي . فقال لها يسوع

قد أحسنت حيث قلتِ انه لا رجل لي ﴿ ١٨ ﴾ لأنه كان لكِ خمسة
رجالٍ والذي معكِ الآن ليس رجلكِ فبالحق تكلمتِ في هذا ﴿ ١٩ ﴾
قالت له المرأة يارب أرى انك نبي

طلبُ المرأة الماءَ دلالة واضحة على انها آمنت بالمسيح . وقولها «حتى لا أعطش» اقرار بانها عرفت قدر النعمة . وان الماء أفضل من ماء بئر يعقوب وان مخاطبها أكبر من يعقوب وانما تريد مياهاً روحية تطفئ عطشها الى الطهر والفضيلة وتكفيها مؤنة المجيء الى ينبوع ماء مادي لتستقي . فدعاها السيد لمقصد سني الى أن تأتي معها برجلها ليشترك بالروحيات التي سيهبها اياها اما هي فما أرادت بادئ بدء ان تقول شيئاً عن حالتها الزواجية فأنكرت كون لها بعلاً وغايتها الاستعجالُ في أخذ الماء الحي واخفاء ما هي عليه من عدم الانتظام في العيشة المرتبة مع زوج شرعي . ولا بدّ انها قالت في نفسها : انما أتكلم مع انسان لا يعرف طيّات القلوب ومستورات الضمائر فغير يسوع لها اعتقادها بقوله . أن كان لكِ خمسة رجال . وبذلك كشف لها عن أمرين الأول فضح الخمسة الرجال الذين عاشوا معها والثاني سوء حالتها الخفية الحاضرة مع الرجل الأخير الذي تساكنه . قال القديس افرام : ان هذه المرأة تزوجت خمسة رجال واحداً تلوَ الآخر وكانوا يموتون فاعتقد فيها الناس انها قَتَلَتْهم ولئلا يعيروها مواطنوها بعار الترمّل ساكنت رجلاً وما جامعته لئلا يموت . وزعم آخرون انها كانت زانية وان مَن تساكنه لم يكن بعلاً شرعياً . وان الخمسة الرجال الذين تزوّجت بهم لم يكن يعرفهم أحد ودليل هذا انها خافت مما أفشى المسيح من حالتهم وحالتها معهم وهو غريب عن سوكار . ولما تحققت بما لا ريب فيه انه عالم بخفيّ أمرها اعترفت بانه نبي

﴿ ٢٠ ﴾ ان آباءنا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان المكان
الذي ينبغي ان يسجد فيه هو في أورشليم ﴿ ٢١ ﴾ فقال لها يسوع آمني

ني أيتها المرأة انها تأتي ساعة تسجدون فيها للآب لا في هذا الجبل ولا في أورشليم ﴿ ٢٢ ﴾ أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم لان الخلاص هو من اليهود

مفاد سؤال السامرية : أيهما الافضل : أهذا جبل السامرة الذي سجد فيه للرب آل ابراهيم واسحق ونحن نسجد فيه أيضاً أم أورشليم التي تسجدون فيها له انتم ايها اليهود ؟ فلم يجب له المجد صريحاً على مسألتها غير المفيدة لانه لا فرق عنده بين السامريين واليهود فيما يشاء ان يجريه . ولطفها ان عبادة الله محدودة في مكان اعلمها انه يليق وينفع السجود لعزته العلوية لا في جبل السامرة واورشليم فقط بل في كل الأمكنة والمدن والبلدان لكنه افهمها فضل اليهود في السيرة على غيرهم أي انهم سجدوا للاله الحق لا كأهل السامرة الذين انما يعبدون الهاً محسوساً مادياً كاذباً والاله الحق واجب الوجود رب المسكونة بأجمعها. وانتبه الى انه جل اسمه يخالط ذاته مع اليهود فيقول : نسجد وما ذلك الا لتواضعه وحنانه على المرأة التي كانت تظنه نبياً لاغير . ثم افهم بالخلاص أو الحياة التي يقول له المجد عنها انها من اليهود اما الايمان الصحيح أو مجيئه بالجسد ولا أحد ينكر ان المسيح المخلص هو حياة النفوس وبالايمان به يحيا البشر

﴿ ٢٣ ﴾ ولكن تأتي ساعة وهي الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين له ﴿ ٢٤ ﴾ لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ﴿ ٢٥ ﴾ قالت له المرأة قد علمت ان ماسيا الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذلك فهو يخبرنا بكل شيء ﴿ ٢٦ ﴾ فقال لها يسوع أنا المتكلم معك هو

الساعة الحاضرة هي الزمن الذي فيه يأخذ المسيحيون الذين ليسوا يهوداً ولا سمرةً يسجدون للاله الحقيقي بالروح في كل مكان وبالحق المجرد من كل رموز فكلمة الروح تنفي سجود أهل السامرة المحدودين بالمكان . وكلمة الحق تنفي عبادة اليهود المركّبة من أشكال الذبائح الرمزية . ولما كان الله روحاً محضاً أي غير جسم وغير منظور ولا محدود وجبت له خدمة بالروح غير محدودة أيضاً . وهنا ضرب السيد المسيح الناموس بالبطلان وأعلن وجود الله في كل مكان وبالتالي وجوب العبادة والصلاة في كل مكان . وهكذا قاد مخاطبته بالتدريج الى ان يعلمها من هو : « ١ » رأته عطشان « ٢ » ميزته من ثيابه انه يهودي « ٣ » اقرّت انه نبياً والآن ستصل الى الدرجة الأخيرة من معرفته أي ستسجد له كاله وكان بين السامريين سائداً الاعتقاد بان المسيح سيأتي لانهم طالعوا في الكتب المنزلة قول الله : نعمل انساناً كصورتنا ومثالنا وأيضاً قول موسى : سيقيم لكم نبياً . ثم فهموا ما ترمز اليه الحية والعصا فسألت المرأة عن المسيح متى يأتي فأعلنها السيد انه هو هو بعينه

﴿ ٢٧ ﴾ وعند ذلك جاء تلاميذه فتعجبوا انه يتكلم مع امرأة لكن لم يقل أحد ماذا تُريد ولماذا تكلمها ﴿٢٨﴾ فتركت المرأة جرّتها وانطلقت الى المدينة وقالت للناس ﴿ ٢٩ ﴾ هلموا انظروا رجلاً قال لي كل ماصنعت أليس هو المسيح ﴿ ٣٠ ﴾ فخرجوا من المدينة وأقبلوا نحوه

بعد ان أكمل السيد تعليم المرأة رجع تلاميذه وأخذهم العجب من انه وهو الشريف الطاهر السمعة العالي المقام يخاطب امرأة فقيرة ويترأف بحالها . ولأدبهم وصيانتهم درجتهم لم يسألوه عن شيء في أمرها أما هي فلشغفها بالروحيات تركت جرّتها أي الجسديات ومضت فأشاعت الخبر بين سكان مدينتها قائلة : هلموا انظروا رجلاً . وبالحكمة صنعت في قولها ولم تسمه المسيح حتى اذا خرجوا اليه اصطادهم بكلامه الى الايمان به ولاعلامهن ان الرجل أكبر من سائر الرجال ولاشتغال قلبها بالتوبة ومحبة

الله لم تستحِ من أن تقول الحق أي انه كشف لها عن سلوكها وسيرتها الخفية . فلا يهمها الا أمر واحد وهو ان تجذب الجميع اليه . وأوّل كلامها الاستفهامي « أليس هو المسيح » لا بأن فيه شكاً وارتياباً بل بانه دعوة الى التحقق واثبات انه المسيح فعلاً . وقد أثر كلامها تأثيره المطلوب فجعل الناس يأتون من البلدة الى السيد

﴿ ٣١ ﴾ وفي أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يامعلم كلْ ﴿ ٣٢ ﴾ فقال لهم ان لي طعاماً آكله لستم تعرفونه أنتم ﴿ ٣٣ ﴾ فقال تلاميذه فيما بينهم ألعلّ أحداً جاءه بما يأكل ﴿ ٣٤ ﴾ فقال لهم يسوع ان طعامي أن أعمل مشيئة من أرسلني واتمم عمله

ألحّ التلاميذ على يسوع بأن يأكل لكثرة محبتهم له ولمشاهدته تعباً من الطريق والحرّ وتعليم المرأة أما هو فأعلمهم ان الطعام الذي يطلبه هو خلاص بني أدم ودعوتهم الى أن يؤمنوا به . وكما نحن نشتهي الأكل لتقوية جسدنا كذلك هو مشتاق الى حياة أنفسنا والى خلاصنا وهذا هو الأكل الروحي اللذيذ ولم يدرك التلاميذ معنى عباراته ثم لم يجسروا على أن يسألوه هل أتاه أحد بطعام لكنه بين لهم ظاهراً مراده من ان طعامه هو اتمام مشيئة الآب الذي يريد ارجاع الناس الى العبادة الحقة لخلاصهم وحملهم على الايمان الصادق

﴿ ٣٥ ﴾ ألستم تقولون انه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد وها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الى المزارع انها قد ابيضت للحصاد ﴿ ٣٦ ﴾ والذي يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثماراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً

أشار بالمزارع والحصاد الى السامريين الخارجين اليه من المدينة والى النفوس العديدة المستعدّة لقبول الكرازة والفريقان مثل السنابل المبيض الذي لا ينقصه الاّ

أن يُحصد وهما يطلبان البشارة للايمان . ومعلوم لمن طالع الكتب المنزلة ان الأنبياء كانوا يتكلمون كثيراً بالألغاز والأمثال ويستخدمون لفظ الحقول والزرع والحصاد والأرض ليوضحوا بها ما يريدون قوله ليرسخ بزيادة في عقول سامعيهم وقلوبهم . ثم ان سيدنا راعى تشبيهه فقال ان الحاصد ينال أجرته ليعني ان الذي يكرز يعطى المكافأة. وافهم بالزارعين هنا الأنبياء وبالحاصدين هنا الرسل وكلا الفريقين ينال ثمار اتعابه ويستريح فرحاً بعكس ما يحدث في الزرع الأرضي لأن ان حصده من لم يزرعه فانه يفرح وحده أما الزارع فلا يصيب مغنماً . لكن في النظام الروحي للزارع أجر وللحاصد أجره وبناءً على هذا المبدأ الأنبياء الزارعون والرسل الحاصدون يكافأون معاً ويفرحون معاً وما ذلك الآ لأن الله أرسل الفريقين وخصّ كل واحد بعمل ثم من هنا يتضح لك تشابه العهدين القديم والجديد اللذين يرميان الى غاية واحدة .

﴿ ٣٧ ﴾ وفي هذا يصدق ماقيل ان واحداً يزرع وآخر يحصد ﴿ ٣٨ ﴾ اني أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه فان آخرين قد تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم

من الامثال السائرة بين الناس بزمن سيدنا ان واحداً يزرع وآخر يحصد فقال له المجد بتحقق المثل في الانبياء والرسل ومعنى عباراته : الانبياء زرعوا في قلوب الناس وها الزرع قد نشأ وربا فأنتم تحصدون الآن لانكم تبشرون البشارة الحسنة وتجعلون القريب والبعيد تلميذاً لي . وقد سمّى نفسه زرعاً وهو بدأ بالكرازة اما الرسل فقد سمعوا صوته وعملوا بمقتضى طلبه وقدّموا اليه ثماراً بني البشر وهو له المجد أعلمهم ان الكرازة متعبة لكنّ الانبياء أتموها والرسل وصلوا بعد انتهاء التعب . وانما قال ذلك لئلا يخافوا مما يفوّض اليهم عمله ولتشديد عزائمهم على اجراء ما يطلبه من ردّ الناس اليه.

﴿ ٣٩ ﴾ فآمن به في تلك المدينة سامريون كثيرون من أجل كلام

المرأة التي كانت تشهد ان قد قال لي كل ما صنعت ﴿ ٤٠ ﴾ ولما سار اليه السامريون طلبوا اليه ان يقيم عندهم فمكث هناك يومين ﴿ ٤١ ﴾ فآمن أناس أكثر من أولئك جداً من كلامه ﴿ ٤٢ ﴾ وكانوا يقولون للمرأة لسنا من أجل كلامكِ نؤمن الآن لأنا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو في الحقيقة مخلص العالم

انما آمن الناس أولاً لكلام المرأة التي شهدت ان يسوع قال لها كل ما صنعت فكان برهانهم هذا : يستحيل ان تمدح المرأة مَن وبخها على أفعالها السيئة ان لم يكن نبياً عظيماً والماً . ولذلك أيضاً طلبوا اليه الاقامة عندهم وما أبعد عملهم عن عمل اليهود هؤلاء ينظرون المعجزات ويطردونه وأولئك لم يروا بعد آية ويلتمسون منه البقاء معهم وما ألطف سيدنا وأحنه لأنه لبى الطلب وأقام يومين مابينهم . وآمن الناس ثانياً لما شاهدوا بأعينهم وتحققوه بانفسهم ولئلا يعيرهم اليهود لأنهم صدّقوا كلام امرأة بغيّ قالوا ما معناه : سمعنا من يسوع أقوالاً ومعاني سامية صيرتنا نعتقد انه مخلص العالم . وما أكبر استحقاقهم فانهم ما نظروا عجائب منه ومع ذلك آمنوا لأنهم طابقوا بين ما يعرفونه من الدلالة على المسيح في الكتب المنزلة وبين ما شهد يسوع به لنفسه فتأكدوا الحقيقة وجاهروا بها أي بان يسوع محيي بني الانسان وهو الموعود به منذ الدهر .

﴿ في ذهاب يسوع الى الجليل وشفاء ابن القائد ﴾

﴿ ٤٣ ﴾ وبعد اليومين خرج من هناك ومضى الى الجليل ﴿ ٤٤ ﴾ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه ﴿ ٤٥ ﴾ فلما أتى الى الجليل قبله الجليليون لأنهم عاينوا كل ماصنعه في اورشليم في العيد لأنهم هم أيضاً جاءوا الى العيد ﴿ ٤٦ ﴾ فأتى أيضاً الى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً

مكث السيد يومين عند السامريين مكرّماً معظماً ثم مضى الى الجليل الى مدينة قانا التي حول فيها الماء خمراً ليثبّت سكانها في الايمان وكأنه سُئل لماذا لم يمضِ الى كفر ناحوم مدينته بل الى الجليل فأجاب لهُ المجد : ليس لنبي كرامة في وطنه ودعاها وطنه لانه عاش فيها في الجسد وتخفيفاً لقضاء الله عليها ولم يكن له فيها كرامة لأن سكانها لم يكونوا يؤمنون بمعجزاته والعادة ان الناس انما يكرّمون في المدن الغريبة أكثر من المدن التي هي مسقط رأسهم اما أهل الجليل فقبلوه بفرح لاسيما لانهم رأوا آياته في بلادهم وفي أورشليم عندما احتفلوا فيها بالعيد . ومن هذا القبيل يفضل السامريون مَنْ سواهم لانهم آمنوا به بدون آية

وكان رئيس للملك ابنه مريض في كفر ناحوم ﴿ ٤٧ ﴾ فسمع أن يسوع قد جاء من يهوذا الى الجليل فانطلق اليه وسأله أن ينزل ويبرئ ابنه لأنه كان قد قارب الموت ﴿ ٤٨ ﴾ فقال له يسوع ان لم تعاينوا الآيات والعجائب لا تؤمنون

ان الذهبي الفم يدعو هذا الرئيس ملكاً لانه كان سيداً في مقاطعته ومن أسرة الملوك أو لأنه كان من أهل المناصب السامية في المملكة ويدعوه الانجيلي هنا من الرؤساء الموظفين عبيد الملك . والتسميتان صحيحتان . وهذا هو غير ذلك القائد الذي ذكره متى واورد ما قاله ليسوع من انه لا يستحق ان يدخل لهُ المجد تحت سقف بيته اما العبد الحاضر فانه يتوسل اليه ليأتي به الى بيته ثم ذلك جاء اذ كان يسوع نازلاً من الجبل وهذا جاء اليه من مدينة سوكار الى قانا الجليل وأيضاً عبد القائد كان مخلعاً اما ابن هذا الرئيس فكان مصاباً بالحمى وقد دنا من يسوع وليس في قلبه ايمان عظيم بدليل انه الحّ عليه بالنزول معه الى بيته فوبخه سيدنا بسبب قلة ايمانه وكأنه ذمّ كفر ناحوم واثنى على أهل السامرة الذين آمنوا بدون معجزات

﴿ ٤٩ ﴾ فقال له الرئيس يارب انزل قبل أن يموت ولدي ﴿ ٥٠ ﴾ فقال له يسوع امضِ فان ابنك حي . فآمن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع له ومضى

لم يصدر الحاح الرجل على مخلصنا بالنزول الاّ عن خوفه من أن يموت ابنه فلا يقوى لهُ المجد على اقامته من الموت . فالسيد وهب الابن الشفاءَ والابَ الايمانَ اما القائد المذكور في متى فانه كان كامل الايمان ووعده مخلصنا بان يمضي معه الى بيته اما هنا فلم يمضِ لضعف ايمان مَن دعاه لكنه لاسمه السجود أعطى بكلمةٍ لاغير هبةَ الشفاء من المرض . ولا عجب فانه الخالق للكائنات كلها يقول لها كوني فتكون . فكان الأمر علة لنيل الأب الكمال في الايمان

﴿ ٥١ ﴾ وفيما هو منحدر استقبله غلمانه وبشروه قائلين ان ابنك حي ﴿ ٥٢ ﴾ فاستخبرهم في أية ساعة أخـذ في العافية فقالوا له أمس في الساعة السابعة فارقته الحمى ﴿٥٣﴾ فعرف الأب أنها الساعة التي قال له فيها يسوع ان ابنك حي . فآمن هو وأهل بيته جميعاً ﴿٥٤﴾ هذه آية ثانية صنعها يسوع بعد مجيئه من اليهودية الى الجليل

ان عبيد الرئيس كانوا مسرعين لاعلام سيدهم بشفاء ابنه وبان لا لزوم لاستدعاء يسوع وما كانوا عارفين بكلمة مخلصنا اما هو فسألهم ما الذي سبّب شفاء ابنه ليعرف هل وقع حادث ما أو كفَت كلمة يسوع واذ عيّنوا لهُ الساعة السابعة لمفارقة الحمى تحقق لديه ان كلمة المسيح هي الشافية فشاركه في ايمانه أهل منزله . وكانت هـذه الآية الثانية بالنسبة الى آية الخمر

الاصحاح الخامس

﴿ في شفاء سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة ﴾

﴿ ١ ﴾ وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع الى أورشليم ﴿ ٢ ﴾ وان في أورشليم عند باب الغنم بركةً تسمى بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة

بعد آيات متعددة اجترحها السيد كان عيد العنصرة فصعد له المجد الى أورشليم وقد ذكرنا ان عادته الاحتفال بالاعياد في هذه المدينة ليشترك مع اليهود فيها وليجذبهم الى الايمان به . واعلم ان ما يُدعى هنا موضع معمودية هو ما يقال له أيضاً بركة واياك ان تفهم بالمعمودية ما هو ناموسي منها بل هو معين ماء كانوا يغسلون فيه الذبائح لتجريدها من الدم ثم الامعاء والكروش وما أشبه . وأيضاً يغتسل فيه المرضى بعد تحريك الماء . قال غريغوريوس اللاهوتي ان في الكتاب ذكراً لخمس معموديات . وقال موسى ابن الحجر انها ست اما نحن فنرى انها سبعة الاولى هي التي اعتمد بها بنو اسرائيل عندما اجتازوا البحر تبعاً لما قال بولس : ان اباءنا اعتمدوا في البحر . الثانية هي الناموسية وهي التي يُغسل فيها الكروش أو الاجسام . الثالثة هي الطوفان الذي لاشى معاصي البشر ايام نوح . الرابعة معمودية يوحنا . الخامسة معمودية الدم أي القتل السادسة عماد النار وعنه قال غريغوريوس المذكور : انهم يعتمدون هناك في النار معمودية نهائية هي أشد تعباً واطول مدة من غيرها . السادسة المعمودية الحالية التي ندعوها أيضاً ناموسية واسمها بالعبرانية بيت حسدا أي العار لأن فيها يعتمد المرضى والمخلعون وذوو العاهات . السابعة معمودية الدموع . وفسر آخرون حسدا برحمة هذا هو معناها في اللغة العبرانية لأن المراحم يهطل غيثها هنا على المتقومين . وكانت هذه المعمودية ظلّ معموديتنا الحقيقية التي رسمها السيد المسيح . فتلك تشفي أمراض الجسد وهذه أمراض النفس . الاولى فعل ملاك والثانية عمل الروح القدس .

وفي الاولى ينال الشفاء واحد من المرضى لا أكثر اما في الثانية فكثيرون يشفون بل كل من يريد نيل الصحة أياً كان عدد الطالبين . وزيد ان كان لبركة بيت حسدا خمسة أروقة أي أربعة من الاربع الجهات ورواق فوق عين سلوام .

﴿٣﴾ وكان مضطجعاً هناك جمهور كثير من المرضى من عميان وعرج ويابسي الاعضاء ينتظرون تحريك الماء ﴿ ٤ ﴾ وكان ملاك الرب ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء فالذي كان ينزل أولاً من بعد تمويج الماء كان يبرأ من كل مرض مسه

الملاك المدلول عليه هو ميخائيل مدبر الشعب وان أردت معرفة السبب الذي لأجله يعطى الشفاء قلت ان ماء البركة كان بعيداً عن الهيكل ويغسل فيه الذبائح ومع ذلك كان مانح الشفاء فبأولى حجة الذبائح التي تذبح في الهيكل وبالقرب من قدس الاقداس يجب أن تكون أقوى فعلاً وأدعى الى ان تهدي اليهود الى الشفاء والايمان بالله. وقيل احياناً لأن زمن تحريك الماء كان مجهولاً ولم يكن يتم في كل وقت ودبرت ذلك عناية الله حتى لا يقال ان الماء عينه حاوٍ لقوة الشفاء في ذاته ولذلك كان لتمويج المياه ضجة وحركة يسمعها العميان اعينهم فمن يغتسل الاول ينل الشفاء . وقيل ان جسد النبي أشعيا كان مدفوناً هناك ثم كانت الذبائح حتى قبل سليمان تنظف في ذلك المكان فلما أتى هذا الملك بنى فوق البركة قبة ومن حواليها أربع قباب أخرى ولو كان كل المغتسلين ينالون الشفا. لنسوا الله ولظنوا ان ليس في الأمر كبير عجب ولكن انما شاء تعالى تأديبهم ووضعهم في حالة تذكرهم انهم لعونه محتاجون

﴿ ٥ ﴾ وكان هناك رجل سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة ﴿ ٦ ﴾ فلما نظر يسوع هذا ملقى وعلم أن له زماناً كثيراً قال له أتحب أن تبرأ ﴿ ٧ ﴾ فأجاب السقيم يارب ليس لي انسان اذا تموج الماء يلقيني في البركة بل بينما اكون متقدماً ينزل قبلي آخر

هذا السقيم غير المخلّع الذي ذكره متى وقد ألقى سيدنا سؤالاً عليه ١ . ليعلن صبره على وجعه مدة الثمان والثلاثين سنة وفضيلته في انه لم ينله الضجر والتذمر ـ ٢ حتى لا يتهمه الناس بانه يفتخر بعمل المعجزات ـ ٣ . ليقرّبه بمخاطبته الى محبته والى الايمان به فهو له المجد كالطبيب يشوّق المريض الى الشفاء حتى يسمع منه ويتبع مايأمره فيشفى والسيد شفاه هنا بكلمة واحدة ـ ٤ حتى يعرف الحاضرون قوّة السيد ويقرّوا بأنه الخالق العظيم . ولاحظ في جواب العليل انه لم يكن . يعرف مَن مخاطبه وانه لم يظهر قلّة صبر على حالته ولم يفكّر بان مكالمه يستهزئ به ولكنه أجاب بسذاجة نعم أريد الشفاء

﴿ ٨ ﴾ فقال له يسوع قم احمل سريرك وامشِ ﴿ ٩ ﴾ فللوقت برئ الرجل وحمل سريره ومشى وكان ذلك سبتاً ﴿ ١٠ ﴾ فقال اليهود للذي شُفي انه سبت فلا يحل لك أن تحمل سريرك

ان السقيم المذكور في متى كان له مَن يحمله اما هذا فلم يكن له أحد وقد كشف عن أفكاره للسيد الذي أمره بالقيام ليتحقق المعجزة ولئلا يظن ان شفاءه خيالي . ومن الواضح ان الذي قال للنور كن فكان هو عينه يقول للسقيم قُمْ فيقوم ولما كان اليهود واقفين بالمرصاد لسيدنا فقد هاجوا على المتعافى الحامل سريره وعدّوا عمله وعمل شفائه تجديفاً ومخالفةً للناموس وكان الواجب عليهم ان يمجّدوا واهب الشفاء ويعظموه وما أرذلهم فانهم لم يلوموا معمودية سلوام التي كانت تشفي باعجوبة يوم السبت لكنهم يلومون المسيح ويشكونه كمعتدٍ على شريعة موسى

﴿ ١١ ﴾ فأجابهم ان الذي أبرأني هو قال لي احمل سريرك وامشِ ﴿ ١٢ ﴾ فسألوه مَن الرجل الذي قال لك احمل سريرك وامشِ ﴿ ١٣ ﴾ وكان الذي شُفي لا يعلم مَن هو لأن يسوع كان قد اعتزل عن الجمع الذي

في ذلك المكان

السقيم يعلن شفاءه ويمدح المحسن اليه مع انه يظهر له حسد سائليه وعدم اهتمامهم بالسبت . وان مبداءه أن يطيع من أولاه الخير العظيم و يسمع كلامه ولو انه لا يعرف اسمه . وكان السيد قد اعتزل لا بسبب خوفه من أعدائه لكن ليشهد غيره لأعماله المجيدة في غيابه ولئلا يزيد النظر اليه غضباً على غضب . والعادة ان رؤية المحسود تثير عواطف الغضب في الحسود وأيضاً اعتزل لئلا يتهمه أحد بحبه المجد الباطل

﴿ ١٤ ﴾ وبعد هذا وجده يسوع في الهيكل فقال له ها انك قد عوفيت فلا تخطأ بعد لئلا يصيبك أعظم ﴿ ١٥ ﴾ فذهب ذلك الرجل وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه ﴿ ١٦ ﴾ ولهذا كان اليهود يضطهدون يسوع لأنه صنع هذا في السبت

بعد ان نال السقيم الشفاء هجر الولائم والشوارع وجدّ في ممارسة الفضيلة وفي التردّد المتكاثر الى الهيكل حيث لقيه سيدنا مرة فأفهمه انه كان عالماً بسبب مرضه الناتج عن الخطية وانه عارف أيضاً بما سيحصل له ونهاه عن المعصية التي كانت في الماضي علة تخلّعه وتساءل موسى ابن الحجر : ما كانت خطيئته ؟ فأجاب : لا علم لنا لأن العلماء لم يرووا لنا شيئاً من ذلك في كتاباتهم ولا يليق بنا أن نخترع ونقول غير الصحيح الا ان أحد الشرّاح المشرقيين قال : ارتكب السقيم الاثم مع امرأة ميتة لذلك وبخه المسيح وحذره من الرجوع الى الخطية في المستقبل واننا نردّ هذا القول لأن وجوده في الهيكل يدلّ على عفته . وأيضاً الذهبي الفم مدح الرجل بعد شفائه لأنه أذاع أن يسوع أبرأه . وقال موسى الموصلي انه بنية سليمة تقوية كان يشهر ان المسيح أبرأه وما أراد أن يخفي الآية . ولما كان ايمانه قوياً شاء أن يجذب اليهود الى اعتقاده لكن الأخبار متناقضة عنه فمن قائل : انه عند ما رأى أعداء يسوع قد أخذ الحنق منهم مأخذه لحلّ شريعة السبت اتفق معهم على المحسن اليه وعرّفهم اسمه .

ومن قائل انه هو الذي لطم يسوع على خدّه ولهذا السبب حذّره يسوع من الخطية . ولما سقط بالاثم عند لطمه المخلص يبست رجلاه وكانت من قبل مخلمتين واصابه العمى . والله اعلم بالصواب في كل هذه . وفي المعنى الروحي ان المخلع ممثل لجنسنا الساقط في الخطية وان السرير هو لمذة الحياة التي شغف بها طبعنا الانساني . وان الثمان والثلاثين سنة هي الزمن الطويل الذي بقينا فيه في حالة الاثم ودنسه . فالسيد أتى و بكلمة نجانا وشفى أوجاع نفسنا . واعلم ان الماء لا يخلص من الاثم بذاته بل بقوة الروح القدس الحالة فيه

﴿ في ان يسوع يشارك الآب في العمل ﴾

﴿ ١٧ ﴾ فأجابهم يسوع ان أبي حتى الآن يعمل وأنا أيضاً أعمل
﴿ ١٨ ﴾ فازداد اليهود لأجل هذا طلباً لقتله ليس لأنه كان ينقض السبت فقط بل أيضاً لأنه كان يقول ان الله أبوه مساوياً نفسه بالله . فأجاب يسوع وقال لهم

أعنى بعمل الآب الشفاء الذي كان يحصل من العماد في البركة فان الآب يجريه بواسطة الملاك وفي أيام السبوت ولم يكن أحد يلومه أو يلوم الملاك فكأن سيدنا يقول : الآب يحلّ السبت ولا يدينه أحد منكم وأيضاً أحله فلماذا تلوموني وأنا والآب واحد . واعلم ان الكلام على المسيح يكون عالياً مثاله : أنا والآب واحد وأبي يعمل وأنا أعمل . ومن رآني رأى الأب . واما كلاماً وضيعاً مثاله : لا يستطيع الابن أن يعمل شيئاً من تلقاء نفسه . وأعطاه السلطان أن يحكم . وأبي الذي أرسلني هو أعظم مني وُدعي انساناً ورجلاً وعبداً واما يتوسط بين الارتفاع والانخفاض ومثله ان يسوع المسيح هو مخلص . أما النساطرة فلا يطلقون على سيدنا الاّ الأقوال الوضيعة ولذلك يسمونه ابن النعمة . والخلقيدونيون ينسبون الكلام الرفيع العالي الى لاهوته والعبارات الوضيعة الى الانسان المولود من مريم و بذلك يضعون فيه طبيعتين . أما نحن فننسب الكلام الشريف لطبيعة الله الكلمة . لا بما انه اله لكن بما انه صار انساناً والكلام

الوضيع الى الكلمة أيضاً . وكثيرة هي الأسباب التي قيل لأجلها هذا النوع الثاني « ١ » لاثبات تأنسه « ٢ » من أجل ضعف السامعين الذين يعجزون عن استماع الأمور العالية فقد اقتضى جذبهم لمعرفة الحق وللايمان به بواسطة عبارات وضيعة « ٣ » لتعليمنا التواضع « ٤ » لتبيين ان أقنوم السيد المسيح هو غير اقنوم الآب . وقدرْ ما اشبه من الاسباب الأخرى . اما نسبة العبارات العالية فانما سببها واحد وهو ايضاح شان عظم طبيعته . ولو كانت كل أقوال السيد عالية لما قبلها اليهود ولو كانت كلها دالة على خضوع لما كانت تفيدنا شيئاً الا انه له المجد مزج النوعين معاً فصارت أقواله بغاية الاعتدال . وأيضاً يسوغ تأويل الآية : أبي يعمل حتى الآن بان نقول : انه يشرق شمسه على الاخيار والاشرار وينزل غيثه على الصالحين والفجّار ويجري الانهار والعيون وينبت الزروع والاشجار ويزينها بالاثمار ويقيت كل ذي جسد ويصوّر الاطفال في الارحام ويخلق لهم نفوساً ويميت ويحيي وأنا أيضاً قادر على أن أعمل مثله واعمل فعلاً . وقد منحتُ الشفاء يوم السبت لاني ابن الله والله . والناموس أنا وضعته عليكم انتم الخلائق فلا يسوغ لكم العمل يوم السبت اما لي فيسوغ . فبقوله أبي يعمل وأنا أعمل بين انه مساو للآب وان عملهما واحد . وكان اليهود يطلبون قتله لاسباب ثلاثة ١ . لأجل نقضه السبت . ٢ . لقوله ان الله أبوه . ٣ . لقوله انه مساو لله . والعجب ان اليهود لايفهمون ان كثيرين نالوا البرارة ولم يحفظوا سبتاً كنوح وابراهيم وغيرهما وان اناساً نقضوا السبت وما خطئوا بل هم بررة فايليا مشى اربعين يوماً وكان باراً ومتتيا حارب أربعين يوماً وانتصر ويشوع بن نون حلّ السبت بالقتال عندما أحاط سبعة أيام بأريحا والكهنة يقرّبون الذبائح ويسرجون القناديل ويجرون الختانة في السبت . وانما سُنّ السبت للتذكر في الله وللترحم على العبيد والحيوانات والأجراء وكان سيدنا مزمعاً ان ينزل يوم السبت الى محل الموتى ليمنحهم الراحة . فمن هذه كلها استنتج ان لا لوم على المسيح في عمله الخير ومنحه الشفاء أيام السبوت لاسيما وان الشعب كان يجتمع في تلك الآونة ويطلب تكريم اليوم المقدس بمعجزة . والآن نردّ على الناطرة قائلين : ان كان السيد يسمي نفسه ابن النعمة فما كان لليهود

ان يطردوه وهم بنو النعمة أيضاً وكيف يثورون عليه وهو من جنسهم وهم يقرون انهم ابناء مكرمون من الله فاذن انما طردوه وهاجوا عليه لانه سمّى نفسه ابناً طبيعياً لله ولانه قال انه مساوٍ لله . وضعْ دائماً امام عينيك ان المسيح ولوانه ابن الآب بطبعه فقد صار انساناً بدون تغيير . ولا تقل : ان اليهود غلطوا في استنتاجهم من كلامه انه ابن الله حقاً منقادين الى عدم ادراك منهم . كلاّ لم يغلطوا بل فهموا كلامه حق الفهم وهو اعلمهم بالصراحة انه ابن الله مساوٍ لله . وفي هذا المعنى قد فهموا كلامه له المجد أحسن من النساطرة فايمان أولئك أحسن من ايمان هؤلاء

﴿ ١٩ ﴾ الحق الحق أقول لكم ان الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً الا ما يرى الآب يعمله لانه مهما يعمله ذاك فهذا يعمله الابن أيضاً على مثاله

عدم المقدرة تكون على انواع متعددة ١ . بمعنى المستحيل ومثاله : لا يقدر الله ان يكذب أو ان يكون شريراً ـ ٢ . بمعنى الضعيف كقولك ان دم الثيران لا يقدر أن يغفر الخطايا ـ ٣ كعدم اللياقة كما اذا قلت : لا يستطيع بنو العرس ان يصوموا والعريس معهم ـ ٤ . كعدم الارادة . مثاله : ما استطاع ان يعمل هناك آية بسبب عدم ايمانهم أي لم يرد ـ ٥ . بمعنى المستحيل طبعاً نحو لا يمكن ان يولد الانسان مرتين من احشاء والدته ـ ٦ . بمعنى الحاصل غالباً نحو لا يمكن ان تخفى مدينة مبنية على جبل وقد تخفى ان كان أمامها جبل آخر أرفع علواً ـ ٧ . بدل نقصان المقدرة أو عدم موافقة الزمان مثال الاول ان الطفل لا يقدر على حمل السلاح والمحاربة . ومثال الثاني لا يقدر الرجل في الوقت الواحد ان يحارب في مدينة ويدرس في مدينة أخرى . ولأي أحد هذه المعاني يلزم ارجاع عدم مقدرة الابن المذكورة في الآية ؟ فالجواب انه يتعين ارجاع عدم مقدرته الى النوع الأول بسبب المساواة بين الآب والابن في الطبيعة ومن ذلك ان أشعة الشمس لا تقوى على الاضاءة من نفسها أي انه يلزم اتحادها

بالقرص الذي تصدر منه وليس المعنى انها لا تقدر أن تعطي نوراً . وأيضاً . لايكون العقل بدون النفس ولا تكون النفس بدون العقل وكذا لا يكون الابن بدون الاب ولا يعمل الابن شيئاً مخالفاً للآب ولا الآب يخالف الابن لأن عمل الاثنين واحد اما اعتراض المراطقة من ان الآية تدلّ على ضعف الابن فمردود لانه طهر البرص وأتى بالمعجزات الباهرة ووضع الشرائع بسلطان ذاته ومعنى كلامه : اني لا أعمل شيئاً من ذات نفسي في يوم السبت ولا أصنع العجائب الاّ متبعاً ما يعمله الآب في يوم السبت عينه فمقدرتي هي مقدرته وعدم مقدرتي عدم مقدرته وارادتي وارادته واحد أيضاً . وأياك ان تستنتج ان سيدنا لا قوة له على العمل باختياره وارادته . فان كان الناس اعينهم متحلّين بمثل هذه القوة التي تمكّنهم من ان يكونوا صالحين أو طالحين فبأولى حجة يكون ابن الله متحلياً بها ومسلّطاً على العمل . فاذن قوله : لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً ما لم يرَ الآب عامله دالّ على وحدة الذات والفعل والقوة والارادة في الاقنومين . ولما كان الآب قادراً على كل شيء فان الابن يكون ضرورةً قادراً مثله على كل شيء . ثم الابن يعمل على مثال الآب أي انه كالآب يعتني بالمخلوقات وكما ان الآب خلقهم وغفر ذنوبهم وأقام الموتى وعمل يوم السبت فهو أيضاً عمل و يعمل مثله

﴿ ٢٠ ﴾ لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل وسيريه أعظم من هذه الأعمال لتتعجبوا أنتم

دليل سيدنا على انه لايخالف الآب ولا الآب يخالفه ان الآب يحبه وبسبب هذه المحبة يريه كل ما يعمله وبالتالي قد شفى السقيم في السبت بارادته . وانما قال سيدنا ان الآب يطلعه على الخفيات والمستقبلات ليهدي اليهود ويخلّصهم من جنونهم ويحملهم على ان يميلوا اليه ويسمعوا كلامه ولا يغضبوا عليه عند كل معجزة يأتيها لخيرهم وكانوا قد نالهم العجب لما منحت كلمة من فيه الشفاء والصحة فأفهمهم انهم

سيزيدون تعجباً مما سيحدثه بسلطانه . وذلك تمّ بقيامته من بين الاموات وانتصاره على الموت وسيتمّ أيضاً بقيامة الناس العمومية وبالدينونة ومعاقبة الأشرار ومكافأة الابرار ومثل هذه الأعمال العظيمة يستبين امامها شفاء المخلّع شيئاً طفيفاً

﴿ الابن يشارك الآب في اقامة الموتى ودينونتهم ﴾

﴿ ٢١ ﴾ لأنه كما أن الآب يُقيم الموتى ويُحييهم كذلك الابن يحيي مَن يشاء ﴿ ٢٢ ﴾ لأن الآب لا يدين أحداً بل أعطى الحكم كله للابن ﴿ ٢٣ ﴾ ليكرم الابن جميع الناس كما يكرمون الآب ومن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله

انتبهّ جيداً الى ان الموتى الذين يقيمهم الابن لا يكونون غير الذين يقيمهم الآب الاّ انه أراد زيادة تبيين لوحدة الآب والابن في العمل وللمساواة ما بينهما وتعليمنا ان الابن بقوة الآب عينها يبعث الموتى وأيضاً يحيي مَن يشاء بالسلطان الواحد مع الآب . وأيضاً اثباتاً للوحدة عينها ونفياً لكل مخالفة ما بينهما قال ان الاب أعطى الحكم كله للابن . وانما الآب أعطاه الحكم حتى يضطر الى الاعتراف به وبلاهوته الذين لا يريدون أن يؤمنوا به لخوفهم من انه وهو الديان الرهيب يدينهم دينونة هائلة . اذن الكرامة الواجبة للابن ان يؤمن به جميع الناس ويقروا بانه اله طبعاً ومساوٍ للآب بالذات بدليل ان كرامته يلزمها ان تكون مساوية بكرامة الآب عينه وبالتالي يصدق القول ان مَن لا يكرم الابن يكون بالفعل عينه غير مكرّم للآب . وهنا نحكم على اليهود والاريوسيين بانهم على ضلال مبين لانهم ينقصون اكرام الابن ويضعونه في غير درجة اكرام الآب ويريدون ان يفسروا الآيات الحاضرة تفسيرهم لما قاله السيد عندما أرسل رسله وقال لهم من قبلكم يقبلني . ولكن غفلوا على ان الرسل خدم السيد وتلاميذه ومهما كان الاكرام الموجه اليهم فلا يمكنه ان يساوي الاكرام الذي يتعين توجيهه للابن وهل يتساوى المخدوم والخادم والملك وعبده . فالآيات مختلفات جداً

فاعلم ذلك حرسك الله من كل ذهول عن محجة الهدى

﴿ ٢٤ ﴾ الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الأبدية ولا يصير الى دينونة لكنه قد انتقل من الموت الى الحياة

كرّر كلمة الحق دلالةً على ان القول صدق لا غشّ فيه واثباتاً له بما يمكن من الاثبات . اما الايمان بمرسل المسيح فهو الاعتقاد بأن الآب اله طبعاً وبالتالي الاعتقاد أيضاً بأن ابنه اله طبعاً مثله لأن الأمرين يتعلق أحدهما ضرورةً بالاخر . وما الحكمة من هذا الاعتقاد ؟ الحكمة منه انه يهب النعيم الأبدي وصاحبه لا يعذّب ولا يُدان دينونة جهنم بل ينتقل من الموت الذي هو الافتراق عن الله أو العذاب الموقت في هذه الدنيا الى النعيم الدائم غير الفاني : واعلم ان قوله بمن أرسلني . مظهر انه مولود أزلياً من الآب وان أمره مسلم للآب أيضاً وانه اقنوم غير اقنوم الآب وبذلك يجب أن يسدّ فم سيليلوس المجدّف على الله بانه اقنوم واحد لاغير وأفواه المثنين الواضعين ثلاث علل وثلاثة آلهة بل ان الأقانيم الثلاثة أي الآب والابن والروح القدس علة واحدة واله واحد . وهذا هو الاعتقاد الحق

﴿ ٢٥ ﴾ الحق الحق أقول لكم انها تأتي ساعة وهي الان حاضرة يسمع فيها الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون

هل رأيت أعظم من [illegible] السلطان الذي تظهر مفاعيله في القيامة وهو ان الصوت المسموع الصادر من ابن الله يقيم الموتى . ولا تحسب مثل هذا القول كلاماً فرغاً أو حاوياً لافتخار باطل . فان قائله المجد يقول ان ساعة تحقيقه حاضرة لا مستقبلة فلا يمكن ان يدخل عليه الشك والارتياب . وان سألت متى تحقق ؟ قلتُ في قيامة لعازر وكأن سيدنا قال : يتمّ تحقيقه وأنا متردّد بينكم لاني أنادي الموتى وأنا قائم بين

جمعكم فيقوم من اناديهم وايضاً الأزمنة كلها واحد في عيني الرب ولا يصعب عليه أن يقيم الموتى متى يشاء ويريد فان قدرته هي اليوم كما كانت من قبل وتكون هي عينها بعد ربوات من السنين والى الأبد

﴿ ٢٦ ﴾ لأنه كما أن الآب له الحياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته

للحياة معنيان الأول حيات اللاهوت والثاني حياة المخلوق الصادرة بالابداع عن الخالق . فالابن أخذ الحياة الأولى التي هي غير مخلوقة لأننا نعترف به بأنه مولود غير مخلوق وهذه عينها هي حياة الآب التي هي له في ذاته ومن ذاته . فالحياتان في الحقيقة واحد لا أكثر ولو خالفنا تباع أريوس ونسطور في هذا المعتقد . ولفظة كما تدلّ على المساواة التامة في امتلاك هذه الحياة أما الآب فانه يمتلكها من ذاته فليس وجوده من آخر بل انما هو الوجود وعلته وأقنومه هو رأس وبداية غيره أما الابن فلأنه مولود فقد قيل عنه انه أخذ الحياة أو ان الأب أعطاه الحياة وليس انه أعطاه الحياة بل جعل أن تكون هذه الحياة له في ذاته وبعبارة أخرى الابن أقنوم مميز عن اقنوم الآب ولو انه تجسّد فقد بقي واحداً ولم يصر اثنين كما جدّف النساطرة . وهل ولادته من الآب تحمل معها نقصاً . كلاّ . ولهذا المعنى قال انه يأتي ليدين ونه مثل الآب يكرّم من يشاء . وكل الاختلاف بيننا وبين الهراطقة في تأويل كلمة أعطى . فان وضعها في المخلوقين دلّت على نقصان في المعطى لهُ كما اذا أعطى ملاك ملاكاً آخر شيئاً أي أفاده علماً أو كما يعطي الاب ابنه طبيعته أي يفيده امتلاكها أو كما يهب سيد عبده عطيّة اما ان قلتها عن الأقانيم الثلاثة فلا تعني نقصاناً ما فالاب أعطى ابنه الحياة أي ولده في الأزل وأعطى الابُ الحياةَ الروحَ القدس أي انبثق منه في الأزل . والثلاثة متساوون بالعظمة والحياة . فافقهْ هذا تكنْ على هدى وصواب

﴿ ٢٧ ﴾ وأعطاه سلطاناً أن يُجري الحكم بما أنه ابن البشر

ليس للآب والابن حياة واحدة بعينها بل السلطان الواحد أيضاً ولم يلد الآب ابنه بلادة أزلية فقط بل في هذه الولادة عينها ولد ديّاناً أيضاً أي ذا سلطان ليخلق ويحكم ولما تأنس الابن لم يتغير بل بقي لهُ هذا السلطان واستخدمه ولو انه صار انساناً . وكان اليهود يرونه انساناً مثلهم ومن شعبهم ثم اذا ما سمعوا كلامه وتعاليمه يرونها تعاليم اله وهم يعجزون عن ان يوفقوا بين الرؤية الحسية والسماع الذهني فيسطوا عليهم الشك فشاءَ لهُ المجد ازاحة ارتيابهم وكأن معنى كلامه : تروني انساناً وعقلكم يخبركم بأن قولي دالّ على انه اله . وانا اؤيد قولي بالأعمال والعجائب التي تحقق ما يحملكم عليه عقلكم أي اني اله حقاً

﴿ ٢٨ ﴾ ولا تتعجبوا من هذا لأنها تأتي ساعة يسمع فيها جميع مَن في القبور صوت ابن الله ﴿ ٢٩ ﴾ فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة

نصّ الآية معلن ان سيدنا يتكلم على قيامة البشر العمومية وانما غايته في كلامه نفي شبهة من قلوبهم وهي ان الايمان به كافٍ للخلاص . كلاّ ليس بكافٍ بل الحياة الخالدة انما تكون نصيب المؤمن الذي يزاول الأعمال الصالحة وهذا ما أعلنه يعقوب بقوله : الايمان بلا أعمال ميت . ومَن لا يعمل الصلاح يخرج الى قيامة الدينونة أي الى عذاب لا انتهاء له . والآن نوجّه خطابنا الى اليهود ونقول : ظهر الله في بهاء مجاده لموسى ولأشعيا وخاطبهما بكلام سام يذهل العقول ثم أتى بالمعجزات الباهرة والآيات العظيمة . وهكذا قوي آباؤكم على ثلاثة أشياء أولاً على رؤية الله بصور عجيبة رهيبة ثانياً على سماع كلامه ووصاياه ثالثاً على ماهو أعظم من الكلام أي على مشاهدة أعماله ولهذه المقاصد آمنتم بالله حسن ايمانه وما كذّبتم كلامه ولا معجزاته لأنه مكّنكم من رؤيته . وها هو السيد المسيح تراءى كانسان وأتى بأبدع الكلام وأبهر الآيات فلماذا تكذّبون بكلامه وعجائبه لأنكم رأيتموه . وان قلتم ان الانبياء

عملوا المعجزات . فاعلموا انهم عملوها بالصلاة وامر الله اما المسيح فقد عملها بسلطان ذاته وبقوته .

﴿ ٣٠ ﴾ لا أستطيع أنا أن أعمل من نفسي شيئاً . كما أسمع أحكم وحكمي عادل لأني لست أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني

لا يحتاج يسوع الى سماع تعليم الآ انه أراد بهذا الكلام اثبات حقيقة الدينونة فهو يحكم بارادة الآب وبالقضاء والحكم الذي يستخدمه مع الناس تبعاً لارادة أبيه يكون حكمه مقروناً ضرورةً بالاستقامة والعدل . ومشيئته هي مشيئة الأب والثذان واحدة كما انه والاب واحد . ولو كان للابن مشيئة مخالفة لما للاب لعدداه غير مستوجب ان يُبشر باسمه . وانما اعلن وحدة المشيئتين لأجل شفاء اليهود من مرض قلوبهم ولازاحة الشكوك التي تسود عليهم في حقيقة ما قاله من انه سيقيم الموتى وسيدين وما أشبه

﴿ الشهادات التي يشهد بها ليسوع ﴾

﴿ ٣١ ﴾ وان كنت أنا أشهد لنفسي فليست شهادتي حقاً ﴿ ٣٢ ﴾ انما الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد لي بها هي حق

لأي الأسباب شهد السيد لنفسه في مواقع أخرى ؟ الجواب . لا بدّ من ان نعرف ما الأزمنة التي تكلم فيها سيدنا عن نفسه فاذ ذاك يمكننا الدلالة على غرضه أما هنا فقد غضب اليهود عليه لمنحه الشفاء مخالفاً في السبت وتعظيمه نفسه بالكلام السامي كقوله اقيم الموتى ومن يسمع كلامي ينل حياة الأبد وقد انتقل من الموت الى الحياة . وكأنهم أرادوا أن يعيروه أو يعيروه بالفعل على انه انما يقول العظائم عن ذاته . وكان مطلعاً على خفايا افكارهم وهو الاله العارف بكل شيء فشاء أن يسبق اعتراضهم فقال ما قال ثم استشهد بالآب وبيوحنا وبالمعجزات التي يجترحها وأول

قدّمه هو أبوه الذي يلمح اليه بكلمة آخر بمقتضى ما رآه قوم أما نحن فاننا نعتقد ان كلمة آخر تدل على يوحنا كما يتبين ذلك من الآيات التابعة .

﴿ ٣٣ ﴾ أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق ﴿ ٣٤ ﴾ وأما أنا فلا أقبل شهادةً من انسان ولكنني أقول لكم هذا لتخلصوا أنتم ﴿ ٣٥ ﴾ ذاك كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أحببتم أن تبتهجوا بنوره ساعةً

يوحنا اذن هو الشاهد الأول وشهد للحق الذي هو يسوع وقد أرسل اليه اليهود طالبين شهادته لأنه كان عظيماً في أعينهم ويعلمونه لا يرائي وان نظرت الى شهادة يوحنا وبحثت عنها وجدت انها من الله لا من انسان لأن يوحنا عند ما أرسله الآب أعلمه ان الذي ينظر الروح نازلاً عليه فهو المسيح لذلك قال سيدنا ان الشهادة ليست من انسان . وأفهم مخاطبيه انه انما يذكر مقاله يوحنا عنه لا لاحتياجه الى يوحنا بل لأنه ملحوظ المنزلة امام اليهود فكلامه في شهادته يكون صدقاً وبالتالي حاملاً على أن يطلبوا الأيمان والحياة باتباع المسيح وما أحنّ المخلص وأحكمه في استخدامه كل الطرق لهداية الناس الى الخلاص . ثم اثنى على المعمدان بما يستحقه فسماه سراجاً وقد اقتبس ضوءه البهي من شمس البرارة أي السيد المسيح ثم قال ما معناه : أرسلتم اليه مفتخرين بمعارفكم وحالتكم وأردتم أن يعلن نفسه المسيح الموعود به أماهو فأعلن نفسه مَن كان أي صوت صارخ في البرية وسراجاً ينير أمام سيده المخلص العظيم فتحول افتخاركم عاراً وسخرية

﴿ ٣٦ ﴾ وأما أنا فلي شهادة أعظم من شهادة يوحنا لأن الأعمال التي أعطى لي الآب أن أتمها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني ﴿ ٣٧ ﴾ والآب الذي أرسلني هو شهد لي وأنتم لم تسمعوا صوته قط ولا رأيتم صورته ﴿ ٣٨ ﴾ وكلمته ليست ثابتة فيكم

لأنكم لستم تؤمنون بالذي أرسله

العجائب هي الشهادة الثانية وقد كانت تجذب اليهود الى الايمان بالمسيح اكثر مما فعلته شهادة يوحنا لكنهم أبوا الانقياد اليها مع انها كان السيد يعملها بسلطان الآب عينه . الشهادة الثالثة هي الأب الذي أرسل ابنه وشهد له على نهر الأردنّ بقوله : هذا ابني الذي به سررت . لكنهم لم يريدوا ان يسمعوا صوته سماع قبول وكذلك موسى كلم الله والشعب لم يسمع صوته . وانما نسب يسوع صوتاً الى الاب ليقوى مخاطبوه على فهم عبارته ويجذبهم الى علم أفضل لكن الله لا صوتَ لهُ ولا شكل يدرك بالحواس بل هو أعلى وأسمى من كل الأشكال والنغمات والأصوات : ويا للعجب ان اليهود رفضوا هذه الشهادات ولم يصدقوا كلام يسوع وانما وقع لهم ذلك بتخلي الرب عنهم وهم الآثمون غير المطيعين وغير العاملين بناموس موسى فما كان شيءٌ يؤهلهم الى الايمان بيسوع

﴿ ٣٩ ﴾ أنتم تبحثون في الكتب لأنكم تحسبون أن لكم فيها الحياة الأبدية فهي التي تشهد لي ﴿ ٤٠ ﴾ وأنتم لا تريدون أن تقبلوا اليّ لتكون لكم الحياة

ان له المجد يرسلهم الى الكتب الى الكلام الذي ألقي في جبل سينا الى الأنبياء الذين أوضحوا من هو . الى الناموس الذي هو ظلّ شريعة الانجيل . والناموس برجاله يشبه رجلا نحوياً ان عرف شيئاً من الكلام وتركيبه فهو لا يعرف الحكمة وأسباب الأشياء أما الأنجيل برجاله فيشبه فيلسوفاً ماهراً ذا علم واسع لا آخر له . وأيضاً الناموس مثل الرسم والصورة والخطوط اما الانجيل فهو الحقيقة الكاملة . ومعنى قول مخلصنا : فتشوا في الكتب وتأملوا فيها وقد تكلمتْ عني بالصراحة وشهدت لي شهادة باهرة لكنكم لا تريدون الاقبال اليّ . الاّ انه تعلمون منها اني لا أتكم منقاد [illegible] ان القصد من تفتيشكم نيل الخلاص فالخلاص فيّ وأنتم ترفضونه

﴿ ٤١ ﴾ اني لا أقبل المجد من الناس ﴿ ٤٢ ﴾ لكنني قد عرفتكم ان ليس فيكم محبة الله ﴿ ٤٣ ﴾ أنا أتيت باسم أبي فلم تقبلوني وان أتاكم آخر باسم نفسه تقبلونه ﴿ ٤٤ ﴾ كيف تقدرون أن تؤمنوا وانتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تبتغون المجد الذي من عند الله وحده

لا أقبل مجد الناس لأن طبيعتي غير محتاجة الى مجدكم على شبه الشمس التي تقبل ضوءها من سراج ضئيل . وبعد ان رفضتم الايمان رغماً عن شهادة يوحنا ومعجزاتي وآيات الكتب فاني انسب رفضكم الى رداءة قلوبكم وأوبخكم على خبثكم فانتم قد حرمتم أنفسكم محبة الله التي لا تستقر فيكم . والغريب فيكم اني مرسل من الآب وترفضوني ولو أتاكم مسيح كذاب باسم نفسه وادّعى انه الله وهو الضالّ المضلّ فلا تتأخرون عن قبوله والواجب ان تطردوه . لكن من كان مثلكم بعيداً عن الله ويتظاهر مرائياً انه خائف منه ويعمل الشرور الفظيعة ويطلب مدحة الناس ويفضلها على مدحة الله فلا يقدر ان يؤمن لانه متصلّب في معصيته

﴿ ٤٥ ﴾ لا تظنوا أني اشكوكم عند الآب لان لكم من يشكوكم موسى الذي فيه رجاؤكم ﴿ ٤٦ ﴾ فلو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بي لانه كتب عني ﴿ ٤٧ ﴾ فان كنتم لاتؤمنون بكتبه فكيف تؤمنون بأقوالي

موسى الذي ما حفظوا أوامره ولم يؤمنوا بعجائبه بل واصلوا التذمتر عليه في البرية هو الذي يشهد على رداءتهم . ولو كانوا صدقوا كلامه وكلام سائر الانبياء لما تمهلوا عن قبول المسيح والايمان به وبعجائبه . ومشهور كلام موسى في المسيح ونصّه : سيقيم لكم الرب نبياً من اخوتكم فله اسمعوا . وبناءً عليه فلأنهم لا يؤمنون بكتب موسى

فلا يقدرون على الايمان بكلام المسيح ويشبه الأمر ما يعمله ملك من ارساله صورته ورسله الى الشعب . فان قبل الشعب الصورة والرسل اعلن بذلك قبوله الملك وان احتقرها ورذلها كان فعله علامة بيّنة على رفضه

الاصحاح السادس

في تكثير يسوع خمس الخبزات والسمكتين

﴿ ١ ﴾ بعد ذلك انطلق يسوع الى عبر الجليل وهو بحر طبرية ﴿ ٢ ﴾ وتبعه جمع كثير لانهم كانوا يعاينون الآيات التي يصنعها في المرضى ﴿ ٣ ﴾ فصعد يسوع الى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه ﴿ ٤ ﴾ وكان الفصح عيد اليهود قد قرب

ترك يسوع اورشليم وذهب الى الجليل ليهدئ غضب حاسديه من أجل شفاء السقيم ولكن تبعته الجماهير بسبب عجائبه مع ان الواجب اتباعه بسبب تعاليمه الخلاصية وقد أشار الانجيلي بكلمة عمومية الى كل آيات مخلصنا من دون تفصيل لأن غرضه انما هو الكشف عن التعاليم . وكان له المجد لا يحبّ الضجّة والاضطراب بل يميل الى الاقامة بالأماكن الهادئة طلباً للصلاة ولمناجاة الله ولتعليمنا ذلك ولهذا المعنى قيل انه صعد الى الجبل

﴿ ٥ ﴾ فرفع يسوع عينيه فرأى جمعاً كثيراً مقبلاً اليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء ﴿ ٦ ﴾ وانما قال هذا ليجربه لعلمه بما سيصنع ﴿ ٧ ﴾ فأجابه فيلبس انه لا يكفيهم خبز بمئتي دينار حتى ينال كل واحد منهم شيئاً يسيراً

عمل سيدنا مرتين آية الخبز ففي الاولى التلاميذ انفسهم خاطبوا يسوع من أجل

الجمع وفي الثانية هو الذي خاطبهم . ثم في رواية سائر الانجيليين لم يتكلم لهُ المجد مع فيلبس وحده بل مع كل التلاميذ والحلّ هذا الاعتراض قُلْ ان الانجيليين ما أرادوا تعيين تلميذ مخصوص بل قالوا : التلاميذ بوجه الاجمال . أو ان الآية وقعت مرتين ولماذا اذَنْ وجّه السؤال الى فيلبس ؟ أجيب لأنه كان محتاجاً الى التعلّم أكثر من غيره وهو الذي قال يامعلم أرِنا الاب وحسبنا . فسيدنا أوضح لهُ أولاً عوز الناس الحضور الى خبز كثير حتى لا ينسى المعجزة بعد وقوعها بل يبقى ذكرها راسخ في قلبه . وقد كان لهُ المجد عالماً حق العلم بجواب تلميذه فجرّبه أي اختبره ليذكر التلميذ ذكراً جيداً كل ظروف الواقع وليقول له ما قاله : انه لا يكفيهم خبز بمائتي دينار فهو نفسه يقرّ بما في الآية الآتي وقوعها من الأمر الخارق المألوف الدالّ على سلطان وحنان .

﴿ ٨ ﴾ فقال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس
﴿ ٩ ﴾ ان ههنا غلاماً معه خمسة أرغفة من الشعير وسمكتان ولكن ماهذه لهذا العدد من الناس

ان جواب اندراوس يظهره أفضل من فيلبس ولو انه لا يستدلّ منه بلوغه قمّة الكمال. وكأن هذا التميذ فكّر بما صنعه أليشع الذي أشبع الوفاً من خبز قليل ولذلك ذكر الخمسة أرغفة والسمكتين . وقوله : ما هذه لهذا العدد بيّن عدم كفاية الموجود للمطلوب وانتبه الى أمرين الأول ان سيدنا وتلاميذه كانوا يأكلون أيضاً من خبز الشعير .الثاني ان السيدعمل آيته من مادّة سابقة لا كما عمل بعد القيامة عند ما خلق الخبز والسمك والجمر على شط بحرية طبرية فهنا كثر الخبز الطبيعي وأخضع لسلطانه القاهر خليقته فسوّى منها ما أراد خلافاً لكذب تباع مرقيان

﴿ ١٠ ﴾ فقال يسوع مُروا الناس بأن يتكئوا . وكان في الموضع عشب كثير فاتكأ الرجال وكان عددهم نحو خمسة آلاف ﴿ ١١ ﴾ وأخذ

يسوع الأرغفة وشكر وقسم على المتكئين وكذلك السمكتين على قدر ما شاءوا .

بعد ان انقطع رجاء التلاميذ من اطعام الشعب اجترح يسوع الآية ليبين لهم انه قادر على كل شيء وقبل أن ينظروا الأرغفة أمرهم باتكاء الجموع أمر خالق ذي عناية بخلائقه على العشب الكثير اللائق أن يكون موضعاً كل فسمع التلاميذ والجمع كلامه وآمنوا أن سيكون لهم طعام والا لما جلسوا . ثم ان سيدنا شكر أو بارك . قال الذهبي الفم : أي صلى ولم يصلّ عند صنعه المعجزات الا في هذا الموضع لتعليمنا أن نصلي ونشكر لله نعمته عند مانأكل الخبز . ولماذا صلّى في هذه الآية الصغيرة معانه لم يصلّ في اجرائه المعجزات الأخرى ؟ اعلم انه أراد أن يعلن انه صلى بسلطان نفسه ولو كان محتاجاً للصلاة لصلّى في سائر المعجزات الكبيرة ثم انه صلّى ليعلم الشعب أمامه انه لا يخالف الله الآب . وما صلى له المجد الا مرتين هنا وعندقيامة لعازر . وتسأل قائلاً ان الخبز والسمك تكاثرا ولكن كيف تمّ ذلك ؟ أجيب : لا علم لنا لا سيما وان خاصة الأعجوبة أن يتعذر ادراكها . ويمكن القول انه كثر بقوته الخبزات كما استلّ ضلعاً من آدم وكبره وكثره وكما كثر المنّ في سلّة من كان يلتقط منه القليل بل كان يكثر الأكل على الموائد وفي فم الآكلين

﴿ ١٢ ﴾ فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها ﴿ ١٣ ﴾ فجمعوا فملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر التي فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير ﴿ ١٤ ﴾ فلما عاين الناس الآية التي عملها يسوع قالوا في الحقيقة هذا هو النبي الآتي الى العالم ﴿ ١٥ ﴾ واذا علم يسوع انهم مُزمعون أن يأتوا ويختطفوه ويقيموه ملكاً انصرف الى الجبل وحده

أمر بجمع الكسر حتى لا يظن أحد الأعجوبة خيالاً ثم شاء أن تبقى فضلات كثيرة لا للافتخار الباطل بل ليعرفه الناس انه رب الأنبياء . هؤلاء كانوا يكثرون الطعام بالقدر الكافي للمحتاجين أما المسيح فبالقدر الغزير الفائض وأيضاً جمع التلاميذ أنفسهم الكسر لترسخ المعجزة فيهم وهم مزمعون أن يكرزوا بها في العالم وانهم جمعوا اثنتي عشرة قفة بعدد الاثني عشر تلميذاً . والقفة هي أكبر من الزنبيل . وانظر الى سرور الشعب بعد ان ملأ البطون فانه سمّى السيد نبياً وكان له المجد قد عمل آيات كثيرة امامه فما أعلنه النبيّ المنتظر ثم أراد اقامته ملكاً ليطلب منه القوت كما كان لآبائه في البرية اما سيدنا فانصرف الى الجبل ليعلمنا ان نرذل العالم وامجاده ونجتهد في ربح الآخرة

﴿ في مشي يسوع على البحر ﴾

﴿ ١٦ ﴾ ولما كان المساء نزل تلاميذه الى البحر ﴿ ١٧ ﴾ وركبوا السفينة عابرين في البحر الى كفرناحوم وكان ظلام ولم يكن يسوع قد جاء اليهم ﴿ ١٨ ﴾ وكان البحر هائجاً بهبوب ريح شديدة ﴿ ١٩ ﴾ فلما جذفوا نحو خمس وعشرين غلوةً أو ثلاثين رأوا يسوع ماشياً على البحر وقد اقترب الى السفينة فخافوا

قال القديس يوحنا : لما صار المساء ونظر التلاميذ ان يسوع لم يأتِ ظنّوه مضى الى كفرناحوم وظنوا انهم يجدونه اما في هذه البلدة أو في الطريق وربما يكون قد أمرهم بالجلوس في السفينة وبالسير في البحر وان لم يكتب الانجيلي مثل هذا الأمر . ويكون سبب ذلك انهم نسوا حالاً آية الخبز فشاء أن تعصف عليهم الريح وتلطمهم الامواج ليأتي اليهم ماشياً وينجيهم فيقرنون اذ ذاك الآيتين معاً وتغرسان في ضمائرهم فاذن هبوب الريح ثم ارتفاع الامواج عليهم كانا بأمره وأحدثهما بعد ان ابتعدوا عن ساحل البحر خمس وعشرين غلوة أو ثلاثين والغلوة هي طول الفدّان . ثم ليأخذك

العجب من سير جسد الانسان على سطح البحر الاّ انه لم يكن البحر حاملاً سيدنا بل سيدنا هو حامل البحار والعالم كله . وميز بين هذه الآية وتلك التي رواها متى ففي هذه صرخ سمعان قائلاً ائذن لي ان آتي اليك اما في تلك فلم يقل شيئاً وأيضاً في الثانية قيل انه صعد السفينة اما في الاولى فلا شيء من ذلك . ثم متى أوصلهم الى ارض جناشر وروى ان الاضطراب كان شديداً بالغاً آخر حدود الشدة اما في يوحنا فلا ذكر لمثل هذين الظرفين

﴿ ٢٠ ﴾ فقال لهم أنا هو لا تخافوا ﴿ ٢١ ﴾ فأحبوا أن يأخذوه في السفينة وللوقت وصلت السفينة الى الارض التي كانوا منطلقين اليها

لما رأى التلاميذ شدة اضطراب البحر وظلام الليل ورجلاً ماشياً على البحر يدنوا منهم نالتهم الرعبة فاقتضى الأمر ازالة خوفهم فقال ماتأويله : أنا معلمكم وابن الله ورب البرّ والبحر . ولم يرد ان يصعد الى السفينة لتكبر قوة الاعجوبة ويعظم في أعينهم شان لاهوته الاّ ان الاضطراب تلاشى وأوصلهم بدون مهلة الى اليبس فتكون في الآية عجائب اربع ١ً . اثار عليهم اضطراباً فهيّج البحر والريح ـ ٢ً . سار على المياه ٣ً . أسكت اضطراب الامواج ـ ٤ً . أوصل السفينة حالاً الى اليبس في كفر ناحوم

﴿ في خطاب يسوع عن الايمان به وعن سرّ القربان ﴾

﴿ ٢٢ ﴾ وفي الغد رأى الجمع الواقف عند عبر البحر ان لم يكن هناك الا سفينة واحدة وان يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم ﴿ ٢٣ ﴾ على أنها جاءت سفن أخر من طبرية الى قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز حيث شكر الرب ﴿ ٢٤ ﴾ فلما رأت الجماعة أن يسوع ليس هناك هو ولا تلاميذه ركبوا تلك السفن وأتوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع ﴿ ٢٥ ﴾ فلما وجدوه في عبر البحر قالوا له يامعلم

متى صرت الى ههنا

في اليوم الذي سار فيه التلاميذ الى كفر ناحوم رأى الجمع الذي شبع خبزاً وسمكاً ان يسوع صعد الى الجبل ولم يذهب مع تلاميذه والشعب عينه فتش في السفن الآتية من طبرية عن المخلص فلم يجده فقصد كفر ناحوم والتقى به في عبر البحر فأخذه الانذهال وقال ما معناه : يامعلم لم تجلس في السفينة مع التلاميذ ولا في سائر السفن الراسية . ولم نرَ سفينة أخرى فما أتى بك الى هنا . اذن جئت ماشياً على المياه فكيف كان ذلك .

﴿ ٢٦ ﴾ أجابهم يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم انكم لم تطلبوني لانكم عاينتم الآيات بل لانكم أكلتم الخبز وشبعتم ﴿ ٢٧ ﴾ اعملوا لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن البشر لان هذا قد ختمه الآب الله

لا تنفع وداعة المعلم في كل حين بل لا بدّ أن يثير من مدة الى أخرى في نفوس تلاميذه عواطف الاجتهاد ببعض كلام الزجر وهذاما أجراه سيدنا مع مخاطبيه فأفهمهم انه لا يطلب اكرام الناس بل انما يريد تقويم المعوج فيهم وخلاص نفوسهم وقال : لم تؤمنوا بسبب العجائب ولم تأتوا اليّ الاّ لاعدّ لكم مأكلاً ولتملأوا بطونكم اعملوا لا للطعام الجسدي بل للطعام الروحي وللتعليم الذي يقيت النفس . وقد سمى الأيمان مأكلاً باقياً الى الأبد بدليل انه قال : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بمن أرسله ومَن يؤمن بي فله الحياة الأبدية ولا تظن أن سيدنا رذل الأعمال الصالحة أو لم يقتضها مع الأيمان . كلا بل انما كان قصده تجريد الآتين اليه من المادي لحملهم على الروحي أي الأيمان به وبتعليمه أما ضرورة الأعمال فنستنتجها من آيات أخرى ولا سيما من وصف سيدنا للدينونة وذكره هناك الأعمال وما يدين به مَن أهملوها . أما مَن يعطي المأكل الروحي . فالجواب هو يسوع الذي يدعو نفسه ابن البشر ومختوماً من

الآب ومعنى ذلك . الآب شهد و بين ان هذا الانسان الذي ترونه أمامكم هو الله . ثم ان يسوع كشف عن ذاته انه الله بواسطة آياته فان سيدنا عرف أفكار هؤلاء الناس مريديه فوبخهم على حماقتهم . ومرجع كلامه الى هذا : تريدون ان تعملوا ملكاً مَن شهد الآب في الاردن عنه انه ملاك والله ومَن يظهره الآن لكم الهاً ليعطيكم ما كلاً روحانياً

﴿٢٨﴾ فقالوا له ماذا نصنع حتى نعمل أعمال الله ﴿٢٩﴾ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي أرسله ﴿ ٣٠ ﴾ قالوا له أية آية تصنع لنراها ونؤمن بك ماذا تصنع . ﴿ ٣١ ﴾ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب انه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا

لم يسألوا ما يصنعونه لأتيان أعمال الله الا قاصدين أن يجذبوا مخلصنا لأعطائهم مأكلاً مادياً فوبخهم لانهم انما يؤمنوا به لأجل الطعام لا بسبب آخر والعجب انهم يطلبون أيضاً آية وقد عمل له المجد أمامهم آية الخبز . وما طلبهم الا ليحملوه على تجديد الآية عينها فذكروه بآية المنّ واجتهدوا في أن يلزموه باطعامهم فما همهم الا اشباع المعدة واتباع الشراهة . وما أرذلهم في مقابلتهم بين موسى ويسوع وبين المنّ والخبز الذي كثره المخلص في أيديهم وأفواههم . هذا في زعمهم حقير دنيّ بالنسبة الى ذلك الذي هو ثمين كثير القيمة مع ان أجدادهم عدوه حقيراً وتذمروا على الله من أجله وطلبوا ما هو أشرف منه أي الخبز . والآن بعد أن أعطوه اشتاقوا الى المنّ وطلبوه وهذه حالة الشراهة التي لا تكتفي بما يحضر لديها بل تتوق وراء الغائب عنها وقد أتوا بشهادة داود محرّفة مع ان التوراة تصرح بان موسى لم يعطكم أي خبزاً أو المنّ وسيدنا عينه نفى من عقولهم كون موسى أعظم منه أو كونه أعطى مثله الخبز فلذلك قال

﴿ ٣٢ ﴾ قال لهم يسوع الحق أقول لكم ان موسى لم يعطكم الخبز

من السماء لكنّ أبي هو يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ﴿ ٣٣ ﴾ لأن خبز الله هو النازل من السماء والواهب الحياة للعالم

وصف الخبز المعطى من الآب بلفظ حقيقي لينكر كونه خيالاً وقال انه من الآب ليقربهم اليه . وأضافه الى الله لانه مشتق من الحياة تبعاً للقول : الخبز رأس حياة الانسان والمسيح أعطى الحياة جميع المائتين في الأثم والمعصية وبعد أن أكلوا خبزه عاشوا عيشة برّ وطُهر وأشار الى ان الخبز هو السيد عينه بقوله : النازل من السماء والواهب بني البشر الحياة . وهنا أعلن يسوع انه أقنوم مميز عن الآب هبط من الاعالى الى حشاء البتول وتجسد فعلاً لا ان ارادته حلت فى العذراء كما يجدف النساطرة :

﴿ ٣٤ ﴾ فقالوا له يارب أعطنا في كل حين هذا الخبز ﴿ ٣٥ ﴾ فقال لهم يسوع أنا خبز الحياة مَن يقبل اليّ فلن يجوع ومَن يؤمن بي فلن يعطش أبداً

اليهود الغارقون في شهوات الجسد ما زالوا يعتقدون ان الخبز ماديّ ولذلك ألحوا على سيدنا بان يعطيه لهم كل حين فجرّدهم من سفاهة أفكارهم بقوله : أنا خبز الحياة قال الذهبي الفم : خبز الحياة هو الله ولما كان مقصد سيدنا أن يوصلهم الى الأسرار العلوية بادأهم بالكلام على لاهوته . قال فيلكسينوس : سمّى خبزاً اقنومه أي الكلمة المتجسد وشاء تعليمنا أن جسده لم ينزل من السماء لكن القوة التي نزلت من السماء هي التى عملت الخبز جسداً سماوياً وأيضاً هي التى تحوّل الخبز الى جسده في سرّ القربان المقدّس وأيضاً لا مانع من أن نسمّي لاهوته خبزاً لأنه يحيينا ويواصل العناية بحياتنا ونأكله بواسطة تناول جسده على شبه الخبز الذي يقوّي ويحيي . وهو حياة حقيقية للميت والخاطيء ولكل مَن يؤمن به ولذلك مَن أكله لا يجوع ولا يعطش .

وكما ان الملائكة والنفوس السعيدة قبلوا الحياة الخالدة مرة وان يفقدوها ولن يموتوا بعد كذلك من يأكل الخبز هذا ينال حياة الأبد

﴿ ٣٦ ﴾ لكن قلت لكم انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون ﴿ ٣٧ ﴾ كل ما يعطينيه الآب فهو يُقبل اليّ ومَن يُقبل اليّ لا أخرجه خارجاً

رأيتموني بأوصافي في كتب الأنبياء ورأيتم شخصي يزاول المعجزات ورأيتم يوحنا يشهد لي فواجبكم أن تؤمنوا بي وأنتم ترفضون وسببه ان الايمان هبة من الآب ومن يؤمن بي يعمل ارادة أبي ومن لا يؤمن يناقضها . وربّ معترض يقول : ان كان الاعطاء معناه الايمان فاذن لا لوم على مَن لم يعطهم الآب ؟ الجواب ان الآب يعلق دائماً اعطاءه على ارادة الانسان فان كان المرء مستعداً أن يؤمن بالمسيح أعانه الآب وجعله مؤمناً . اذاً يُلام غير المستعد . أما مَن يؤمن بالسيد ويأتي اليه فلا يُحرم الملكوت أو لا يدخل الظلمة البرانية في جهنم

﴿ ٣٨ ﴾ لأني نزلت من السماء لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني ﴿ ٣٩ ﴾ وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن لا أتلف من كل ما أعطاني شيئاً لكنني أقيمه في اليوم الأخير ﴿ ٤٠ ﴾ وهذه هي مشيئة أبي الذي أرسلني أن كل مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير

يُسأل ماهي مشيئة الابن التي لايريد عملها : ألتأنس أم هدى الشعب أم قيامة الموتى أم الدينونة العادلة ؟ كلاّ ومن ظنّ فيه انه يريد حرمان الناس خيراً عظيماً فقد ساء ظناً واعتقد بما هو شائن في حق الابن لكن أراد مخلصنا اظهار ان ارادته هي ارادة الآب حتى لايتهمه اليهود بانه مخالف له وبان ارادته غير خلاصهم ومنفعتهم الكبرى . وبيان ذلك ان ارادة الآب ان لا يُهلك الابن مَن آمنوا به وهم الذين

أعطيهم من الآب . وهذه عينها هي ارادة الابن لانه أتى لخلاص البشر فاذن كل ما أعطاه الآب لا يهلك منه شيء بعناية الابن أيضاً الذي ينجز ما يريده أبوه . وكل المؤمنين به يُنيلهم النعيم الأبدي لانه بعد ان يحرسهم في الحياة ينجّيهم من النار ويجعلهم في العالم المزمع ممجدين حاصلين عوض ايمانهم وسيرتهم الصالحة مكافأة سنيّة

﴿ ٤١ ﴾ فتذمر اليهود عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء ﴿ ٤٢ ﴾ وقالوا اليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه فكيف هذا يقول اني من السماء ﴿ ٤٣ ﴾ فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم ﴿ ٤٤ ﴾ ما من أحد يقدر أن يُقبل اليّ ما لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير

تذمّر اليهود لسببين أولاً لأنه تمنّع ان يعطيهم الخبز الماديّ ثانياً لادّعائه على زعمهم انه خبز الله وما كانوا يظهرون حقدهم وغضبهم بل حفظوه سراً لأملهم ان يصنع لهم ثانية اعجوبة تكثير الخبز . ثم ما كانوا عارفين بمولده الأزلي الخفيّ فذكروا مولده البشري الذي كانوا أيضاً جاهلين لظروفه . ولاستغراقهم في المادة كانوا عاجزين عن ادراك كيف هو ابن الآب بل حسبوا كلامه تجديفاً أما هو له المجد فقال رداً على افكار قلوبهم الدنسة : تأبون ان يكون فيكم ارادة صالحة وترفضون تصديق كلامي باختياركم فلذلك لا تستحقوا ان يجتذبكم الآب اليّ . وسمّى بوضوح الله أباه رداً على ما تسارّوا به من انه ابن يوسف . وهنا اياك ان تعتقد بنفي الحرية في الانسان وتقول : ان كان الآب لا يجذب النفس الى الايمان فالمرء عاجز عن ان يؤمن نعم ان الايمان هبة سماوية كبرى . وبدون اعانة النعمة لا يقدر أحد عليه . الاّ انه مقدم للجميع . ولا يكره أحد على قبوله . فالآب لا يجتذب قسراً ولا يغصب أحداً على الاتيان الى الابن بل انه يعامل كلاً تبعاً لحريته الشخصية . والانسان نفسه يرفض

باختياره ان يؤمن . فمن يعمل صالحاً وتكون نيته مجرّدة من الغش يقبل دعوة الآب اما ان صلّب رأيه ونغلت منه النية فيرفضها والآب يتخلى اذ ذاك عنه . وانتبه الى أمر ذي أهمية وهو ان المسيح ينسب الى الآب الدعوة الى الايمان وينسب الى ذاته اقامة المؤمن في اليوم الاخير فلا تظنّ ان الفعلين مقسومين على كل من الاقنومين بل بما ان لهما كلاهما فعلاً واحداً في الحقيقة فما يقال عن الواحد ينبغي ان يفهم أيضاً عن الآخر

﴿ ٤٥ ﴾ قد كتب في الأنبياء انهم يكونون بأجمعهم متعلمين من الله فكل من سمع من الآب وتعلم يُقبل اليّ ﴿ ٤٦ ﴾ لا أن أحداً رأى الآب سوى الذي هو من الله فهذا قد رأى الآب . ﴿ ٤٧ ﴾ الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله الحياة الأبدية

قد علّمهم الله في الناموس وفي كتب الانبياء لاجل المسيح . وقيل باجمعهم دلالة على الكثيرين أو على كل الذين تعلموا لا على كل الناس بدون استثناء فمن سمع التعليم سماع قبول آمن بالسيد ولئلا يظنّ اليهود الماديون ان الله يجذب الناس جذباً محسوساً منظوراً بالاعين الحسية اعلمهم يسوع ان الآب غير منظور وان جذبه في الباطن بالنعم الروحية وان الخلائق لا يقوون على مشاهدته بل انما يقوى عليها مَن هو من طبيعة الآب واله مثله واراد الاشارة الى لاهوته له المجد ثم عقّب بما مفاده : مَن آمن بي أنا ابن الله فانه ينال الحياة الأبدية التي فيها يقوى على مشاهدة الله وجهاً ازاء وجه

﴿ ٤٨ ﴾ أنا خبز الحياة ﴿ ٤٩ ﴾ آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا ﴿ ٥٠ ﴾ هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت كل مَن يأكل منه

المسيح خبز الحياة لانه منحنا ان نحيا وان نعتني بحياتنا الزمنية والأبدية ومن يأكل من هذا الخبز فلا يموت كما حصل لآل اسرائيل في البرية فقد أكلوا من المن

والسلوى ونالهم الموت وبذلك يفضل خبز سيدنا على كل عطية أياً كانت . ومن الآية يُنتج ان المنّ بقي لليهود مدة اقامتهم بالبرية ولم يدخل معهم ارض الميعاد بعكس الخبز الذي يقدمه سيدنا فانه يدوم الى منتهى العالمين لانه حاوٍ للاهوته الذي نأكله متجسداً فيدخل جسدنا ويصير فينا الحياة بالطبع التي لا بدء لها ولا منتهى . وقُلْ أيضاً كما تقدّم لنا ذكره ان اقنوم الكلمة نزل من السماء الى احشاء البتول الطاهرة وتجسد منها وفيها تجسداً حقاً لا ان ارادته نزلت كما يدعي النساطرة كذباً

﴿ ٥١ ﴾ أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء ﴿ ٥٢ ﴾ ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي لحياة العالم

تبين مما تقدم ان الخبز انما يعني لاهوت المسيح وان الايمان به وقبول تعليمه ومناولة جسده في سر القربان هذه كلها مورثة الحياة الأبدية . واراد له المجد أن يحصر معنى الخبز هنا بجسده الذي ذُبح على الصليب مرة واحدة لخلاص البشر وقربه هو أولاً وأعطاه تلاميذه في العشاء السري ليغتذوا به ثم نعطيه نحن كهنة العهد الجديد ليغتذي به كل مؤمن ويحيا . ومن فوائده السامية انه يحولنا اليه عندما نأكله كما يحول جسدنا الطبيعي الى دمه ولحمه كل ما نتناوله من المأكول . والفرق اننا نحول الينا ما نأكله من سواه اما هو فانه يحولنا اليه ويجعل جبلتنا في حياته ومشمولة بقوته . ومن ثمّ بعدل وصواب نُدعى أعضاءه وكأننا في اقنومه الذي صار انساناً لأجلنا

﴿ ٥٣ ﴾ فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يُعطينا جسده لنأكله ﴿ ٥٤ ﴾ فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم ﴿ ٥٥ ﴾ مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية وأنا أُقيمه

في اليوم الاخير ﴿ ٥٦ ﴾ لأن جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي

الرجل الحيواني لا يفقه كلام الله وهذه حالة اليهود الذين تخاصموا قائلين : كيف يطعمنا هذا جسده . فشرع مخلصنا يوضح لهم عباراته بما لا يترك لسامعها ريباً في معناها . ومن المعلوم ان حياتنا الانسانية نحفظها بواسطة الأكل والشرب ولو ان لنا نفساً تحيي أجسامنا . اذ ان هذه النفس عينها لا تقدر على صيانة حياة الجسد بدون قوت . اذن هذه الطبيعة المركّبة فينا من روح وجسد تستعير حياتها أو صيانة حياتها من خارج والموت يقطعها . فسيدنا يقول : من يأكل جسدي فله الحياة في ذاته أو طبيعته . وكما ان العضو يبقى حياً ولا يموت ما دام في الجسد كذلك اعضاء السيد المسيح يفوزون بالحياة . والسيد المسيح لهُ الحياة في ذاته كذلك من يأكلون جسده تكون لهم الحياة عينها أي في ذاتهم ولا يحتاجون الى قوت آخر يصونها . واعلم ان ابن البشر الذي عبر به السيد عن نفسه يطلق على المسيح كله كما تطلق لفظة كلمة أو جسد أو الله وان جسده الذي نأكله هو جسد ابن الله والله فالمسيح ليس انساناً فقط ولا انساناً ساكناً فيه الله لا غير ولا انسانَ النعمة بل هو الله الذي صار انساناً حقاً وان كان انساناً لاغير فكيف يعطي الحياة الابدية ونحن نعلم ان الانسان ايامه كالعشب تزول سريعاً فكيف يعطي الغير ماليس فيه . وأيّ نبي أو صديق قال عن ذاته ان أكلَ جسده يمنح الحياة الخالدة . اذنْ قُلْ بنتيجة لازمة ان المسيح رب الانبياء والله المتأنس . أما جسده ودمه فهما مأكول روحاني والفرق بين هذا المأكول والمأكول المادي ان قليلاً من ذاك يشبع اما هذا فيقتضي القدر الكبير منه الأول بقوته الروحية يحيي والثاني بما يملأ به البطن . وقد نسمّي الجسد والدم اسراراً لانهما ليسا كما نراهما بالعين الحسية التي انما تنظر فيهما الخبز والخمر . كذلك السيد المسيح نرى فيه انساناً وهو اله والخبز والخمر تنظر العين فيهما اشكالهما لكنهما جسد ودم المسيح اللذان اخذهما من احشاء العذراء القديسة

﴿ ٥٧ ﴾ من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه ﴿٥٨﴾
كما أرسلني الآب الحي وأنا أحيا بالآب فالذي يأكلني يحيا هو أيضاً بي
﴿ ٥٩ ﴾ هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كالمنّ الذي أكله آباؤكم
وماتوا . مَن يأكل هذا الخبز فانه يعيش الى الأبد

ثبوت سيدنا فينا ان يمزج جسده ودمه الاقدسين بجسدنا ودمنا فيتحد الأمران كاتحاد النار بالحديد وانارتها مادته السوداء وهكذا نثبت غير متزعزعين في هذا العالم ونتجدد في العالم الآتي . وشاء له المجد تفسير ما الحياة التي يعطيناها فقال ان الآب الذي له الحياة في ذاته اعطى الابن ان تكون لهُ هذه الحياة عينها في ذاته وانما الاعطاء باعتبار تجسد سيدنا لا باعتبار لاهوته . فهذه الحياة الأزلية يُعطاها من يأكل جسد المسيح في هذه الدنيا وتبقى لهُ حتى القيامة و بعدها . وهي أفضل مما كان يهب المنّ في البرية لأن المنّ وهب حياة جسدية لها حدّ محدود وجسد المسيح يهب حياة لا حدّ لها

﴿ ٦٠ ﴾ قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفر ناحوم ﴿ ٦١ ﴾ وان
كثيراً من تلاميذه لما سمعوا قالوا هذا الكلام صعب مَن يستطيع سماعه
﴿ ٦٢ ﴾ فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون من هذا فقال لهم
أهذا يُشككُكم ﴿ ٦٣ ﴾ فكيف اذا رأيتم ابن البشر صاعداً الى حيث
كان أولاً

٠كل الآيات من ٣٦ الى آخر الفصل قد قالها سيدنا في كفر ناحوم اما تلاميذه الذين تذمّروا منه مع الزنادقة وقالوا مَن يستطيع سماع كلامه وكان بينهم يهوذا فهم غير الاحد عشر ولما كان يسوع الهاً اطلع على افكارهم وقال ما مفاده : متى تنظروني صاعداً الى السماء من حيث أتيت فاذ ذاك تتحققون اني لست انساناً بل أنا اله

واني لست من الأرض بل من السماء اتيتُ . ولست ابن يوسف بل ابن الله الآب . واني خبز الحياة وان جسدي مأكل ودمي مشرب . وانكم لتقرّون بهذه كلها رغماً عن انوفكم لاني أعرَف عند الجميع اني اله . وهنا نخاطب الهراطقة المنافقين فنقول : ان كان المسيح انساناً لاغير كما تدّعون بدون اثبات فكيف يصدق قوله من انه يصعد الى حيث كان أولاً . أفي اعتقادكم أن كان في السماء انسان قبل نزول المخلص الى الارض وصلبه وقيامته وفتحه أبواب النعيم . اذن قولوا معنا ان ابن البشر هو عينه ابن الله

﴿ ٦٤ ﴾ الروح هو الذي يحيي وأما اللحم فلا يفيد شيئاً والكلام الذي كلمتكم به هو روح وحياة

أوّل في المعنى الروحي الآية بان ينبغي أن تسمعوا كلامي سماع قبول حتى ترثوا الحياة الأبدية . اما ان كنتم تنظرون اليه نظر رجلٍ مستغرق في المادّة فلا تستفيدون منه شيئاً . ونظركم نظرُ مادةٍ ان قلتم مرتابين : كيف نزل من السماء وهو ابن يوسف وكيف يقدر ان يهبنا جسده . ويمكن التأويل بأن الانسان روح وجسد . فان سمع بجسده كلام المسيح خسر كل نفع لان الجسم يسمع الكلام سماع حيوان غير ناطق أي يسمع صوتاً ولا يفقه معنى . اما الروح والنفس فانها تدرك معاني الكلام وبادراكها المعاني تقتبس معرفة والمعرفة حياة النفس . وكأن سيدنا يقول : جسدكم لا يُدرك معنى كلامي لكن روحكم تفهم ما تكلمتُ به فاذا قبلتم حسن القبول ما أقوله كانت لكم من ورائه حياة الأبد . ولا مانع أيضاً من تأويل آخر وهو ان يُقال أن الروح القدس الذي ستقبلونه في العلية يكشف لكم الغطاء عن معنى ما أريده ويُحيي منكم النفوس اما جسدكم فان معرفته لاتنفع لأن لا فهم فيه . وادّعى تاودروس الهرطوقي ان معنى كلمة الروح هو ان جسد المسيح في القربان لا يُحيي بل الروح الذي فيه . والعجب ان هذا المجدّف لم يقرأ ان سيدنا انما يذكر دائماً جسده ويعلن ان أكله حياة العالم . وان كان لاينفع فلماذا أعطاه المسيح مأكلاً ولكن فهم هذا الهرطوقي غارق في

الجسديات . وكلام مخلصنا كله روح أي هو غريب عن الاكراه المادي ويجب تأمله بعد التجرد من كل أرضيّ ايًا كان ومن أدرك معناه وسمعه سماعاً روحياً نال الحياة

﴿ ٦٥ ﴾ لكن قوماً منكم لا يؤمنون لأن يسوع كان عارفاً منذ الابتداء من الذين لا يؤمنون ومَن الذي سيسلمه ﴿ ٦٦ ﴾ فقال من أجل هذا قلت لكم انه لا يقدر أحد أن يُقبل اليّ ما لم يعطَ له ذلك من أبي ﴿ ٦٧ ﴾ من ذلك الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه

كان سيدنا عارفاً بمن يؤمن ومن لا يؤمن قبل وقوع الحوادث ولذلك أثبت عن قوم من اليهود انهم لا يؤمنون وكأنه قال : أنا عالم حق العلم بمن لا يؤمنون بي قبل أن يولدوا وأيضاً بمن أعطاهم أبي أن يأتوا اليّ . وان سألت عمن تركوه منذ هذا الوقت ولأي سبب ؟ قلت انهم من غير الرسل الاثني عشر وانما أبوا مواصلة اتباعه لانهم لم يلاقوا عنده الماديات وافرة ورفضوا هجر العالم المحروم من الحياة الروحية وقد رجعوا الى الوراء أي رجعوا عن ممارسة الفضيلة وتركوا الايمان

﴿ ٦٨ ﴾ فقال يسوع للاثني عشر ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا ﴿ ٦٩ ﴾ فأجاب سمعان بطرس يارب الى مَن نذهب . ان كلام الحياة الأبدية هو عندك ﴿ ٧٠ ﴾ وقد آمنا نحن وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله

لم يكن سيدنا محتاجاً الى خدمة أحد ولا افتخارٌ له من جولان تلاميذ ورسل معه فلذلك سأل الباقين حوله هل تريدون أن تمضوا . وما مدحهم على تعلقهم به لأن

الزمن لم يكن زمن مدح ولا انتهرهم انتهار غضب ليبعدهم عنه بل شاء اعلامهم انه لا يُكره أحداً على البقاء معه بل يريد أن يقبلوا انتخابه بملء اختيارهم . أما بطرس فبين في جوابه انهم يفضلونه على مَن هو أقرب وأعزّ لديهم وانه أحب الكل اليهم ومعنى كلامه : ان فارقناك فمن يكون ملاذنا وملجاءنا ومن سترنا واننا تركنا الأهل والوطن وتبعناك بسبب ان عندك كلام الحياة الخالدة وتعطي الحياة لمن يؤمن بك ونحن مقرّون الاقرار التام بلاهوتك . وبين ان بطرس استخدم ضمير الجمع لأنه تكلم عن كل التلاميذ

﴿ ٧١ ﴾ فأجابهم يسوع ألم أكن أنا اخترتكم أنتم الاثني عشر وواحد منكم هو شيطان ﴿ ٧٢ ﴾ قال ذلك عن يهوذا الاسخريوطي ابن سمعان لأنه كان مزمعاً أن يسلمه وهو أحد الاثني عشر

بعد أن هجر كثيرون وظلّ سمعان ورفاقه ما أراد له المجد اقلاقهم بل اوضح انه مريد لبقائهم معه لأنه اختارهم من قبل دلالةً على رضاه عنهم ولما كان سمعان قد شمل يهوذا في اعترافه أخرجه سيدنا من صفّ الصادقين المخلصين لكن لم يسمه لئلا يزيد شراً ووقاحةً ولم يسكت عنه ليظهر انه عارف بمكره وباطنه الاّ ان الانجيلي فضح الاسم وذلك بعد وقوع خيانته في زمن آلام المخلص

الاصحاح السابع

﴿ في سفر يسوع الى اليهودية لعيد نصب المظالّ وتبشيره في الهيكل ﴾

﴿ ١ ﴾ وبعد ذلك كان يسوع يجول في الجليل ولم يشاء الجولان في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون قتله

تارة كان له المجد يجول بين اليهود ولا يقوى أحد على القبض عليه وكأنه يعلمهم ما هي قوته التي لا تقهر وسلطانه الذي لا يغلب . وتارة لم يكن ليسير ما بينهم بل يتحول

عن بلادهم وهم يطلبون قتله ويحاولون القبض عليه فيفلت من أيديهم فيثبت لنا انه انسان وانه ولو الهاً فقد تجسد بمحض ارادته واختياره

﴿ ٢ ﴾ وكان عيد اليهود لنصب المظالّ قد قرب ﴿ ٣ ﴾ فقال له اخوته تحوّل من ههنا واذهب الى اليهودية ليرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تصنعها

فهمنا سابقاً ان يسوع صعد الى الجبل عند قرب حلول عيد الفصح ومن الفصح الى عيد المظالّ ستة أشهر ولم يروِ لنا الانجيلي شيئاً عن هذا الزمن ما عدا آية السير على الماء ومعجزة تكثير الخبز والخطاب عن الايمان والقربان . وان كان قد سكت عن أمور عديدة فلأنها لا تفيد غايته . وقد أراد اخوة المسيح أي يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا أولاد يوسف أن يذهب الى اليهودية لنشر تعاليمه وانما كان الحامل لهم على تحريضه الحسد لا غير . الا ان مفسرين غيرنا أولوا عبارتهم بما مفاده · ان شئت القاء تعاليم جديدة . مالك والناصرة والجليل كله ففيها لا تلقى من يسمعك ويتبعك بل اذهب الى اليهودية حيث السامعون كثيرون . وكانت غايتهم أن ينالوا المجد من الناس بسبب شهرة مَن هو قريب لهم ثم اننا نعلم ان الجليل كانت الشعوب تسكنه وما كان فيه اهتمام كبير بالمسيح

﴿ ٤ ﴾ فانه ليس أحد يصنع شيئاً في الخفية وهو يطلب أن يكون علانيةً . ان كنت تصنع هذه فأظهر نفسك للعالم ﴿ ٥ ﴾ لأن اخوته لم يكونوا يؤمنون به

أراد اخوة المسيح اثارة الخوف في قلبه كأنه لم يتكلم بالحق فاظهروا له انه ان بقي على ما هو عليه في بلاد لا قيمة لها وفي نشر تعليم بالخفية فلا ينال فائدة تذكر ولهذا المعنى كان من مصلحته أن يظهر نفسه . وقد قال الانجيلي ان كلامهم هذا كان

صادراً عن عدم ايمانهم به فلا يستحقون الملامة لعدم طاعتهم له اذ لم يكونوا عارفين به معرفة كاملة . ولجهلهم انه ابن الله حقاً ما آمنوا به . وخالفنا في رأينا هذا القديس افرام الذي يلومهم لأن كلامهم ظاهره محبة وباطنه خيانة وكذلك موسى ابن الحجر الذي اثبت ان حسدهم كان شديداً على شبه حسد الأقارب الذين يمتعضون من ارتفاع فردٍ منهم وعلوه عليهم . ونحن لم ننقد لاثبات رأينا الآ لان من هؤلاء الاخوة صار واحد اسقفاً على أورشليم وكان يهوذا ذا فضل وحسن سيرة

﴿ ٦ ﴾ فقال لهم يسوع **ان** وقتي لم يحضر بعد وأما وقتكم فانه عتيد في كل حين

اما ان نية مخاطبيه كانت تسليمه لليهود اما **لا** فان فرضت الأول كان المعنى : تريدون تسليمي لليهود لكن زمان صلبي وموتي لم يأتِ بعد ولماذا تستعجلون عليَّ وتلحون ان اصعد . اما أنتم فلا مانع من ان تصعدوا لأن اليهود **لا** يطلبون قتلكم أو مضرتكم وانتم تابعون لطريقتهم في العمل والاهواء والاعتقاد . وان فرضت الثاني قل : لا اصعد حسب الناموس كما كنت اصعد قبل عمادي ولكن اعلّم التعليم اللازم الذي يهدي الناس الى السجود لأبي والى السجود لي أيضاً اما انتم فاذهبوا ليفي كلٌّ منكم الزامات الناموس فأنتم مرؤوسون وأنا ربّه

﴿ ٧ ﴾ لا يقدر العالم **أن** يبغضكم أما أنا فيبغضني لأني أشهد عليه **بأن** أعماله شريرة ﴿ ٨ ﴾ اصعدوا أنتم الى العيد وأما أنا فلست أصعد الى هذا العيد لأن وقتي لم يتم بعد ﴿ ٩ ﴾ قال هذا وأقام في الجليل.

يسمّي اليهود عالماً وهم لا يبغضون من يريد ما يريدونه ويسعى طبق سعيهم كما كان اخوة المسيح اما هو له المجد فلأنه لا يطلب مجد الناس ولا يسكت عن اعمالهم الشريرة بل يوبخهم عليها فيبغضونه ولذلك قال : لست بمحتاج ان تبقوا

معي فاذهبوا لاتمام ما يأمر به الناموس أما أنا فلا أصعد في هذا الوقت معكم ولا في أول أيام العيد بل في منتصفها لأن زماني لم يتم . وكان له المجد قد رضي باختياره أن يصاب في عيد الفصح التابع عيد المظال هذا وهو الذي عين وقت آلامه

﴿ ١٠ ﴾ وبعد أن صعد اخوته صعد هو أيضاً الى العيد لاصعوداً ظاهراً بل كمستتر ﴿ ١١ ﴾ فكان اليهود يطلبونه في العيد ويقولون أين ذاك

صعدوا وتأخر ثم لما صعد لاصعوداً ظاهراً أفاد الفريقين اولاً مبغضيه لأنه قصد تخفيف حدتهم وكسر تأثير هيجانهم ثانياً محبيه اذ أنجز رغبتهم وكان في مقدرته أن يزيل حقد اليهود لكنه ترك الحرية تعمل طبق صفتها . وانظر هنا الى حكمته العلوية وتواضعه السامي وتعلم أن تعيش بالحكمة وفي الخفاء عند ما يزيد عدد أعدائك وتثور عليك الشهوات والأهواء ثم انه له المجد كان معرضاً لعدوين أولاً لحسد اخوته الراغبين في كشف أمره ثانياً لرثاء اليهود الراغبين في قتله وغير الذاكرين لاسمه بسبب شدة بغضهم وهذه عادة الحاسدين المبغضين يدعون المكروهين منهم بغير أسمائهم كما كان شاول يدعو داود ابن يسى

﴿ ١٢ ﴾ وكانت في الجموع مهامسة كثيرة في شأنه فبعضهم يقولون انه صالح وآخرون يقولون كلا بل هو يضل الشعب ﴿ ١٣ ﴾ غير أنه لم يكن أحد يتكلم فيه علانيةً خوفاً من اليهود ﴿ ١٤ ﴾ وعند انتصاف العيد صعد يسوع الى الهيكل وكان يعلم ﴿ ١٥ ﴾ وكان اليهود يتعجبون قائلين كيف هذا يعرف الكتب ولم يتعلم

المهامسة المشار اليها جعلت يسوع معروفاً وكان الشعب عموماً يعتقد انه صالح بعكس الكتبة والفريسيين والكهنة الذين ينفون عنه الصلاح ويصفونه بأنه مضل لعدم ادراكهم كلامه الالهي . ومع ان الشعب كان مؤمناً به فما كانت له شجاعة كبرى

على المجاهرة باتباعه لخوفه من رؤسائه فسقط في وهن العزيمة وان سألت لماذا أنتظر مخلصنا حتى نصف العيد للصعود . قلتُ حتى يشتاق الشعب لكلامه ولو اننا لا نرى في نصّ الانجيلي ما كان هذا الكلام . ثم لاحظْ مفعول هذا الكلام عينه فان اليهود أتوا ليمسكوه واذ سمعوه نالهم العجب وكأنهم نسوا ما أتوا اليه

﴿ ١٦ ﴾ فأجابهم يسوع وقال ان تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني ﴿ ١٧ ﴾ ان شاء أحد ان يصنع مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أنا أتكلم من عندي

كانوا يتهمونه انه يضل الشعب و بالتالي ضدّ الله فاجاب على الأمرين قائلاً «تعليمي» لأنه هو صاحبه و يعرف كل العلوم من ذاته: ثم عقب ان تعليمه هذا هو لمرسله وبالتالي ليس مخالفاً لتعليم الله لأن الله مرسله فمن لا يقبل هذا التعليم الذي هو للآب يستحق الدينونة لا بل فقد دين . واستنتج هنا الى ان الاقنومين الآب والابن ولو متميزين تعليماً واحداً بعينه كما ان فعلهما واحد وقوتهما واحدة . فمؤدّى عبارة سيدنا : مَن يقلع الحسد من نفسه يعرف ان تعليمي من الله . ومن يتأمل في النبوات التي بارادة الله قيلت عني يفهم ان تعليمي من عند الله واني انطق بما يريده الآب ومن يرغب في اتباع البرّ يدرك ان تعليمي من الله أيضاً واني لا أتكلم بما **لا** يريده أو بما يخالفه . واعلم ان « أم » قد يكون معناها الانكار كما هي هنا

﴿ ١٨ ﴾ ان مَن يتكلم من عنده انما يطلب مجد نفسه فأما الذي يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق ولا جور عنده ﴿ ١٩ ﴾ اليس موسى أعطاكم الناموس وما أحد منكم يعمل بالناموس

من لهُ تعليم خاص أو فضيلة باهرة اقتناها فانما يتكلم لينشر مجده اما انا فأطلب مجد مرسلي ولذلك لا داعيَ لي لأعلّم غير الحق فلا تقولوا اذن اني مخالف للآب

أو محب للفخر الباطل ومن هنا علينا نحن تباع المسيح ان نتكلم عن انفسنا بالتواضع والفطنة اقتداء بمثل مخلصنا . ثم لأن اليهود كانوا يريدون قتله قل . لا يعمل أحد منكم بالناموس فالناموس يأمر بان لا يُقتل انسان وانتم تطلبون قتلي فاذن تتعدّون مرسومات الناموس . الناموس لا ينهي عن عمل الخير وشفاء السقيم في السبت وانتم توبخوني لاني أشفيت المخلع وتريدون مجازاتي بالقتل فانتم اعداء الناموس . ومن الظاهر انهم لم يقبلوا تعليمه لانهم يأبون أن يحفظوا ناموساً أو شريعة

﴿ ٢٠ ﴾ لماذا تطلبون قتلي . أجاب الجمع وقالوا ان بك شيطاناً من يطلب قتلك ﴿ ٢١ ﴾ أجاب يسوع وقال لهم لقد عملت عملاً واحداً فعجبتم بأجمعكم ﴿ ٢٢ ﴾ ان موسى أعطاكم الختان لا أنه من موسى بل من الآباء فتختنون الانسان في السبت ﴿ ٢٣ ﴾ فان كان الإنسان يختن في السبت لئلا تنقض شريعة موسى أفتسخطون عليّ لاني أبرأت الانسان كله في السبت ﴿ ٢٤ ﴾ لا تحكموا بحسب الظاهر لكن احكموا حكماً عادلاً

أتهموه بان فيه شيطاناً منقادين لنفس طالحة حسداً وشراً بحيث لا تقدر على ضبطهما فيها اما هو فقرّعهم بما هم أهله فقال . شفيتُ المخلع فأتخذتم تذمرون عليّ وانتم أعطيتم الختان من قديم ورسم عليكم اجراؤه في اليوم الثامن لولادة الذكر فان وقع يوم السبت أجريتموه بلا مانع ولا تعدّون السبت منقوضاً فلماذا انا الذي ابرأت الانسان في السبت اكون متعدياً على الناموس لا حافظاً له . وقد قال لهُ المجد ان موسى أعطاكم الختان مع ان ابراهيم رأس الآباء هو الذي باشره الاول لان موسى هو الذي خطّ شريعته في التوراة . وان سألت لماذا ناموس الختان يفضل على ناموس السبت ؟ أجبتُ لان الختان شريعة أقوى تأدية الى الاعتراف بسموّ الله والى عبادته وعند تنازع وصيتين في الزمن الواحد ينبغي تفضيل أقواهما على الاخرى . ثم قد قيل

ان النفس التي لا تختتن تهلك فاجراء الختان في السبت مانع لهلاكها والافضل منع هلاكها من صيانة شريعة السبت . ثم زاد مخلصنا لتخجيل مخاطبيه الاراذل : انكم تحكمون رئاءً وتخطئوني لاني أبرأت في السبت ولا تتجاسرون على تخطئة موسى لا لأنه مكرّم لديكم بل خوفاً من أن يغضب الجمهور عليكم فاحكموا بالعدل وارتدعوا عن غيكم

﴿ ٢٥ ﴾ فقال اناس من اورشليم اليس هذا هو الذي يطلبون قتله ﴿ ٢٦ ﴾ وها انه يتكلم علانيةً ولا يقولون شيئاً ألعل الرؤساء تيقنوا أن هذا هو المسيح ﴿ ٢٧ ﴾ الا ان هذا قد علمنا من اين هو واما المسيح فاذا جاءَ فلا يعلم احد من اين هو

ان سكان أورشليم كانوا شهوداً على آيات يسوع اكثر من غيرهم فلذلك أبدوا رأيهم بعد سماعهم كلام يسوع و برهانه السديد وهؤلاء القائلون لم يكونوا في عداد من يطلبون قتله فلاموهم ولاموا أنفسهم أيضاً بالفعل عينه . وعليك ان تلاحظ هنا بنوع خاص كيف ان قوة كلام سيدنا أزالت غضب اعدائه الثائر فعدلوا ولو مدة عن طلب قتله كما يشهد بذلك القائلون المشار اليهم الاّ ان هؤلاء يظهرون شراً من رؤسائهم و بيانه ان رؤساءهم بعد سماعهم كلامه حسبوه المسيح وما تجاسروا على القبض عليه لقتله اما المرؤوسون فادّعوا انهم عارفون به انه ابن نجار وما ذكروا ما قاله كتبتهم من قبلُ لهيرودس من ان المسيح من بيت لحم ومن زرع داود وان زمن ظهوره قد حلّ بل كذبوا على نفسهم بانهم لا يعرفون من أين يأتي . فهُم اذن بدون فهم . هُم أشرار متلونون حيناً يدّعون المعرفة وحيناً يبدون الجهل

﴿ ٢٨ ﴾ فصاح يسوع في الهيكل وهو يعلم وقال انكم تعرفوني وتعلمون من أين أنا وأنا لم آت من عندي ولكنّ الذي أرسلني هو محق

وأنتم لا تعرفونه ﴿ ٢٩ ﴾ أما أنا فأعرفه لأني منه وهو أرسلني

لم يَصح سيدنا الآ ليسمعه الناس وليعرفوا انه يلقي خطابه علانيةً ومفاد هذا الخطاب : أنا المسيح وانكم تتأكدون ذلك من أقوال الانبياء التي ترونها الآن تتمّ ومن آياتي . وأنا لست من الارض ولا ابن نجار بل من السماء وابن الآب وقد قلتُ ان أبي أرسلني فلم آتِ من عند نفسي ولما كنتم خبثاء أراذل لا تريدون ان تعرفوا أبي اما انا فاني معه ولست من بني البشر واني أعرفه حق معرفته وقد أرسلني لا كنبيّ بل ابناً طبيعياً مولوداً منه في الأزل فلست أخالفه .

﴿ ٣٠ ﴾ فكانوا يطلبون أن يقبضوا عليه ولكن لم يُلقِ أحد يده عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد ﴿ ٣١ ﴾ فآمن به كثير من الجمع وقالوا اذا جاء المسيح أفلعله يعمل آيات أكثر مما عمل هذا

عدم القاء القبض عليه ناشيء عن انه قوة الله غير المقهورة ودالّ على انه عندما أمسكوه كان ذلك باختياره وهو الذي عيّن المكان والزمان اللذين يسلّم ذاته فيهما وانتبه نوّرك الله وهداك الى كل خير الى ان كثيرين قد أثر فيهم كلام سيدنا أحسن تأثير لانهم نظروا ببصيرتهم صدقه وأعجبوا بتواضع قائله وبالمعجزات الباهرة التي لم يروِها يوحنا فآمنوا به ولو ان ايمانهم لم يكن كاملاً أولاً لان كلامهم يدلّ على انهم يفرضون انه ليس المسيح ومع ذلك فان أقوالهم مخالفة لرؤسائهم وموبخة لهم على سلوكهم ثانياً لأن ايمانهم سببه الآيات التي رأوها والتعاليم الالهية التي سمعوها

﴿ في ارسال اليهود شرطاً ليقبضوا على المسيح ﴾

﴿٣٢﴾ فسمع الفريسيون مهامسة الجمع بذلك في شأنه فأرسل رؤساء

الكهنة والفريسيون شرطاً ليقبضوا عليه ﴿ ٣٣ ﴾ فقال لهم يسوع أنا معكم بعد زماناً يسيراً ثم أذهب الى الذي أرسلني

لما سمع الفريسيون ان الناس تتكلم فيه الكلام الصحيح المملوء مدحاً خافوا وزاد حنقهم فأرسلوا عبيدهم ليمسكوه فكان معنى جواب سيدنا : لا تتكلفوا مشقة القبض عليّ الآن لأن ذلك لا يفيدكم فتيلاً بل يبقى زمان ولو قليلاً لحلول يوم صلبي ثم ولو انكم تواصلون اضطهادي في هذا الزمان الوجيز فأنا لا أعدل عن التدابير الخلاصية التي أريدها ولأجلها أتيتُ الى العالم واعلموا ان صلبي يكون باختياري ثم لا أمكث في ظلمة الموت بل أقوم منتصراً وأصعد الى الآب الذي أرسلني . ومن البين ان كلمة اذهب التي أوّلنا معناها بانتصاره على الموت و بصعوده . قد القت الخوف في قلوب اعدائه مما سيقع بعد هذا الذهاب . وقد عرف لهُ المجد معرفة سابقة موته وزمنه وكل ظروفه فهو اذن اله لاننا نحن البشر لا نعلم ذلك بل نجهله كل الجهل

﴿ ٣٤ ﴾ وستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا ﴿ ٣٥ ﴾ فقال اليهود فيما بينهم الى أين هذا مزمع أن ينطلق حتى لا نجده ألعله ينطلق الى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين ﴿ ٣٦ ﴾ ما هذا الكلام الذي قاله ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا

يُسأل متى طُلب المسيح ؟ الجواب طلبه أولاً النساء اللواتي بكين زمن صلبه ونحن على فقده . ثانياً اليهود أنفسهم لما أتاهم الرومان وسبوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فذكروا اذ ذاك آياته وطلبوا منه ان ينجيهم من ظلم الفاتكين بهم وزاد سيدنا ان مخاطبيه عاجزون عن الاتيان حيث هو — ١ . لاعلامهم ان موته اختياري وهو أراده ٢ . ليدلهم ان بعد موته لا يكون كسائر الناس بل يعمل لخلاص — ٣ . انه بعد

قيامته يصعد الى الآب ويجلس عن يمينه . وكان الواجب ان يفرح اعداؤه بذهابه من بينهم لانهم يتمون قتله والتخلص من حضوره معهم الا ان الخوف اعتراهم والحيرة أصابت افهامهم فأخذوا يبحثون الى اين يمضي وكان اليهود مجموعين كلهم في فلسطين فظنوا انه يذهب الى اليونانيين ليلقي عليهم تعاليمه وليهدئ غضب مقاوميه

﴿ في الماء المرموز به الى الروح ﴾

﴿ ٣٧ ﴾ وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع وصاح قائلاً ان عطش أحد فليأتِ اليّ ويشرب

كان لليهود ثلاثة أعياد يحتفلون بقامتها رمزاً لما يأتي في البيعة المقدسة التي أخذتها ارثاً وتعيدها بالروح : الاول عيد الفطير فبدلته الكنيسة بعيد الفصح والآلام المخلصية الثاني عيد البنديقوسطي الذي خلفه عيد حلول الروح القدس . الثالث عيد المظالّ فقام مقامه عيد التجلي في طورطابور أو على رأي بعضهم عيد الشعانين . قال بعضهم ان اليهود في هذه السنة عيّدوا عيد المظالّ والفطير معاً وخالفهم فريق آخر قالوا ان عيد المظالّ كان مأموراً باقامته في تشرين الاول ولم يكن يؤذن بتأخير أو بابدال يومه . ومن مذهب تاودروس وتباعه ان الانجيلي كتب بالغلط وسهواً عيد المظالّ عوض عيد الفطير . والرأي مردود لان الانجيلي ومن سبقو كتبوا عن عيد الفطير كما سيأتي ذكره . واعلم ان عيد المظالّ كان تابعاً لعيد الغفران عندهم وكانت العادة ان اليوم الاول واليوم الاخير يُحتفل بهما بابهة ويدعوها الناس عظيمين بسبب اقامة الطقوس والخدمة الدينية بدون انقطاع وتلاوة الكتب المنزلة . ولذلك تجتمع الجماهير للاستفادة . فاغتنم سيدنا الفرصة وزود الناس بتعاليمه الآتية . وقد التزم رفع الصوت ليسمعه الحضور وليعلن لهُ المجد ما يريد القاءه عليهم وأولاً أفهمهم ان دعوته النفوس الى مشربه الروحي ليس فيها شيء من الاقتسار أو ضبط الحرية بل انه يترك لاختيار كلّ ان يُقبل اليه

﴿ ٣٨ ﴾ مَن آمن بي فكما قال الكتاب ستجري من جوفه أنهار ماء حيّ

ان من يؤمن به يمتلئ من مياه النعمة العذبة ومن هبات الروح القدس وتطفح نفسه سروراً وحياة . والمياه هي عبارة عن الحياة الأبدية التي تكون مجازاة سنية للمؤمنين . وقد استشهد لهُ السجود بكلام الكتب لأن سامعيه كانوا يطالعونها وهي لديهم اعزّ شيء ودليل بالغ في القوة . وافهم بالجوف القلب والنفس . وأوّل آخرون العبارة بان من يتبع الكتب المنزلة ويؤمن بي يمتلئ نعمةً ويشبه نهراً لاينفدُ ماؤه بل ينبع جارياً بغزارة وبما يكفي غيره من المستقين

﴿ ٣٩ ﴾ وانما قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوهُ اذ لم يكن الروح قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن بعد قد مُجد

سمّي الروح القدس ماءَ الحياة واعنى بالروح هباته السماوية ونعمته المبرّرة . سؤال ان لم يكن الروح قد أعطي فبمَ كان التلاميذ يجترحون المعجزات؟ الجواب كان لهم ذلك من القوة الممنوحة من سيدنا عينه الاّ ان هبات الروح كانت أشرف من هذه القوة التي أعطيت قبل الآلام وللانبياء أيضاً وقد اقتبلوا هذه الهبات في العليّة بعد صلب مخلصنا الذي عبر عنه الانجيلي بكلمة التمجيد . وكان لا بدّ ان تتلاشى العداوة بين الله والبشر فتعطى بعدئذٍ المواهب التي هي علامة مصالحة بين الفريقين فتغزر بها النبوات والعجائب وقد كانت نادرة حتى مجيء سيدنا

﴿ في انشقاق اليهود وما قاله نيقوديموس ﴾

﴿ ٤٠ ﴾ وانّ قوماً مِن الجمع لما سمعوا كلامه قالوا هذا في الحقيقة هو النبي ﴿ ٤١ ﴾ وقال آخرون هذا هو المسيح . وقال آخرون ألعل المسيح يأتي من الجليل ﴿ ٤٢ ﴾ ألم يقل الكتاب انه من نسل داود ومن قرية بيت لحم

حيث كان داود يأتي المسيح ﴿٤٣﴾ فوقع بين الجمع شقاق من أجله ﴿٤٤﴾ وكان أناس منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يلقِ أحد عليه يداً

كان الشعب في شديد الاضطراب ولما كانوا لا يدركون كلامه حق ادراكه نالتهم الانقسامات فدعاه فريق نبياً وقال آخر مستنداً الى قياس : المسيح لا يأتي من الجليل وهذا يسوع من الجليل فاذن ليس هو المسيح . اما الفريق الاول فانه كان ضارباً في الحماقة لان الكتب تسمّي المسيح نبياً أيضاً فكلامهم لا ينفي كونه المخلّص الموعود به . ولم يستحقّ الفريق الثاني مدح سيدنا كما وقع لنثنائيل لان هذا كان محباً للحق ويريد الاطلاع عليه وهؤلاء كانوا يأبون الاهتداء والتعلّم . ولو كانوا صادقين لتقدموا اليه له المجد وسألوه الايضاحات اللازمة لحلّ ارتيابهم . ومع كثرة الاختلافات وتضارب الآراء لم يقدر أحد على امساكه لانهم كانوا عاجزين يشعرون بقوة كبرى تدفعهم عن تحقيق نيتهم الشريرة وما ذلك الاّ لان زمن الآلام لم يكن قد أتى . ولو عرفوا واجبهم لتابوا وخضعوا للفضيلة والايمان

﴿٤٥﴾ ورجع الشرَط الى رؤساء الكهنة والفريسيين فقال لهم أولئك لِمَ لم تأتوا به ﴿٤٦﴾ فأجاب الشرَط انه ما نطق انسان قط بمثل ما ينطق هذا الرجل ﴿٤٧﴾ فأجاب الفريسيون ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم ﴿٤٨﴾ هل أحد من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ﴿٤٩﴾ أما هؤلاء الجمع الذين لا يعرفون الناموس فهم ملعونون

لم يخفّف الفريسيون شيئاً من حقدهم وغضبهم رغماً عما أسمعهم مخلصنا فأنّبوا عبيدهم على تمنعهم عن القبض عليه . اما هؤلاء فكانوا أقلّ منهم شراً اذ أفهموا أسيادهم ان كلام المسيح ليس كلام انسان بل كلام الله وخاف الفريسيون ان يتركهم الشرط وينتموا الى يسوع فلم يظهروا لهم امتعاضاً أو سخطاً. ثم كذبوا في قولهم أنْ لم

يؤمن به احد من الرؤساء لان نيقوديموس كان رئيساً وفريسياً وآمن به وتبعه آخرون كثيرون . وأيضاً فضحوا حماقتهم بلعنهم الشعب المؤمن به وفضلوه وهم لا يدرون على انفسهم . فان كان جاهل الناموس نظر صدق كلام يسوع وتبعه فباولى حجة يلزم معلّم الناموس ان يؤمن ويتبعه . والناموس يدلّه عليه ويأمره باتباعه

﴿ ٥٠ ﴾ فقال لهم نيقوديموس أحدهم الذى كان قد جاء الى يسوع ليلاً
﴿ ٥١ ﴾ ألعل شريعتنا تحكم على انسان ما لم تسمع منه أولاً وتعلم ما فعل
﴿ ٥٢ ﴾ فأجابوا وقالوا له ألعلك أنت أيضاً من الجليل . ابحث في الكتاب
وانظر انه لم يقم نبيّ من الجليل ﴿ ٥٣ ﴾ ثم انصرف كل واحد الى بيته

أفهمهم نيقوديموس بجرأة انهم لا يحكمون بالعدل لانهم سمعوا كلام الشرط ولا يريدون ان يسمعوا الشخص عينه الذين يعدّونه مذنباً تبعاً لما يأمر به الناموس فهم اذن جاهلون الناموس لا عارفوه ومعلموه وبذلك دعاهم الى التفحّص عن الأمر للحكم فيه بالعدالة والى البحث عن الذنب وتحقيق وجوده قبل اصدار الحكم . فما زادهم هذا القول المملوء حكمة الاّ عمى وطغياناً لانهم أجابوا مخاطبهم بما يدلّ على غضب وعدم لياقة فقد استعلم منهم عن مرسوم الناموس بل ذكره لينير عقلهم فقالوا : امضِ وتعلّم الكتب فانك غير عارف بها ثم احتقروا الجليل ليصغّروا قيمة مخلصنا وافعاله العجيبة ونسوا كلام اشعيا القائل . جليل الشعوب . الشعب الجالس في الظلمه ابصر نوراً عظيماً

﴿ الاصحاح الثامن ﴾

﴿ في المرأة الزانية ﴾

﴿ ١ ﴾ ومضى يسوع الى جبل الزيتون ﴿ ٢ ﴾ ثم رجع باكراً
الى الهيكل فأقبل اليه الشعب كلهم فجلس يعلمهم ﴿ ٣ ﴾ وقدّم الكتبة

والفريسيون الى يسوع امرأة أخذت في زنى وأقاموها في الوسط ﴿٤﴾
وقالوا يامعلم ان هذه المرأة قد أخذت في الزنى ﴿٥﴾ وقد أوصى موسى
في الناموس أن نرجم مثل هذه فماذا تقول أنت ﴿٦﴾ وانما قالوا هذا
تجريبا له ليجدوا ما يشكونه به . أما يسوع فأكب يخط بأصبعه على الارض
﴿٧﴾ ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطيئة
فليبدأ ويرمها بحجر ﴿٨﴾ ثم اكب أيضاً يخط على الأرض ﴿٩﴾ أما
أولئك فلما سمعوا طفقوا يخرجون واحداً فواحداً وكان الشيوخ أول الخارجين
وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة في الوسط ﴿١٠﴾ فانتصب يسوع وقال
لها يامرأة أين الذين يشكونكِ أما حكم عليكِ أحد ﴿١١﴾ قالت لا يارب.
فقال يسوع ولا أنا أحكم عليكِ اذهبي ولا تعودي تخطئين

قدّموا هذه المرأة ليسوع ليوقعوه في ما يشتكون به عليه وظنوا يسوع يسر بان يحكم في مثل هذا الأمر وتوهموا انهم يستطيعون تملقه بطلبهم نصيحته فيخدعوه ويصطادوه . ولما كان الرب عارفاً بأفعالهم الناقضة لحرمة الناموس أفهمهم ان حسب ناموس موسى يلزم الطاهر والعفيف غير المدنس فعلاً وفكراً باسم الدعارة أن يشهد عليها ويرجمها وكانوا كلهم مستوجبين الملامة وساقطين في الدنس فهجروا مكانهم واحداً بعد الآخر ويسوع يكتب خطاياهم على التراب ثم قال للمرأة أين من جاؤا بك شاهدين عليك قد سمعوا كلامي مثلما سمعتِ فتركوكِ وهربوا خجلين فامضي مثلهم ولا تعودي الى الاثم . فمن جرى ذلك صدرت الفوائد أولاً للمرأة فانه بصفته الهاً عرف توبتها فمنع رجمها تحقيقاً لما قاله من انه جاء لا ليدعو الابرار بل الخطأة الى التوبة . ثانياً لنا اذ نعرف ان الناموس الذي كان حاكماً بالعدل ويقتصّ من المذنبين بدون رحمة . قد مضى زمنه وتلاشت قوته وان باب النعمة فتح امام التائبين . ثالثاً للشاكين

انفسهم اذ فضح له المجد خبثهم ونجاسة قلوبهم ودعاهم الى اصلاح السيرة ليكون فيما بعد حكمهم بالحق . وبالفعل قد تعلّمت المرأة ان تصدّ عن المعصية وان تسير بالطهر والعفاف . وما اولى الكتبة الفريسيين بان يُقال لهم لا تدينوا لئلا تدانوا وانكم تنظرون القذى في عين أخيكم ولا تنظرون الخشبة التي هي في عين كل واحد منكم

﴿ في شهادة يسوع لنفسه ﴾

﴿ ١٢ ﴾ ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا نور العالم من تبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة ﴿ ١٣ ﴾ فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك فليست شهادتك حقاً ﴿ ١٤ ﴾ أجاب يسوع وقال لهم اني وان كنت أشهد لنفسي شهادتي حق لأني أعلم من أين جئت والى أين أذهب وأما أنتم فلا تعلمون من أين أتيت ولا الى أين أذهب

شهد السيد لنفسه قال انا لست نوراً للجليل ولليهودية بل للعالم أجمع ولكل الامم والشعوب فمن تبعني وآمن بي فانه ينفي عن نفسه الضلالة ويسير في الحق والمعرفة التي تفيد حياة الأبد . وبناءً على ذلك افهم بالنور في الآية المعرفة والحق والحياة وبالظلام الضلالة أو عدم المعرفة والابتعاد عن الله . وقد ادرك الفريسيون ما يرمي له المجد اليه فكذّبوه مجدفين فردّ تكذيبهم وحقق شهادته بدليل الاول انه خرج من الآب فاعلمهم انه ابن الله حقاً الثاني انه يعرف الى أين يذهب أي لا يمكث في ظلمة القبر ولا يبقى تحت سلطان الموت بل يقوم وتأويل كلامه : اني جئت من عند الآب وأنا ماض اليه . وبهذا ترى مساواته الآب بالمجد والكرامة . وهنا اعتراض وحله . سبق له لاسمه السجود انه وبخ في الفصل الخامس مناقضي كلامه عندما اثبت الحكم لنفسه وانه كالآب يحيي الموت ثم قال ان الآب يشهد له وان شهادته لو كانت وحدها لما كانت حقاً . اما هنا فانه يثبت ان شهادته حق فكيف تحلّ هذه المناقضة الظاهرة ؟ الجواب ان في كلامه الاول لم تكن الاعمال التي نسبها لنفسه قد كملت بالفعل فاقتضى

اثباتها بان الآب الذي يعتقد به مناقضوه هو يشهد لهُ بها . اما هنا فلأن اعداءه كشفوا الغطاء عن شرهم وحاجّوه فقد اراد ان يبين لهم كذبهم رأساً فقال لهم ما قال ثم زاد لتبكيتهم انهم لاستغراقهم في الماديات المحسوسة لا يريدون ان يفهموا غيرها لانهم لا يرون باعينهم خروجه من الآب

﴿ ١٥ ﴾ أنتم انما تدينون بحسب الجسد وأنا لا أدين أحداً ﴿ ١٦ ﴾ وان أنا دنت فدينونتي حق لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني ﴿ ١٧ ﴾ وقد كتب في ناموسكم أن شهادة رجلين حق ﴿ ١٨ ﴾ أنا أشهد لنفسي وأبي الذي أرسلني يشهد لي

ان اقوالكم وافعالكم لا تحوي شيئاً روحانياً فضلاً عن انكم لا تفقهون ما الروحاني فلذلك احكامكم جسدية دنيّة مجبولة بالاثم وانا لست مثلكم وأعلمكم اني لم آت في هذا مجيّ الاول لأدين ولو أردتُ انأدين لعرفتم أنفسكم مذنبين مجرمين وبهذا أشار لهُ المجد الى الدينونة العامة التي يقضي فيها قضاءً مبرماً على الاشرار. ثم بيّن ان حكمه عدل وحكم أبيه عدل أيضاً ليعرف مخاطبوه ان أباه خصمهم وسيديهم . ولو ان الناموس يقضي بوجود شهادتين حتى يثبت الحق الا ان الله ليس كاذباً كالانسان ولا قابلاً للانخداع فلا يلزمه ان يشهد آخر لهُ ومعه . والسيد المسيح شهد لنفسه وأبوه شهد لهُ أيضاً والشهادتان واحدة في ذاتهما لان القائلين متساويان في الطبيعة والسلطان و بالتالي في القول والشهادة الواحدة . ولاحظ ان ليس مراد مخلصنا أن يثبت كلامه بشهادة اثنين والاّ لكان ذكر خدمة الملائكة لهُ وشهادة يوحنا الاّ انه بذكره الآب قصد اظهار مساواته به ليس الاّ

﴿ ١٩ ﴾ قالوا أين أبوك . قال يسوع انكم لا تعرفوني أنا ولا أبي ولو

كنتم تعرفونني لعرفتم أبي أيضاً ﴿ ٢٠ ﴾ هذا الكلام قاله يسوع في الخزانة وهو يعلم في الهيكل ولم يمسكه أحد لان ساعته لم تكن بعد قد أتت .

سأل الفريسون لا عن مكان الآب أفي السماء أم على الارض بل عن ذاته ومن هو له هو أم انسان . فكان جواب المخلص انهم لا يعرفونه هو نفسه فكيف يعرفون أباه والاثنان متساويان ومن المستحيل ان يعرف أحد الآب ما لم يعرف الابن وفي هذا المعنى قال اريسطو : ان الأب يعرف بابنه والابن يعرف بأبيه ويستحيل أن يُدعى أحد اباً بدون ابن أو ابناً بدون اب . هذه أقوال السيد المسيح له المجد شهرها في الهيكل وعلّمها بسلطان ولم يتجاسر أحد سامعيه الذين يبغضونه ان يمسكه لانه لا يسلم ذاته الاّ باختياره وفي الوقت الذي يشاءه وانما تألم وصُلب بارادته التامة

﴿ في تنبؤ يسوع بموت الفريسيين في اثمهم وفي اثباته انه ابن الله ﴾

﴿ ٢١ ﴾ وقال لهم يسوع أيضاً أنا أذهب وستطلبونني وتموتون في خطيئتكم . حيث أذهب أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا ﴿ ٢٢ ﴾ فقال اليهود لعله يقتل نفسه لانه يقول حيث اذهب أنا لا تقدرون انتم ان تأتوا

اكثر له المجد من القول بانه يذهب ليخيف اعداءه بان بعد غيابه عنهم يطلبونه ليخلصهم فلا يجدونه وأيضاً ليعلمهم انه باختياره يذهب الى الموت حتى يقوم فيما بعد من بين الاموات . وبعد ان يصلبوه ظلماً وحسداً سيفتشون عن مكان ذهابه لا تفتيش من يريد الايمان به بل لاغراض سيئة ولذلك يموتون مصرّين على آثامهم ولو كان له المجد يذهب من هذا العالم كسائر الناس لكان اعداؤه قادرين ان يمضوا اليه على الطريق العمومية التي هي الموت ولما كان لكلامه معنى الاّ انه سيعمل بعد موته أي يقوم ويرشد الناس ويؤسس الكنيسة ويصعد الى السماء

﴿ ٢٣ ﴾ فقال لهم انتم من اسفل وأنا من فوق انتم من هذا العالم

وانا لست من هذا العالم ﴿ ٢٤ ﴾ فقلت لكم انكم تموتون في خطاياكم لانكم اذا لم تؤمنوا أني انا هو تموتون في خطاياكم

ظن اليهود ان السيد يقتل نفسه فتكذيباً لظنهم قال ما تأويله : انتم ادنياء وسفليون . وافكاركم شريرة فتحسبون اني مهلك حياتي . اما انا فمن الأعالي السماوية ولا افعل شيئاً من هذا . انتم في العالم مجبولون بالاثم والشرّ اما انا فمن طبع الآب الأزلي ولو ان لي جسداً الآ اني بعيد عن ظنونكم المعوجة وعن شركم الشائن وعن افكاركم المادية وافعالكم الدنسة وقد اتيتُ لأرفع خطيئتكم لكنكم لا تؤمنون بي فجزاؤكم الذي تستحقونه هو ان تموتوا عاصين متصلبين في المعاصي

﴿ ٢٥ ﴾ فقالوا له مَن انت . فقال لهم يسوع انا ذاك الذي كلمتكم عنه منذ الابتداء ﴿ ٢٦ ﴾ ان عندي كثيراً أقوله واحكم به في شأنكم ولكن الذي أرسلني هو حق والذي سمعته منه به اتكلم في العالم

بعد ان سمعوا كلامه الذي فيه : اني أنا هو . سألوه بغش ومكر : من أنت ؟ وقد حسبوا انه سيجيب بانه واجب الوجود مساوٍ للآب . فكان جوابه هادماً لخداعهم ومعناه : انا لست كما تشاؤون ان تسمعوا وتبتغيه اهواءكم أي رجلاً مثلكم بل أنا ذاك الذي افهمتكم مَن هو واثبتُّ اني الله وابن الله بالعجائب التي عملتها وقد قلتُ كثيراً وعملت كثيراً لكن بما انكم لا تستأهلون ان تسمعوا كلامي فاتركوا سؤالي من أنا وكيف لا تنظرون الى عمل واحد من الأعمال التي اتيتها وكيف لا تسمعون قولاً واحداً من الأقوال التي القيتها عليكم . وبسبب انقيادكم الى الشرّ والى تجريبي تارةً تسألون عن هذا، وتارةً عن ذاك . وان رجعتُ الى اعمالكم فمنها يمكنني ان أصدر حكمي ضدكم . ولكن أبي الذي ارسلني لا يريد ان ادينكم في مجيئي هذا الاول لانه ارسلني ليحيا العالم بي ولأقول ما سمعته منه نافعاً لخلاصكم

﴿ ٢٧ ﴾ فلم يعرفوا أنه يقول ان أباه هو الله ﴿٢٨﴾ فقال لهم يسوع
اذا رفعتم ابن البشر فحينئذ تعرفون أني أنا هو و أني لست أفعل شيئاً من
عندي ولكن كما علمني الآب كذلك أقول ﴿ ٢٩ ﴾ والذي أرسلني هو
معي ولم يدعني وحدي لاني أفعل ما يرضيه كل حين ﴿٣٠﴾ وفيما هو يتكلم
بهذا آمن به كثيرون

لم يدرك اليهود ان السيد يثبت لهم ان أباه هو الله . ولو كان انساناً وعبداً رسولاً كما يدعي الكفرة لقال الانجيلي انهم لم يعرفوا انه عن الله يتكلم لكنه ذكر اسم الآب ليوضح ان المسيح ابن طبيعي سمع ما قاله أبوه و به يخاطب الناس . قال يوحنا الذهبي الفم : لما رأى مخلصنا ان اليهود لا يقتنعون بما أتاه من المعجزات اثباتاً لتعليمه أخذ يكلمهم في صلبه . ومفاد عباراته : لم تهتدوا بأفعالي وتعاليمي فمتى علقتموني على خشبة الصليب قصد قتلي تتأكدون اني المسيح الموعود به من الآيات الباهرات التي تحدث وتعلمون اني ضابط الكل غير مخالف للآب لأن الموت لا يضرني وتعرفون أيضاً قوتي من عدم مس التغير لطبيعتي واني لم ألق على آذانكم ما يخالف مشيئة أبي . لكن تكون الساعة ساعة غضب وانتقام ولو أنها كاشفة لبصائركم اني الابن الأزلي الحبيب . وأبي الذي شاء أن أتجسد هو معي لأن طبيعته هي طبيعتي . ولأني لا أخالفه لا يدعني وحدي . فهو راضٍ عني كل حين وأنا لست مستوجباً الملامة لنقض السبت . فهذا الخطاب جعل كثيرين يؤمنون به فمنهم من اعتقد انه المسيح المنتظر ومنهم من آمن انه ابن الآب مرسل منه ومنهم من صدق بصدق تعليمه وحقيقته . وكان ايمانهم به غير كامل وغير صحيح

﴿ في الحرية الحقة وفي من هو من الله ومن هو من ابليس ﴾

﴿ ٣١ ﴾ فقال يسوع لأولئك اليهود الذين آمنوا به ان انتم ثبتم على

كلمتي فبالحقيقة تكونون تلاميذي ﴿ ٣٢ ﴾ وتعرفون الحق والحق يحرّركم ﴿ ٣٣ ﴾ قالوا له نحن ذرية ابرهيم ولم يستعبدنا احد فكيف تقول انت انكم تصيرون احراراً

لما كان السيد عالماً بقلة ايمانهم وعدهم بشيء عظيم سام وهو ان يكونوا تلاميذه ان كانوا ثابتين في كلمته ثم ان يعرفوا حقاً من هو لأن عاداتهم وذبائحهم ومحرقاتهم ما كانت الاّ ظلاً ورموزاً لا حقيقة بل الحق انما هو السيد المخلص الذي يراه البشر انساناً مثلهم لكنهم يؤمنون به انه ابن الله طبعاً وينظرونه يموت ويتألم فيؤمنون انه غير متألم وغير مائت بما انه اله . ومثل هذا الايمان يطلبه المسيح منا نحن اتباعه . ومن فوائد الايمان هذا انه مُعتق من قيود الخطية ومحرّر من عبوديتها . وقد اغتاظ اليهود من انهم ينالون الحرية بمعرفة الحق وعدّوا كأن ناموسهم ومعارفهم كذب وعبودية . ولأنهم غارقون في المادة استحوا من تعييرهم بانهم عبيدٌ للبشر . وما فهموا ان السيد يخاطبهم في عبودية الاثم وكان فخرهم انهم ابناء ابراهيم ونسوا تعبّدهم للمصريين اربعمائة سنة وللملوك بابل سبعين سنة . فجرّدهم لهُ المجد من معتقدهم بقوله :

﴿ ٣٤ ﴾ فأجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم ان كل مَن يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة

ليس معنى كلامي اني احرّركم من عبودية الناس بل من عبودية الخطية التي خضعتم لها باختياركم . وانتبهْ الى ان الانسان ينتسب الى آخر ويعدّه أباه بثلاثة طرق اما بالولادة لانه من زرعه ونسله على شبه ماهم الاسماعيليون المتسلسلون من اسماعيل . واما بالانتخاب كما كان بنو اسرائيل من الله الذي فضلّهم على غيرهم من الأمم والشعوب واما بالايمان والسيرة الصالحة كما يُدعى الوثنيون الذين قبلوا ايمان المسيح ابناء ابراهيم أي انهم شبيهون بابراهيم في ايمانه وسلوكه امام الله . فاليهود كانوا محرومين من انتساب الانتخاب والايمان ولاجل حرمانهم استحقوا التوبيخ وقيل عنهم انهم اسرى الخطية

عبيدها لان مختار الله وابن ابراهيم يلزمه الايمان للبرّ

﴿ ٣٥ ﴾ والعبد لا يثبت في البيت الى الأبد وانما الابن يثبت الى الأبد ﴿ ٣٦ ﴾ فان حرركم الابن صرتم أحراراً حقاً

افهم بالعبد الناموس وتباعه فهو غير ثابت في البيت أي لا سلطان لهُ على ان يمنح منحة لمن يريد لانه ليس بصاحب البيت وربه وانما الابن لانه الوريث ولهُ في منزل أبيه سلطة فهو قادر على منح المنح. وتأويل الآية كلها ان الناموس وكهنته عاجزون عن ان يعتقوا احداً من عبودية الخطية لان التخلص من الخطية انما يكون بسلطان الله لا بسلطان مخلوق لكن الابن ينجّي من الخطية واسرها لانه مساوٍ للآب في الطبيعة . ولا مانع من ان تفسر على هذا الوجه أيضاً : انكم تفكّرون في انكم ذرية ابراهيم وانكم مختارون لكن اعلموا انكم عبيد الاثم واثمكم يجعلكم خارجين عن دائرة الاستحقاق لغبطة الله وسعادته اما الابن الذي لم يعمل الاثم فهو مشمول بمحبة الله وانتم آمنوا بي اني ابن الله وقادر على تخليصكم من الخطية فاجعلكم مختاري الله احراراً . وبما اني الابن الطبيعي للآب فان اعتقتكم فلا يقدر أحد على ان ينقض حريتكم . وبقوله حقاً وصف الحرية بانها غير كاذبة وغير مستعارة من أحد وهي أقوى من الحرية التي يهبها انسان انساناً بل هي ذاتية بمعنى انها تنقل الانسان من درجته المناسبة لطبيعته الى درجة أعلى تجعله من ابناء الله وورثته

﴿ ٣٧ ﴾ قد عرفت أنكم ذرية ابراهيم ولكنكم تطلبون قتلي لأن كلامي لا محل له فيكم ﴿ ٣٨ ﴾ وأنا أتكلم بما رأيت عند أبي وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم

دلّهم له المجد على انهم يطلبون قتله ظلماً فأفهمهم أن لا يفيدهم فتيلاً كونهم أبناء ابراهيم ومن نسله ما داموا يسعون في قتله ويتخذون وسيلة الى ما ربهم كلامه الذي

يأبون فهمه كما يجب . ولما كان أمامهم بصفة المعلم كان من واجبهم أن يكرّموه ملتمسين منه تفسير خطابه وعباراته غير محاولين قتله . ومن العادة ان المعلم لا يُلام بل يُكرّم وان سألت ما الكلام الذي لم يفهموه ؟ أُجبت انه ذاك الذي أعلن فيه انه ذاهب الى أبيه والى انهم لا يستطيعون الذهاب معه . ومن كان مادياً وغارقاً في الخطية لا يقدر على ادراك ما هو ذهاب السيد الى أبيه وما يشبهه من الأمور الروحية المحضة . ولاحظ المقابلة التي أجراها مخلصنا بينه وبين أعدائه وبين كلامه وكلامهم وأبيه وأبيهم وأفعاله وأفعالهم فهو ينطق بكلام الحق الذي عرفه عند أبيه . وعبارة رأيت تدل على كمال المعرفة منذ الأزل لأن الابن لم يكن عارفاً ثم صار عارفاً بل كان عارفاً دائماً أبداً . أما اليهود فأفعالهم شريرة يعملون بما يتلقونه من ابليس أبيهم الذي لا يقدر على سماع كلمة بل يسعى بدون انقطاع في القتل وارتكاب المعاصي

﴿ ٣٩ ﴾ أجابوا وقالوا له ان أبانا ابراهيم . فقال لهم يسوع لو كنتم بني ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ﴿ ٤٠ ﴾ لكنكم الان تطلبون قتلي وأنا انسان قد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله وذلك لم يعمله ابراهيم

ردّ السيد افتخارهم الكاذب بابرهيم فقال : أعمالكم الشريرة تجرّدكم من صفة البنوّة لابراهيم فقد كان ذا اتضاع ولين وايمان حيّ وأنتم ذوو كذب ومكر تريدون القتل وتسرّون بالكفر فأين أعمالكم من أعماله . فليس كل الذين من اسرائيل اسرائيليين . وانه له المجد يقرّ بقرابتهم اللحمية وينفي عنهم القرابة الروحية التي تظهر بالأعمال الصالحة لأنه قال سابقاً قد عرفت انكم ذرية ابراهيم وهنا يقول لو كنتم بنيه لعملتم أعماله . ثم انه سمى نفسه انساناً تنازلاً منه وفضلاً ليقرّب اليه سامعيه وليقطع ما كان الهراطقة مزمعين أن يعترضوا به على تجسده لأنه ذاك الذي خرج من الآب وأتى الى العالم ثم ترك العالم ليعود الى الآب . خرج من الآب بالطبع وأتى الى العالم ليصير انساناً بالطبع وبدون أن يلحقه تغير ثم هو الاله المتأنس معاً عاد الى أبيه

﴿ ٤١ ﴾ أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له نحن لسنا مولودين
من زنى وانما لنا أب واحد وهو الله

أبو اليهود الشيطان ولو كانوا أبناء ابراهيم لساروا في سلوكهم على منهاجه ومشهورة أعماله في الكتاب من معاملته الفقراء بالاحسان واطعامه المساكين وصلاته على أبيمالك والتماسه من الله العفو عن سادوم وعامورا . أما اليهود فيريدون قتل المخلص اقتداء بالشيطان فاعل الشرور وقتّال الناس منذ البدء . وقد استاء اليهود أشد استياء من هذه التوبيخات فادعوا انهم ليسوا من زنى مع ان كثيرين منهم كانوا من زواج محرّم ولم تكن ملامة سيدنا موجهة اليهم بهذا المعنى ثم افتخروا بانهم أبناء الله ويمكننا أن نخاطبهم قائلين : تدّعون ان الله أبوكم فلِمَ تلومون السيد المسيح الذي يسمّيه أباه والفرق كبير بينكم وبينه فانه أبوه بالطبيعة وانتم لو كنتم ابراراً لكان أباكم بالنعمة وقد انتخبكم على سائر الأمم لتكونوا خاصته فما عرفتم وما أردتم ان تجروا تبعاً لمرسوماته ووصاياه

﴿ ٤٢ ﴾ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني
خرجت من الله وأتيت ولم آتِ من نفسي بل هو الذي أرسلني
﴿ ٤٣ ﴾ لماذا لا تفهمون كلامي . لأنكم لا تستطيعون أن تستمعوا
لكلمتي ﴿ ٤٤ ﴾ أنتم من أبٍ هو ابليس وشهوات أبيكم تبتغون أن
تعملوها . هو من البدء قتال الناس ولم يثبت على الحق لانه لاحق فيه .
اذا تكلم بالكذب فانما يتكلم بما هو له لانه كذوب وأبو الكذب

من الدلائل ان الله الآب ليس بأب لليهود ولا لغيرهم هو انهم لا يحبون السيد المسيح ابنه الآتي منه لخلاص البشر أجمعين . ومن الأسباب التي يفسر بها ان اليهود وغيرهم لا يفقهون معاني كلام المسيح هو انهم أرضيون أي غارقون في محبة

المادة . وهؤلاء كلهم غير المحبين المسيح وغير الفاهمين تعاليمه لهم أب هو الشيطان يتبعون ارادته وتعليمه الذي هو الحسد والكذب والقتل . وما أقوى وأشد ما وصف به مخلصنا الشيطان قال انه قتّال الناس لانه منذ ابتداء الخليقة وظهور آدم اخذ يطغيه ويفسده فحمله على المعصية ثم حمل قايين على قتل هابيل أخيه ثم نشر عبادة الاوثان بين البشر وكل ما جاء به الانبياء الكذبة هو كان ملهمه فهو وَلَدَ الكذب فبحق وصواب يُدعى أبا الكذب وهو علّم اليهود ان يقتلوا المخلص واهب الحياة وان كانت تعاليمه وأعماله كذباً وشراً فالامر ليس بعجيب لانه من معدنه يعلم ويعمل ولا يأخذ شيئاً من غيره

﴿ ٤٥ ﴾ أما أنا فلأني أقول الحق لا تؤمنون بي ﴿ ٤٦ ﴾ مَن منكم يثبت عليّ خطيئة . فان كنت أقول لكم الحق فلماذا لا تؤمنون بي ﴿٤٧﴾ من كان من الله يسمع أقوال الله ولهذا أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله

ان علّمكم ابليس الكذب فانكم تتعلمون منه وتقبلون كلامه بالرضى اما أنا فاعلّمكم الصدق وتأبون مع اني بارّ ولم يَرَ احد منكم فيّ اثماً أو شروداً عن الهدى فايّ شيء يجلب لومكم وأي شيء يثير حسدكم وعداوتكم ويجعلكم تريدون قتلي فالسبب الرئيسي في سلوككم هذا انكم من ابليس لا من الله ولو كنتم من الله لما تأخرتم عن سماع أقوالي والعمل بها لكنكم من الشيطان فلا تؤمنون بي ولا تريدوني

﴿ في ان يسوع أعظم من ابرهيم وقبله وفي محاولة اليهود رجمه ﴾

﴿ ٤٨ ﴾ فأجاب اليهود وقالوا له ألسنا بصواب نقول انك سامري وان بك شيطاناً ﴿ ٤٩ ﴾ أجاب يسوع انه ليس بي شيطان لكني أكرم

أبي وأنتم تهينوني ﴿ ٥٠ ﴾ وأنا لا أطلب مجدي فانه يوجد من يطلب ويدين ﴿ ٥١ ﴾ الحق الحق أقول لكم ان كان أحد يحفظ كلامي فلا يرى الموت الى الأبد

لم يتبع اليهود مسلك الاعتدال في شتمهم مخلصنا لاسمه السجود فكثيراً ماسموه سامرياً ومجنوناً والى هذا أشار الانجيلي بروايته ما قالوا : ألسنا بصواب نقول انك سامري الخ . وانما وصفوه بالسامري لان السامريين كانوا الد اعدا اليهود وكل من الفريقين يدّعي ان ابرهيم أبوه ويهين الآخر . وأيضاً انكر مخلصنا كونهم بني ابراهيم لانهم لا يعملون أعماله فاعتقدوا انه من حزب السامريين ولو انظاهره يهودي اما ربّنا فلم يلتفت الى شتيمتهم وشاء افهامهم ان ليس فيه شيء من الشيطان ولا يسكنه الشيطان وبهذا علّمنا ألاّ ننتقم ان شتمنا ومن براهينه انه بعيد عن الشيطان قوله : اكرم أبي . ومن يكرّم الله الآب لايكون من حزب ابليس وجنوده . وقوله : لا اطلب مجدي ومن يلتمس في القول والفعل مجد الآب فانه ينفي عن نفسه التحزّب للشيطان . ثم ان كان السيد المسيح لا ينتقم فلأنه يترك الانتقام والدينونة للآب وسوف يأتي يوم الآب الذي فيه يدين الاحياء والأموات . وان سألت : كيف الهرب من دينونة الآب فان المسيح عينه يدلك على انفع الطرق وهو ان تحفظ كلامه وتؤمن به وتمارس الفضائل فاذ ذاك تستوجب نيل حياة الأبد ولا ترى الموت الخالد في جهنم بل نفسك تحيا حياة سماوية في دار النعيم

﴿ ٥٢ ﴾ فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطاناً . قد مات ابرهيم والانبياء وانت تقول ان كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت الى الأبد ﴿ ٥٣ ﴾ ألعلك أعظم من ابرهيم أبينا الذى مات والانبياء أيضاً ماتوا . من تجعل نفسك ﴿ ٥٤ ﴾ أجاب يسوع ان كنت أنا أمجد نفسي

فليس مجدي شيئاً . أبي هو الذي يمجدني وهو الذي تقولون أنتم انه الهكم
﴿ ٥٥ ﴾ وأنتم لم تعرفوه أما أنا فأعرفه وان قلت اني لا أعرفه صرت كاذباً
مثلكم ولكني أعرفه وأحفظ كلامه

جواب اليهود مظهر لنيتهم السيئة التي بها يعتقدون ان السيد المسيح اصغر من الانبياء ومن ابراهيم وزادوا على تهورهم في الاهانة بسؤاله باختقار : من تجعل نفسك أي انك تعظم ذاتك وتفضل نفسك على النبيين والصالحين وانت احقر الجميع فرد السيد كلامهم بقوله . لست أنا الممجد لذاتي بل من يمجدني ويعلنني اني أعظم من الانبياء هو أبي الهكم فاتقوه وتجنبوا تكذيبه وانتم تدعونه الهاً ولا تعرفونه اما انا فاني به عارف وان قلت لا أعرفه كنت كاذباً كما تكذبون أنتم بقولكم انكم تعرفونه . ثم أوضح له المجد انه مرسل منه لخلاصهم وانه في كل أعماله وخطبه حافظ لكلامه ومرسوماته

﴿ ٥٦ ﴾ ابرهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى وفرح ﴿ ٥٧ ﴾
فقال له اليهود لم يأت لك بعد خمسون سنة وقد رأيت ابرهيم ﴿ ٥٨ ﴾
فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل ان يكون ابرهيم أنا كائن
﴿ ٥٩ ﴾ فأخذوا حجارة ليرجموه فتوارى يسوع وخرج

طلب ابراهيم ان يرى يوم صلب المسيح الذي فيه تم الخلاص للعالم فأعطاه الله هذا المشهد أو بالاولى منحه ان يراه في الرمز والصورة وذلك عندما أراد ان يذبح ابنه اسحق ثم ذبح فعلاً الكبش . وانظر هنا كيف دل السيد على عظم قدره على ابراهيم اب الآباء فابراهيم هو عبده وخادمه وقد عرفه سيداً ومخلصاً ورباً وملكاً اذ اشتاق ان يرى يومه السعيد وخلاصه المفيد المنجي من العبودية والشقاء ومن ذلك استنتج له المجد انه كان قبل ابراهيم واثبت لنفسه صفة الله بقوله انا كائن أي انا الموجود المتصف

بالوجود الذاتي . وما أعظم ما كانت حماقة اليهود وعمى قلوبهم لانهم اذ سمعوا كلامه ظنوه جدّف تجديفاً فأخذوا الحجارة ليرجموه أولاً لانه اثبت تقدّمه على ابراهيم وكأنه احتقر جنسهم ثانياً لانه ساوى ذاته بالله الآب فأعان وجوده قبل العالمين . وقد اجتاز المسيح القادر على كل شيء بين جمهم واعمي عيونهم . قال الهراطقة المنافقون ان الانسان الذي من مريم قال عن الساكن فيه انه قبل ابراهيم وانه كائن . لا عن ذاته : ولا نعلم ما يسوّغ لهم مثل هذه التفاسير التي كذبها واضح ولا سند لها في النصّ الشريف . اما الرأي الاكيد الصوابي فهو ان المتكلم عينه المنظور من الاعين هو قبل ابراهيم وهو الكائن بما انه اله قبل كل الدهور . وهذا مافهمه اليهود الحضور أعينهم

الاصحاح التاسع

في شفاء رجل أعمى منذ ولادته

(١) وفيما يسوع مجتاز رأى رجلاً أعمى منذ مولده (٢) فسأله تلاميذه قائلين يارب **مَن أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى**

شاءَ السيد المسيح ان يثبت بالعمل ما علّمه وان يزيل غضب اليهود أو على الأقل ان يخفّف شيئاً من ثورانه فلهذا اجترح معجزة شفاء الاعمى منذ مولده . وقيل منذ مولده لا انه كان ينظر في احشاء والدته ثم أصابه العمى لكن انه خُلق بدون عينين وهذا ما اثبته مار ساويرس بقوله : لم تعطه الطبيعة عينين وفيما يسوع واقف امام الأعمى ورآه تلاميذه ينظر اليه سألوه : مَن أخطأَ أهذا أم ابواه . وكانوا قد سمعوا من قبل كلامه للمخلّع : مغفورة لك خطاياك فحسبوا الخطية سبب عماه . قال قوم : جاءَ سؤالهم في غير محله لانه كيف يقوى على ان يأثم قبل مولده . وان كان أبواه قد ارتكبا الاثم فلماذا يُقتصّ منه وان قيل ان الله يعاقب بذنوب الآباء ابناءهم الى ثالث جيل رددنا قولهم بان هذه المعاقبة أتت في حق الذين خرجوا من مصر الذين كانوا

قد شاهدوا المعجزات الباهرة التي عملها الله لهم ولآبائهم فزادوا شراً على شر . لكن المعاقبة عينها ليست عمومية ولا تستخدمها عناية الله مع الجميع . وانما تثبت استقامة سؤال التلاميذ وهم يعتقدون بحسن نية ان الاثم كان سبب العمى فصدر سؤالهم عن طوية طاهرة

﴿ ٣ ﴾ أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر اعمال الله فيه

لم يرد السيد ان يقول ان ابوي الأعمى لم يأثما قط لانه لا يخلو احد من الخطية ثم لم يكن معنى سؤال التلاميذ هل خطأ أو لا بل هل ان خطيتهما سبّبت العمى . فنفى مخلصنا كون الخطية فعلت ذلك وعلّم ان اسباباً أخرى غير الاثم ينتج عنها الامراض والعاهات . قال ساويرس في هذا الصدد : يدّعي الوثنيون إن النفس سابقة بوجودها الجسد وان ليس فيها محبة الله وانما الله ربطها في الجسد لأجل الخطية وشبّهوا الجسد بالقبر أي تسجن فيه النفوس كما تلقى الاجساد في القبور فلاشى مخلصنا هذا الرأي الكاذب بقوله : لم يخطئ هذا أي ما كانت الروح قبل الجسد ولا كانت محرومة الفضيلة حتى يُقتصّ منها فتربط بجسد أعمى . و بقوله لم يخطئ أبواه اعلن له المجد ان الله لا يجازي الابن بخطايا والديه بل ان النفس التي تأثم هي تموت موتاً كما قال حزقيال . وان كنا نرى الابناء مبتلين فابتلاؤهم لم يصدر بذنب أبويهم بل بذنبهم . ثم انه له المجد لم يضع سبب العمى ان تظهر أعمال الله بل انما اثبت ان الله يستخدم فرصة عمى هذا الاعمى بطريق العرض فيعلن قدرته العلوية وحنانه السماوي . وفي هذا المعنى قال موسى ابن الحجر : ظهور اعمال الله في الاعمى لم يكن العلة التي صدر عنها عماه بل معنى الآية : ان اعمال الله ظهرت أو تظهر في هذا الاعمى وذلك بواسطة شفائه الذي هو معجزة كبرى على حدّ قوله : بالآثام حُبل بي و بالخطايا ولدتني أمي لانك تتبرّر في أقوالك وتغلب في محاكمتك . فليس المعنى ان طلبك التبرّر والغلبة كان سبباً لان يُحبل بي بالاثم بل ان قداستك و برارتك وعدل أحكامك وغلبتك

كل عنيد كل هذه الصفات الالهية تظهر فيّ انا الذي حُبلَ بي بالأثم وُلد بي بالخطية والله عزّ وعلا تبدو اعماله المدهشة سواء وُلد الأعمى أم لم يُولد فهو خالق الخلق أجمعين و بالتالي مكوّن العينين من لاشيء ومبدع الجسم واعضاءه . وانتبه الى ان المسيح سمّى نفسه هنا الله لان عمله هو الذي سيظهر في شفاء الاعمى وهو عمل الله

﴿ ٤ ﴾ ينبغي ان اعمل أعمال من ارسلني مادام النهار فسيأتي الليل الذي لا يستطيع أحد فيه عملاً

سيتناقش الفريسيون في أمر انتهاكي حرمة السبت باتياني المعجزة لكني لا أبالي لانه يجب أن أعمل أعمال أبي وان ايام تدبيري كالنهار بالنسبة الى الليل فان النهار معدّ للعمل والليل للراحة وانا مادمت على الارض ينبغي ان أعمل العجائب لكن بعد صعودي الذي هو كالليل من حيث الراحة فيه سأنقطع عن المعجزات . ولك تأويل آخر وهو ان تفسر النهار بالعالم الحاضر والليل بالعالم الآتي فيكون المعنى : ينبغي أن أعمل أعمال أبي مادام الناس قادرين على الايمان بي في هذه الحياة . اما في الحياة الأخرى فانهم يُلزمون بالاكراه على الايمان بي . واقهم بالايمان في الدنيا لا الايمان المحض بل المقرون بالعمل الصالح والسيرة الفاضلة والتوبة على المعاصي . سؤال : لماذا يسمي السيد المسيح العالم الآتي ليلاً مع ان بولس الرسول يسمّي ليلاً العالم الحاضر الجواب انما سمّى السيد الآخرة ليلاً لأن ليس فيها مكان للتوبة اما بولس الرسول فقصد ان يعلم ان العالم الحاضر يوقع محبّيه القصار الادراك في الظلام بسبب مايأتونه من الشرور وخاصة بسبب اصرارهم على عدم الايمان

﴿ ٥ ﴾ ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم ﴿ ٦ ﴾ قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى

السيد المخلص منير العالم بتعاليمه المجرّدة من كل غلط وضلال و بعجائبه الباهرة

العقول ودليل ذلك شفاء الاعمى الذي يفصل الانجيلي خبره أحسن تفصيل فقد بدأ بقوله انه تفل على التراب وجعل طيناً وانما أتى ذلك الاسباب .١ . لئلا يظن الناس ان بركة سلوام هي الفاتحة العينين بقوتها لا القوة التي خرجت من فم السيد ــ ٢ . ليصير معروفاً مصدر القوة الشافية ــ ٣ . ليتطهر التراب فلا يحسب انه هو واهب الشفاء ــ ٤ . ليرمز الى انه لهُ المجد قد جبل الانسان في البدء من تراب : وارتأى قوم ان لم يكن في وجه الاعمى جورتان للعينين بل كان الوجه كله مسطحاً .

﴿ ٧ ﴾ وقال له اذهب واغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره المرسل فمضى واغتسل وعاد بصيراً

سلوام في العبرانية شيلوحا وتأويلها ينبوع ماء دائم الفوران وقد أرسل لهُ المجد الاعمى الى هذا الينبوع ليظهر طاعته وايمانه اذ الاعمى لم يقل : وضعتَ الطين على عيني فلِمَ ترسلني الى سلوام . وأيضاً ليعلن الناس الاعجوبة و بيان ذلك ان الأعمى مضى ماشياً في الطرق فنظره الناس وعرفوه . ثم ليدلّ على ان مياه شيلوحا لا فعل لها ولا نفع مثل ما لماء الالهي وكان كثيرون من العميان يغسلون بمائها أعينهم فلا يشفون . وقد فُتحت عينا الاعمى بعد طليهما بالطين فاننا بهذا نؤمن ثابت الايمان ولو اننا لا ندرك حق الادراك كيف فُتحت

﴿ ٨ ﴾ فالجيران والذين كانوا يرونه من قبل يستعطي قالوا أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي . فقال بعضهم انه هو ﴿ ٩ ﴾ وآخرون لا لكنه يشبهه . وأما هو فكان يقول أنا هو ﴿ ١٠ ﴾ فقالوا له كيف انفتحت عيناك ﴿ ١١ ﴾ أجاب وقال هذا الرجل الذي يُقال له يسوع صنع طيناً وطلى به عيني وقال لي اذهب الى بركة سلوام واغتسل فمضيت واغتسلت فأبصرتُ ﴿ ١٢ ﴾ فقالوا له أين ذاك . قال لا أعلم

كانت المعجزة باهرة جداً فلهذا السبب داخل قلوب الناس ارتياب لاسيما وانهم لم يكونوا يعتقدون بلاهوت صانعها الذي كان يعتني أيضاً بالفقراء والعميان والمساكين . اما الاعمى فكان يردّد بدون خجل وحياء اعترافه بما أحسن اليه يسوع ولاحظ جرأته في القول وعدم خوفه من اليهود وعرفانه لجميل المحسن اليه . وظنّ الناس ان السحر شفاه فانقادوا لهذا الفكر في سؤالهم عمن شفاه وكيف شفاه اما هو فبكل سذاجة روى ما شعر به من طلي الطين ولكنه لم يروِ ظرف التفل لانه لم يَرَه وذكر أيضاً اسم يسوع لتعلّمه اياه . فعندها سألوه أين هو وغرضهم البحث عنه ليقتلوه وكان له المجد يشفي المرضى ويختفي لهربه من الافتخار

﴿ ١٣ ﴾ فأتوا بالذي كان قبلاً أعمى الى الفريسيين ﴿ ١٤ ﴾ وكان حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه يوم سبت ﴿ ١٥ ﴾ فسأله الفريسيون أيضاً كيف أبصر . فقال لهم جعل على عينيّ طيناً ثم اغتسلت فأبصرت ﴿ ١٦ ﴾ فقال قوم من الفريسيين ان هذا الرجل ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . وقال آخرون كيف يقدر رجل خاطيء أن يعمل هذه الآيات فوقع بينهم شقاق

انما الاتيان بالاعمى الى الفريسيين صدر عن نية سيئة وغاية حَمله على نكران الاعجوبة لانها وقعت يوم سبت يَدلك عن ذلك انهم سكتوا عن اسم يسوع وسألوه عن كيفية شفائه ليفسروا ظروفه على هواهم ولما لم يجدوا حجّة لاخفاء الآية تمسكوا بانها وقعت يوم السبت وبان مجترحها تعدّى على الناموس وانه لم يحفظ الشريعة وهنا ابتدأ الانقسام بين الشعب ورؤسائه هؤلاء قالوا ان المسيح ليس من الله لانتهاكه حرمة الناموس فأجابهم اولئك : ان لم يكن من الله وكان خاطئاً فكيف يقوى على عمل مثل هذه العجائب . وقد سمّوه رجلاً لانهم ما كانوا مؤمنين بانه اله . واعلم ان الشقاق على نوعين شقاق محمود وشقاق مذموم فالأول هو الافتراق لغاية حميدة

كانتراق الابن عن والده لخدمة الله والثاني هو الخصومة كانقسام المؤمنين بعضهم على
بعض وكذلك الاتفاق نوعان الأول اتفاق مصدره المحبة المسيحية كاتفاق الرسل
على ان يتتلمذوا للسيد المسيح والثاني مذموم كاتفاق الناس في الشرّ كما حدث عند
بنيان برج بابل ومن هذا القبيل كان اتحاد اليهود على قتل مخلصنا الالهي

﴿ ١٧ ﴾ فقالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عن الذي فتح عينيك
فقال لهم انه نبي ﴿ ١٨ ﴾ ولم يُصدق اليهود أنه كان أعمى فأبصر حتى
دعوا أبوي الذي أبصر ﴿ ١٩ ﴾ وسألوهما قائلين أهذا هو ابنكما الذي
تقولان انه وُلد أعمى فكيف أبصر الآن ﴿ ٢٠ ﴾ أجاب أبواه وقالا
نحن نعلم ان هذا ولدنا وأنه وُلد أعمى ﴿ ٢١ ﴾ وأما كيف أبصر الآن
فلا نعلم أو مَن فتح عينيه فلا نعرف . اسألوه انه كامل السنّ فهو يتكلم
عن نفسه ﴿ ٢٢ ﴾ قال أبواه هذا لخوفهما من اليهود اذ كان اليهود قد
تعاهدوا على أن مَن يعترف بأنه هو المسيح يُخرج من المجمع ﴿ ٢٣ ﴾
لذلك قال أبواه هو كامل السن فاسألوه

بعد اتساع الشقاق بين الفريقين اتخذوا الاعمى نفسه حكماً وكان الذين آمنوا
بيسوع يريدون باعترافه العلني اسكات غير المؤمنين فلم يخفْ أحداً ولا بالى باضطهاد
اليهود فاجاب بحكمة ان شافيه نبي ولو ان جوابه غير كافٍ للدلالة كما يجب على السيد
المجد الاّ انه قال باخلاص ما كان يفكّر به . وانظر هنا الى تصلّب اليهود في
كفرهم اذ انهم لم يكتفوا بشهادة الاعمى بل استدعوا أبويه للتحقيق معهم . هذان
أمنا عمى ولدهما وكفرا بالمسيح اذ اخفيا احسانه الى ابنهما وكان ذلك منهما خوفاً
من السائلين وعلى كل حال فان مكر اليهود افتضح فقد أرادوا تغطية المعجزه فما

استفادوا من خبثهم شيئاً وابوا المحسن اليه ارسلاهم الى ابنهما الذي لا يحتاج لكبر سنه وكالها ان يجيب أحد عنه . واعلم ان ما كان سبب تعاسة اليهود في زمن السيد المسيح هو الآن سبب تفرّق شملهم في المسكونة وعلة تعاستهم اينما حلّوا فان عدم ايمانهم بالخلاص هدم جامعتهم وابقاهم على غير هدى بين الملل والشعوب

﴿ ٢٤ ﴾ فدعوا الرجل الذي كان أعمى ثانيةً وقالوا له أعطِ مجداً لله فاننا نعلم أن هذا الرجل خاطيء ﴿ ٢٥ ﴾ فأجاب وقال ان كان خاطئاً فلا اعلم انما أعلم شيئاً واحداً أني كنت أعمى والآن أبصرُ ﴿ ٢٦ ﴾ فقالوا له ماذا صنع بك وكيف فتح عينيك ﴿ ٢٧ ﴾ أجابهم قد أخبرتكم فلم تسمعوا فماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً العلكم تريدونُ ان تصيروا له تلاميذ

خابت آمال مضطهدي يسوع في انكار آيته وما قووا على خداع الاعمى وأبويه فاستدعوا الرجل ثانية وحاولوا اقناعه بالاّ يتعلق بالمسيح فاعلموه ان مجد الله يقتضي منه الاقرار بان المحسن اليه رجل خاطئ . وما أشد عماهم فقد نظرنا انه لهُ المجد قال : من منكم يوبخني على خطية . وامام هذا الاستدعاء سادت عليهم الحيرة وما دروا جواباً ولا تجاسر أحد على توبيخه . والآن يجيبهم الاعمى بما لو فقهوا معناه لأخجلهم ولكنهم غرقى في الشرور فقد بيّن لهم انه ليس بخاطيء لأن فعله لا يدلّ على اثم فيه وهل الخاطيء قادر على اتيان الآيات بقوته الشخصية . وكل عاقل يستنتج هذه القضية من جوابه . وهم كالكاب الراجع الى قيئه سألوه أيضاً عن كيفة فتح عينيه فاجابهم منتهراً وأي شيء أقوى من الحق والصدق اللذين يجعلان الاعمى الضعيف ذا سلطان في كلامه واقراره . وأي شيء أضعف من الغش والكذب اللذين يصيران الاقوياء مرذولين ضعفاء وقد قرن الاعمى في كلامه القوة بالازراء بقوم منافقين وتأويل عبارته . أتريدون ان اخالف الحق أم تريدون الاقتداء بي فتصيرون تلاميذ هذا المحسن اليّ كما انا صرت تلميذه . وانه رآهم مضطرب بين حيارى فزادهم اضطراباً

﴿ ٢٨ ﴾ فشتموه وقالوا كن أنت تلميذه فأما نحن فانا تلاميذ موسى
﴿ ٢٩ ﴾ ونحن نعلم أن الله كلم موسى فأما هذا فلا نعلم من أين هو

ان أبغض أحد شيئاً أو شخصاً فلا يسميه باسمه وهذا ما حدث لليهود الذين غضبوا على الأعمى وقالوا : كن أنت تلميذه بدون ذكر اسم يسوع ثم ادّعوا التلمذة لموسى واتباع شريعته ولو كانوا حقاً تلاميذ موسى لآمنوا بيسوع أيضاً وانهم يؤمنون على زعمهم بموسى من دون أن يروه ويحسبون انفسهم عارفين بناموسه حق المعرفة ثم لا يؤمنون بالمسيح وهم يرونه أمامهم ويشعرون بآياته و يسمعون تعاليمه وأيضاً ينكرون معرفة المسيح ومن أين أتى وقد سألهم هيرودس فيما مضى فاجابوا استناداً الى نبوة ميخا انه يخرج من بيت لحم فما أعظم العمى السائد على بصائرهم وما أشد البغض الراكز في قلوبهم

﴿ ٣٠ ﴾ أجاب الرجل وقال لهم ان في هذا عجباً أنكم لا تعرفون
من أين هو وقد فتح عيني ﴿ ٣١ ﴾ ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة
ولكن اذا أحد اتقى الله وعمل مشيئته فانه يستجيب له ﴿ ٣٢ ﴾ ولم يُسمع
منذ الدهر أن أحداً فتح عيني مَن وُلد أعمى ﴿ ٣٣ ﴾ فلولا أن هذا من
الله لم يقدر أن يفعل شيئاً ﴿ ٣٤ ﴾ أجابوا وقالوا انك بجملتك قد وُلدتَ
في الخطايا وأنت تعلمنا . فطردوه خارجاً

يتعجب الاعمى من ان يسوع غير معروف عند مخاطبيه مع انه قادر على ان يعمل العجائب الدالّة على عظم مقامه وعلى انه اله . و بقدر ما يسعون لاخفاء الآية فبقدر ذلك يسعى في ذكرها وشهرها . وتأمل في برهانه السديد : تدّعون ان يسوع خاطئ اثيم وهو يعمل العجائب لتأييد سلطانه فكيف يسمع الله لهُ فاذن قولوا بحكم الضرورة ان يسوع على الأقل يتّقي الله و يسير بموجب مشيئته وهو ممتاز

عليكم من هذا القبيل لانكم تتظاهرون بخوف الله لكن لا نراكم سائرين بارادته القدّوسة . وعلاوةً على ذلك منذ ابتداء العالم الى الآن لم يعمل أحد مثل آيته فاذن هو أعظم من غيره من المخلوقين وبالتالي هو الله مولود من الله بالطبع ولو انه انسان بالهيئة مثلنا . وهل يلزم القول ان مثل هذه العبارات السديدة اثارت غضب اليهود وكانوا ينتظرون من مكلّمهم ان ينكر ما أحسن اليه . فأهانوه وأخرجوه من بينهم بسبب اعلانه الحق واحتقروه شديد الاحتقار

﴿ ٣٥ ﴾ وسمع يسوع انهم طردوه خارجاً فلقيه وقال له أتؤمن أنت بابن الله ﴿ ٣٦ ﴾ فاجاب وقال ومن هو ياسيد لأومن به ﴿ ٣٧ ﴾ فقال له يسوع قد رأيته وهو الذي يكلمك ﴿ ٣٨ ﴾ فقال لهُ قد آمنت ياربّ وسجد لهُ

خرج الأعمى من عصابة الشاتمين الكافرين فالتقى بجوقة تلاميذ المسيح وكان لهُ المجد قد دبّر بعنايته ليلتقي به فطلب منه ان يؤمن بابن الله وما ابدع جواب الرجل الملتمس باشتياق شديد ان يعرفه لينشيء فعل ايمانه به وما أحنّ السيد الذي يعرّفه بحاله باختصار قائلاً : هو من يخاطبك . فما أخفى نفسه ولا ذكّره بانه هو الذي طلى عينيه بالطين . فما تأخر الأعمى لصدق نيته ان يعترف بالكلام بلاهوت شافيه وان يسجد لهُ السجود الواجب لله معلناً محبته وعرفانه الجميل وتلبيته لصوت خالقه وتمسكه بالحق

﴿ ٣٩ ﴾ وقال يسوع انى أتيتُ الى هذا العالم المدينونة لكي يُبصر الذين لا يُبصرون ويعمي الذين يُبصرون

قال يوحنا الذهبي الفم : تأويل الآية ان الذين دانوني وحكموا عليّ كما يُقضى على المذنب فقد دانوا انفسهم واستوجبوا بعملهم القضاء . اعتراض : كيف قال لهُ

المجد فيما تقدّم ان الله الآب لم يرسل ابنه ليدين واثبت هنا أنْ آتيتُ المدينونة ؟ الجواب ان في كلامه الأول انما كان غرضه الاخبار عن مجيئه الذي غايته احياء العالم لا دينونته والحكم عليه اما هنا فاعنى بالدينونة امتحان بني البشر الذى أعلن ما أفكارهم وما عدم ايمانهم ومن البين ان الكهنة والكتبة بحكمهم عليه انه ناقض حرمة السبت بآياته وعجائبه اعلنوا عدم ايمانهم به فكان ذلك موجباً لاستحقاقهم الهلاك : وان شئتَ معرفة لأي الاسباب أتى السيد فان القسم الثاني من الآية يبيّنها أي جاء الى العالم ليمنح العميان لا نور البصر المحسوس فقط بل نور الايمان أيضاً أي مقصده احياء الاجسام والعقول والانسان كلهُ . اما من يأبون قبوله كالكتبة والفريسيين الذين يعدّون أنفسهم مبصرين بالعقل أيضاً فان مجيئه لهُ المجد يكون فرصة لعماهم ولو ان لجسدهم أعيناً فان نور الايمان لا يدخل عقولهم ليهديها بخلاف ما وقع للأعمى الذي حاز مع نور العين المادية نور العقل السماوي .

﴿ ٤٠ ﴾ فسمع هذا بعض الفريسيين الذين كانوا معه فقالوا له ألعلنا نحن أيضاً عميان ﴿ ٤١ ﴾ فقال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة والآن أنتم تقولون انكم تبصرون فمن أجل هذا خطيئتكم ثابتة

كان بعض الفريسيين يتبعون ذلك لا ليؤمنوا به بل ليسمعوا ما يقوله و يتخذوا فرصة لثلبه واذا سمعوه يقول ان مجيئه يُعمي الذين يبصرون حسبوا ان كلامه على العمى المحسوس وما كانوا بالفعل يبالون بالعمى العقلي و بالكفر وقد فسر يسوع لهم مراده بما تأويله : لو كنتم محرومين من مشاهدة الشمس المحسوسة لما كنتم تروني و بالتالي لما كنتم ترفضوني وترفضون الايمان بي وترتكبون الاثم برفضكم هذا . ولكن انتم تبصرون ثم تقولون ان لكم بصائر أيضاً تفهمون بها ومع ذلك انتم ترفضون قبولي والايمان بي فاذاً أنتم أثمة واثمكم ثابت عليكم . وما أشد ما كان وَقع هذه العبارات على الفريسيين

الاصحاح العاشر

في الراعي الصالح

﴿ ١ ﴾ الحق الحق أقول لكم ان من لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يتسوّر من موضع آخر فانه سارق ولص

اختلف الناس في مجمع اليهود في المسيح فمنهم مَن وصفه بانه صالح وآخرون قالوا انه ضالّ ومضلّ . فاقتضت الحالة أن يعلن له المجد الجميع انه راع صالح وان يصف ما صفات الراعي الصالح . وافهم بالباب الكتب المنزلة التي بها ندخل الى المعرفة ونحفظ الوصايا . وبالحظيرة تعليم الناموس أو عناية الله فكما ان الحظيرة تنجي الغنم من الذئاب هكذا عناية ربنا وناموسه ينجّيان الناس من الذئاب العقلية أي الشياطين والهراطقة فمعنى الكلام ان من لا يدخل في المعرفة الحقة التى يحويها الكتب المنزلة يكون سارقاً فالكتب توصلنا الى الله وتدخلنا في رضاه ومحبته ونعيمه ان اتبعنا مرسوماته وهي تجعلنا خرافاً وتحرسنا من ضلال الهراطقة وتمنعهم عن ان ينفثوا فينا سمّهم القتّال وانهم يدخلون الحظيرة لا من بابها بل من طريق غير مسلوكة أي لا يأخذون الكتب المنزلة ليتعلموا منها الحق والوصايا بل يخترعون الأضاليل ويأتون الى ما بين الخراف كاللصوص في السرّ والخفية والتسور يصوّر لنا صعود السارق على سياج الحظيرة ورميه نفسه في الاخطار واتيانه كل محظور بدون مبالاة وهذا وصف للهراطقة الذين يريدون نيل مآربهم بالحلال والحرام ولا يردعون النفس عن منكر وكذب يوصلهم الى مرغوبهم . ثم ان اللص والسارق يدلان على الأنبياء الكذبة والمسحاء الخونة الذين أتوا قبله لهُ المجد ويأتون بعده وعلى الكتبة والفريسيين الذين يتجاوزون حرمة الناموس ويهرفون الى كل ما ليس له ذكر في الكتب المقدسة . وان شئت أن تعرف الفرق بين اللص والسارق فاعلم ان السارق هو المختلس الأموال ليلاً أو في الأماكن التي لا يراه فيها أحد اما اللص فمن يسلب في النهار وعياناً كقطاع الطرق وكلا الفريقين

عادتهما ان يثلما السياج والحظيرة ليدخلا من غير الباب

﴿ ٢ ﴾ وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف ﴿ ٣ ﴾ له يفتح البوّاب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه بأسمائها ويخرجها

هنا وصف الراعي الصالح فهو الذي يعلم طبقاً للناموس ويتخذ نوراً وهداية الكتب المقدسة وبواسطة هذه الكتب يدعو الآخرين الى المعرفة الحقة . ولا شيء يمنع تأويل الراعي بالعقل المتبع الصواب والمتأمل في الالهيات والعائش في البرارة والصلاح والمتمسك بالايمان وحسن السيرة . وافهم بالبواب موسى الذي أعطي الوصايا والكتب وفُوّض اليه تعليمها بني اسرائيل وقد دلّ على السيد المسيح ومهد له الطريق ولما أتى له المجد عرف قطيعه وهم الذين آمنوا به فميزهم من غير المؤمنين وهم سمعوا صوته واتّبعوا دعوته فأخرجهم من اثم عدم الايمان بالناموس وبه لاسمه السجود . وقد عبر عن المعرفة الحقيقية بالدعوة بالاسماء لان من دعا غيره باسمه دلّ على انه يعرفه

﴿ ٤ ﴾ واذا أخرج خرافه يمضي أمامها والخراف تتبعه لانها تعرف صوته ﴿ ٥ ﴾ وأما الغريب فلا تتبعه لكنها تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء ﴿ ٦ ﴾ هذا المثل قاله لهم يسوع لكنهم لم يفهموا ما كلمهم به

عادة الراعي أن يسير وراء قطيعه كحارس يردّ عنها كل مضرّة أما السيد المسيح فانه يمشي قدّام غنمه مرشداً الى الحق والايمان والسيرة الصالحة . واعلم ان عمله يخالفه في أيامنا الأساقفة الذين يمشون وراء الغنم قصد اشباع شهواتهم الفاضحة وكسب حطب لنار طمعهم خلّص تعالى الشعب منهم . والغنم تسمع صوت راعيها الاّ انها تأبى سماع صوت الغريب الذي يمثل الأنبياء الكذبة والمسحاء الخونة ومن يتبع مثل هؤلاء يكون من قطيع ابليس لا السيد المسيح . واعلم انه له المجد قد قال هذه الأقوال مشيراً الى نفسه لكنها غمضت على سامعيه فلم يفقهوها

﴿ ٧ ﴾ فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم اني أنا باب الخراف ﴿ ٨ ﴾ جميع الذين أتوا هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم

سمّى السيد نفسه باباً لأن بواسطته ندخل الى الحياة الأبدية حيث السعادة والمشرب الروحاني ثم بواسطته ندخل الى دار الآب وأيضاً هو راعينا يعتني بنا ويحرسنا ثم وصف من أتوا الى الناس بالخداع والمكر. وبقوله : جميع : لم يعنِ موسى والانبياء الصادقي النبوة بل استخدم نوعاً من التعبير مألوفاً على شبه ما يقال : كل انسان كاذب مع ان كثيرين من الناس غير كاذبين . وقد أراد له المجد ان يردّ على اليهود الذين ذكروا في سرّهم اسامي عديدة من كذبة الانبياء وشبهوهم به فعرف ما في قلوبهم فقال ما تأويله غيري من اللصوص والسارقين أتوا الى الشعب المؤمن لكنهم هلكوا وبادوا وما سمع منهم القطيع وكذلك حدث لماني ومرقيون الكاذبين . ودلّ أيضاً على الكهنة ورؤسائهم الشرهين الذين كانوا يعشرون النعناع والسذاب ويتعدّون وصايا الله فقد رفض الشعب المستقيم ان يسمع لهم

﴿ ٩ ﴾ أنا الباب . ان دخل بي أحد يخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى ﴿ ١٠ ﴾ السارق لا يأتي الا ليسرق ويذبح ويهلك أما أنا فانما أتيت لكيما تكون لهم الحياة وتكون لهم أوفر

مَن يدخل في شريعة المسيح يحيا حياة الأبد ولا يضرّه شيء ويرى دائماً في غداوته وروحاته المأكول الروحاني المقوّي وسلطاناً يدافع عنه . أما غير المسيح فانه يأتي لسرقة الايمان والأفعال الصالحة من الاغنام فيوقعها في الخطية وقد عبر عن ذلك بالذبح والهلاك . قال يوحنا الذهبي : ان السيد أراد بالحياة ملكوت السماء وبحق فعل لان اسم الحياة الدالّ على الدائمة منها لا الزائلة يحتضن فيه كل خير وسعادة

ومعرفة حقيقية ولذّة كاملة

﴿ ١١ ﴾ أنا الراعي الصالح . الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف ﴿ ١٢ ﴾ أما الأجير الذي ليس براع وليست الخراف له فيرى الذئب مُقبلاً فيترك الخراف ويهرب فيخطف الذئب الخراف ويبدّدها ﴿ ١٣ ﴾ وانما يهرب الأجير لأنه أجير ولا يهمه أمر الخراف

سمّى نفسه صالحاً تمييزاً لهُ من الأشرار المنافقين واعني انه يضع ذاته هدفاً للعذاب والموت بدلاً من بني البشر . وانه قوي على ان يموت عوضاً عنا ويخلصنا لانه اله فأعطى المثل الرعاة والاساقفة وكأنه طلب منهم ان يحتملوا الآلام بدلاً من رعيتهم لا ان يجمعوا المال وينالهم البطر ويتركوا الخراف تخطفها الذئاب أي المراطقة . ثم ان الأجير يدلّ على الانبياء والملوك والآباء والكهنة الذين كانوا قبل السيد لهُ المجد وعنهم قال : انهم كانوا يعملون لخير الناس الاّ انهم عند اشتداد هجمات الذئب الذي يرمز الى الموت كانوا يهربون بعكس ما عمل هو الراعي الصالح وقد بذل نفسه دوننا فمات وقام وخلّص الرعيّة من الذئب أي الموت ـ تفسير آخر : الذئب هو ابليس اللعين والأجير هم الأنبياء الذين عجزوا عن مصادمة ابليس صداً لهُ عن الاضرار بالناس فكانوا يهربون عند اشتداد ضرباته عليهم وعلى قطيعهم

﴿ ١٤ ﴾ أنا الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ﴿ ١٥ ﴾ كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب وأبذل نفسي عن الخراف

معرفة المسيح لتابعيه تكون بواسطة حفظهم وصاياه ومعرفة تابعيه لهُ بالايمان به والسجود لعزّته والتعبّد لهُ واعلم ان السيد يعرف خاصته معرفة اله خلقهم من العدم وقبل ان يُوجدوا اما هم فما عرفوه الاّ بعد خلقهم وعند بلوغهم سنّ التمييز . واثباتاً

كون معرفتههي معرفة الهٍ ذكَر انه يعرف الا بوان الآب يعرفه لانهما متساو
في الطبيعة فاذن الفرق جسيم بين معرفته ومعرفتنا نحن نعرفه معرفة انسانية كما نعر
من نحن معهم وهو يعرفنا معرفة الهية ولما كان الهاً أمكنه ان يقول انه يبذل نف
عن خرافه أي تابعيه الطالبين به التبرير خلافاً لسائر الرعاة الذين لايقوون على بذ
انفسهم عن قطيعهم

﴿ ١٦ ﴾ ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي أن آ
بها أيضاً وستسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد ﴿ ١٧ ﴾
أجل هذا يحبني الآب لأني أبذل نفسي لآخذها أيضاً ﴿ ١٨ ﴾ لي
أحد يأخذها مني ولكني أبذلها باختياري ولي سلطان أن أبذلها ولي سلط
أن آخذها أيضاً . هذه الوصية قبلتها من أبي

يتكلم لاسمه السجود عن غير اليهود ليخزي اليهود أعينهم بسبب عدم ايما
وكأنه قال : الشعوب الذين لم يرسل لهم نبيّ ولا وقعت معجزات بينهم سآتي بهم
من دون اكراه حريتهم . لانهم خليقتي . وقد ضلّوا عن معرفتي فلازم ارجاعهم ا
وعند رجوعهم سيسمعون وصاياي و بشارتي و يعملون بها فيصيرون مع الذين في الحظ
رعيةً واحدةً أي يختلط اليهود والأمم في الدين الواحد تحت تدبير راعٍ واحـ
واظهاراً الى ان الآب يرغب في هذا الخلاص أي في رجوع الأمم الى عبادة
الحق قال الهُ المجد ما معناه : لأني اخلّصهم فيحبّني الا ب . وقد كان منذ الا
محبوباً منه . ثم اعلن انه اسلم نفسه عن خرافه بارادته الكاملة ولو أبى لما قوي
على قتله ومفاد عبارته : انا الرب . لي سلطان على ان أذهب الى العذاب والى ا
متى أردتُ فلا يقدر أحد اياً كان على أن يأخذ نفسي مني أو يلقي عليّ يداً
ثم ان متّ فاني أقوم ولي سلطان على ان أقوم . وانّ أبي يريد مثلي ان أموت
العالم فارادته ارادتي ولا مخالفة بينهما . وقد قال قبلتُ دلالة على ان الآب

بما يعمله الابن فلا يسوغ لأحـد ان يقول : الآب تركه يحتمل الموت وما قوّاه على العذاب

﴿ ١٩ ﴾ فوقع أيضاً بين اليهود شقاق من أجل هـذه الأقوال ﴿ ٢٠ ﴾ وقال كثير منهم ان به شيطاناً وقد جنّ فما بالكم تستمعون له ﴿ ٢١ ﴾ وقال آخرون ان هذا الكلام ليس كلام من به شيطان هل يقدر شيطان أن يفتح أعين العميان

لمـا كانت أقوال السيد وأعماله تفوق طاقة البشر أخذ كل من اليهود يتأولها على هـداه فقال بعضهم ان به شيطاناً وانه مجنون فردّ آخرون هذا القول ودليلهم السديد ان من يتكلم مثل يسوع يتعذر ان يكون مجنوناً وان من يفتح عيني أعمى منذ مولده ويصنع معجزات أخرى ليس فيه شيطان . وان كان السيد له المجد أبى أن يوبخ القائلين في حقه الاقوال الشائنة فلأنه شاء ان يعلّمنا التواضع والصبر على الشتائم واحتمال الناس

﴿ في حضور يسوع عيد التجديد وفي كلامه على خرفانه ﴾

﴿ ٢٢ ﴾ وكان عيد التجديد بأورشليم وكان شتاء ﴿ ٢٣ ﴾ وكان يسوع ماشياً في الهيكل في رواق سليمان

عيد التجديد هو يوم تقديس الهيكل بعد الرجوع من بابل وكانت الناس تأتي أفواجاً من كل البلاد لاقامة الاحتفال وكان في ذلك اليوم شتاء لان وقوعه عادةً في الخامس والعشرين من كانون الاول رمزاً الى ما نعيّده الآن من ميلاد ربنا بالجسد . وكان سيدنا قد صعد الى أورشليم كعادته في الاعياد وأخذ يمشي في رواق سليمان حيث المرضى وذوو العاهات يفتقدهم ويعزيهم ويطهر قلوبهم من الاثم ويشفي اجسامهم من الضعف . وما أحنه وما أرأفه ببني البشر

﴿ ٢٤ ﴾ فأحاط به اليهود وقالوا له حتى متى تريب أنفسنا ان كنت
أنت المسيح فقل لنا علانيةً ﴿ ٢٥ ﴾ أجابهم يسوع قد قلت لكم ولم تؤمنوا .
والأعمال التي أنا أعمل باسم أبي هي تشهد لي ﴿ ٢٦ ﴾ لكنكم لستم
تؤمنون لانكم لستم من خرافي

أحاط به اليهود لا احاطة محبة واحترام بل حسد ومكر طالبين ان يمسكوه بكلمة لتكون لهم حجة لقتله فرأت عينه ما في سرائرهم من رديّ العواطف وان كان لم يؤنبهم تأنيباً شديداً فما ذلك الاّ لتعليمنا ان نعامل عدونا باللين والتؤدة ومفاد جوابه : لا تؤمنون باقوالي وأدلتي ولا بمعجزاتي ولا بما شهد عني الانبيـاء لانكم لا تريدون وضع نفوسكم موضع الخراف بل موضع الذئاب فارادتكم شريرة وبعد أن عملتُ ما هو واجب على الراعي أتركـكم

﴿ ٢٧ ﴾ ان خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني ﴿ ٢٨ ﴾
وأنا أعطيها الحياة الأبدية فلا تهلك الى الأبد ولا يختطفها أحد من يدي
﴿ ٢٩ ﴾ ان الآب الذي أعطاني هو أعظم من الكلّ فلا يقدر أحد أن
يخطف من يد الآب ﴿ ٣٠ ﴾ أنا والآب واحد

أنتم تلاميذ الشيطان فلهذا السبب لا تسمعون صوتي أما تلاميذي فيطيعون ويلبّون دعوتي ولما كانت الحياة محبوبة من الناس ويسعون لنيلها فانا اعطيها من يتبعوني ولا يهلكون ولا أحد يقوى عليهم لاني ذو سلطان عظيم يستحيل قهره ـ وبعد ان شوّقهم الى اكتساب الحيـاة غير الزائلة كشف الغطاء عن مصدر سلطانه فبين ان أباه أعظم من الجميع وانه وأباه واحد وكلاهما متساوٍ بالذات والقوه والجوهر . اما لفظة أعظم فلا تدلّ على ان الآب اعظم من الابن باللاهوت بل على انه العلة للابن بالولادة كما يصدر الشعاع من الشمس وكأن سيدنا رغب في ان ينفي عنه

انه أحط درجة من الآب فاعلن مساواته بما لا يترك ريباً معقولاً لأحد . وافهم بلفظة اليد القوة فان خراف المسيح محفوظة بقوته وقوة أبيه والثنتان واحدة فلا يقدر أحد على الاضرار بها

﴿ في هيجان اليهود على السيد وذهابه الى عبر الاردن ﴾

﴿ ٣١ ﴾ فتناول اليهود حجارةً ليرجموه ﴿ ٣٢ ﴾ فأجابهم يسوع اني أريتكم أعمالاً كثيرةً حسنةً من عند الاب فلأي عمل منها ترجموني ﴿ ٣٣ ﴾ فأجابه اليهود اننا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن التجديف ولانك تجعل نفسك الهاً وأنت انسان ﴿ ٣٤ ﴾ فأجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلتُ انكم آلهة ﴿ ٣٥ ﴾ فان كان قد قال للذين صارت اليهم كلمة الله آلهةً ولا يمكن أن يُنقض الكتاب

ساوى سيدنا نفسه بأبيه فظنّ اليهود الماكرون انه مجدّف فهمّوا برجمه فخاطبهم ليشعرهم بعدم استقامتهم : عملتُ اعمالاً كثيرة امامكم ثم ذكرت اسم الآب الذي أرسلني وبشرتكم بما يريده فاي شيء سمج بان لكم في عملي وقولي ليكون جزاءي منكم الرجم . ولو لم ينظر اليهود عجائب السيد ولم يسمعوا عنه ما اخبر به النبيون لما استحقوا الملامة . لكنهم رأوا وسمعوا وشعروا خاصة بنوع محسوس جداً كيف ان المسيح كشف لهم عن مكرهم كما يكشف الاله . واذ اعترضوا عليه بانه يجعل نفسه الهاً قال ماتأويله ما بالكم تلوموني فان الذين دُعوا آلهة بالنعمة لم يلمهم احد مع انهم ما عملوا شيئاً خارقاً اما أنا الابن الطبيعي للآب وقد عملت كل الخوارق الدالّ عليّ الانبياء قبلي بالصراحة فانكم تروني أهلاً بالتنديد بي . اؤلئك وصلت اليهم كلمة الله فبشروا بها فدعوا آلهة كما قد كُتب عنهم ولا أحد يقدر أن يبطل هذه الكتابة

﴿ ٣٦ ﴾ فالذي قدّسه الآب وأرسله الى العالم أتقولون له انك تجدّف لأني قلتُ أنا ابن الله ﴿ ٣٧ ﴾ ان لم أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ﴿ ٣٨ ﴾ وان عملتُ فان لم تريدوا ان تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لتعلموا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأني في الآب

تسمّوني مجدفاً بعد ان أتيتكم من البراهين على لاهوتي فان الآب ميزني لتكميل ارادته وفرزني عمّن سواي لاني خاصته . لكن اني عامل دائماً أعمال أبي لأني مساوٍ لهُ في كل شيء فاخلق وآتي بالمعجزات والتعاليم الخلاصية فاخجلوا على الاقل من الاعمال التي تقع مني أمامكم وقد قيل ان الآب قدسه من اجل الجسد الذي اتخذه . ولما كان همّ الخاص لاسمه السجود ان يفهم مبغضيه لاهوته قال ان الآب فيه وانه في الآب أي انه ليس آخر غير الآب باعتبار الذات واللاهوت

﴿ ٣٩ ﴾ فطلبوا ان يمسكوه فخرج من بين أيديهم ﴿ ٤٠ ﴾ وذهب أيضا الى عبر الاردن الى حيث كان يوحنا يُعمد أولاً ومكث هناك ﴿ ٤١ ﴾ فأتى اليه كثيرون وقالوا ان يوحنا لم يعمل آيةً ﴿ ٤٢ ﴾ ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً فآمن به كثيرون

ذهب مخلصنا الى عبر الاردن ليهدّيء ابتعاده غضب اليهود . ثم قصد المكان الذي كان يوحنا يعمّد به ليذكّر الناس بشهادة المعمدان . وقد ادرك هؤلاء الصواب بالمقابلة التي صنعوها بينه وبين سابقه قالوا : ان يوحنا لم يأتِ بمعجزة والمسيح عمل عجائب عديدة : ثم ان يوحنا شهد أحسن شهادة لهُ فمن الواجب ان نؤمن به . وكانت الجموع بعيدة عن الحسد الشائن وقريبة من العواطف الخلاصية وصادقة النية أكثر من الرؤساء والكتبة والفريسيين

الفصل الحادي عشر

في موت لعازر وقيامته

﴿١﴾ وكان انسان مريض وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرتا أختها ﴿٢﴾ وكانت مريم هي التي دهنت الرب بالطيب ومسحت قدميه بشعرها وكان لعازر المريض أخاها

لم يذكر سائر الانجيليون خبر لعازر ورواه يوحنا لأن الرجل كان مشهوراً فاراد التلميذ الحبيب ان يفصّل حادث موته وقيامته ليبين للناس ما أراد السيد نفسه تبيينه لتلامذته من انه يموت بارادته ولو أبى الموت لما مات بل هو قادر على تخليص نفسه كما يخلّص لعازر . و بيت عنيا هنا هي قرية من أورشليم وغير تلك إلتي بالقرب من الاردن . وعنيا تأويلها التمجيد كما ان تأويل لعازر المعونة وقيل ان لعازر هو ابن سمعان الابرص الذي شفاه سيدنا فآمن اذ ذاك به مع اخوته وأهل بيته وأحبوه كثيراً وباسم لعازر قُرِن اسم مريم ومرتا بسبب فضائلهما ومحبتهما المخلصة للسيد المسيح . قال القديس افرام : انما قام لعازر بقوة المسيح من القبر ليقبل العماد وقد عمّده يوحنا الانجيلي وفي اليوم عينه تعمدت والدة الله واختا لعازر وكان ذلك يوم أحد . ثم ان لعازر بشّر بالمسيح في الاسكندرية ومات شهيداً في زمن طيباريوس . وروى اوسابيوس المؤرخ أن لعازر كرز البشارة في جزيرة قبرص وكان اسقفاً ثم مات ودُفن فيها واعلم ان يوحنا ذكر مريم وروى ماعملته من مسح قدمي يسوع تمييزاً لها عمّا سواها وهي غير التي ذكرها متى ولوقا لان مريم اخت لعازر فكانت عفيفة .

﴿٣﴾ فأرسلت أختاه اليه تقولان يارب ها ان الذي تحبه مريض

كانت اختا لعازر واثقتين بمحبة مخلصنا نحو اخيهما فقالتا في نفسهما : انه لا يأذن بان يشتد المرض على حبيبه . ولضعفهما و وهنهما عن السير اليه له المجد لم تذهبا هما

عينهما اليه ليخاطباه مشافهة بل انتدبتا من قام بدلهما بالطلب واوصل كلامهما . وما ابدع الصيغة التي افرغتاه فيها لحمل فادينا على الرحمة فما ذكرتا اسمه بل اشارتا اليه بالصراحة قائلتين : ان الذي تحبه وبهذا دلّتا على عظم ايمانهما بسلطان يسوع وعلى رجائهما الوطيد انه يساعد اخصاءه الذين يحبّونه ويحبّهم قال الذهبي الفم : من الناس من اذا رأوا احد الاتقياء المحبين لله قد نالته مصيبة أو مرض أو فقر يرتابون بعنايته تعالى وهم جاهلون الجهل كله . ماهي رحمته العلوية فها ان لعازر كان محباً للسيد المسيح وكان مريضاً فلما توسل اليه في شفائه اجاب طلبه واتى اليه .

﴿ ٤ ﴾ فلما سمع يسوع قال ليس هذا المرض للموت بل لأجل مجد الله لكي يمجد ابن الله به

للموت والمرض معان ومقاصد عديدة وفي كتابنا الموسوم بعناية الله عقدنا الكلام مفصّلاً في المقصود من الامراض وعوارضها فانه عزّوجلّ قد يأذن بسطو المرض والموت لينال تمجيداً من مخلوقاته ويعلن سلطانه السامي عليها وهنا أذن بما وقع للعازر بتدبيره الحكيم بحيث يسوغ لنا القول ان لعازر لم يمت بسبب ضعف الطبيعة ولم يمرض مرضاً تأذّت منه اعضاؤه بالاوجاع بل لحقه المرض والموت لبيان قدرة الله الذي يهب الحياة ويطرد العاهة ايّاً كانت ومتى أراد فأوّل كلام مخلصنا باني انا الذي عرض المرض والموت باذني وبارادتي على من أحبّه ليكون له ذلك سبب خلاص ويصيب كثيرون الايمان بي لانهم اذا رأوني آمر الموت فيخضع لسلطاني ويتلاشى فاذ ذاك يمجدون الله ويقرّون بلاهوتي وباني ذلك المنتظر الظاهر بالجسد

﴿ ٥ ﴾ وكان يسوع يحب مرتا وأختها مريم ولعازر ﴿ ٦ ﴾ فلما سمع أنه مريض لبث في الموضع الذي كان فيه يومين

ان محبّة يسوع لاختين وأخيهما هي محبة سيد لعبيده الامناء وخالق لمخلوقاته

التي تجري بأمره وتسلك بشريعته وتؤمن بسلطانه ومقدرته وتبادله المحبة ولهذه الاسباب كان السيد مختصاً بعنايته بيت لعازر وان كان لم يسرع حالاً الى نجاته عند ما بلغه خبر المرض فلمقصد سماوي فلبث يومين في موضعه لانه صار انساناً مثلنا ينتقل ويقيم اينما شاء ثم لم يسرع لانه اله عارف بالامور وقادر على كل شيء فترك لعازر يموت ويدفن ويمر على دفنه يومان يتسلط الموت فيهما عليه لتعظم امام الناس معجزة قيامته ولو شفاه من مرضه لاغير لكان الشفاء عجيباً لكن لا بقدر اقامته من بين الاموات

﴿ ٧ ﴾ وبعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضا ﴿ ٨ ﴾ فقال له التلاميذ يامعلم الآن كان اليهود يطلبون رجمك و أنت تمضي أيضاً الى هناك . ﴿ ٩ ﴾ أجاب يسوع أليس النهار اثنتي عشرة ساعةً فان مشى أحد في النهار لم يعثر لانه يبصر نور هذا العالم . ﴿ ١٠ ﴾ وان مشى في الليل عثر لأن النور ليس فيه .

خاف التلاميذ على السيد وعلى أنفسهم ايضاً لانهم كانوا ينظرون فيه انساناً فارادوا منعه عن الذهاب الى اليهودية وما كانوا كاملين بالادراك والفهم رغماً عما أظهره امامهم من القوات الباهرات فشدّد عزيمتهم وطرد منهم الضعف بجوابه الذي تأويله : انكم تسلكون برفقتي فما بالكم تخافون. انا أضيء كالنهار فلماذا تغشى الظلمات قلوبكم . فبالنهار اعنى نفسه وبالاثنتي عشرة ساعة دل على رسله الاثني عشر الذين كانوا معدين لنشر بشارة الانجيل . وكما ان الشمس تنير الخلائق جمعاء كذلك السيد المسيح يفيد المسكونة بتعاليمه وكما ان السائر على ضوء الشمس لا تدركه الظلمة كذلك من يمشي مع السيد له المجد لا تلحقه المصائب بل يكون في سلام واطمئنان بال لا خوف عليه ولا هو يحزن . ولا مانع من ان تؤول الآية على نوع آخر فتقول: مالم يكمل نهار البشارة فان اليهود لا يقدرون على قتله ونهار البشارة طويل مقداره اثنتا عشرة ساعة

ولم تمضِ بعد والسيد له المجد لا يأذن قبل انتهائه ان يلقي احدٌ عليه يداً عادية فاذن لا يخاف من اليهود ولا يحتاج الى ان يصون نفسه من جورهم . ثم من كان معه يكون ايضاً آمناً بامانة ولا يدركه شيء من العذاب الذي هو كالظلمة . اما اليهود الماشون في الليل باعمالهم المعوجة والمفسرون للناموس على اهوائهم الردية فلا يشاهدون نور الانجيل ولا يؤمنون بالسيد المسيح بل يعثرون بالصليب ويقعون في التهلكة وغضب الله

﴿ ١١ ﴾ قال هذا ثم قال لهم ان لعازر حبيبنا قد رقد لكني أنطلق لأوقظه . ﴿ ١٢ ﴾ قال له تلاميذه يارب ان كان راقداً فانه يخلص . ﴿ ١٣ ﴾ وانما قال يسوع عن موته فظنوا أنه يقول عن رُقاد النوم . ﴿ ١٤ ﴾ حينئذ قال لهم يسوع صريحاً لعازر قد مات ﴿ ١٥ ﴾ وأنا من أجلكم أفرح أني لم أكن هناك لتؤمنوا . لنذهب اليه ﴿ ١٦ ﴾ فقال توما الذي يسمى التوأم للتلاميذ أصحابه لنذهب نحن أيضاً لنموت معه

بعد ان خاطب سيدنا تلاميذه بكلام المجاز أفصح عن مراده من الذهاب فقال لا تخافوا لاني اذهب الى بيت عنيا لا لأخالف اليهود وأحاربهم بل لأوقظ لعازر من رقاده . وهنا أمور يجب ايضاحها : الاول ان لفظة رقد تعني النوم والمرض والموت ففهم التلاميذ رقاد النوم كما يتضح من جوابهم واعنى السيد له المجد الموت كما فسرّ فيما بعد : الثاني ان انطلاق السيد لبيت عنيا قصد ايقاظ لعازر كان صادراً عن محبة محض وهذا ما أعلنه بقوله «حبيبنا» . فما اعذب محبة الله للبشر وما اسخاها . الثالث لم يرد مخلصنا ان يكشف لتلاميذه كشفاً صريحاً عن موت لعازر ليعلمنا التواضع والهرب من المجد الباطل كلما أردنا أن نأتي بحسنة أو نفعل عملاً صالحاً الرابع انهم بالايقاظ اقامة لعازر من الموت وانبعاثه من القبر لان المسيح قال عنه انه قد مات اي افترقت نفسه

من جسده ثم لان الآيات الآتية تصرح بانه كان في القبر منذ اربعة أيام وان سألت ما الحكمة العظمى التي قصدها فادي البشر من عمله البالغ في القوة أجبت انه هو بعينه قد اوضحه بقوله : انا من اجلكم افرح أني لم اكن هناك لتؤمنوا . اي سيشتد ايمانكم بي فتطردون كل ارتياب بلاهوتي ولا تعدوني انساناً محضاً اذ اني أقيم بسلطاني ميتاً قد مسه الفساد . وكأن التلاميذ لم يفهموا ايضاً هذه الحكمة لان توما اظهر خوفاً عظيماً وانه قطع رجاءه من النجاة فقال : خير لنا ان نذهب ونموت معه . فأبدى بقوله كبير تعلق بالمعلم الالهي .

﴿ ١٧ ﴾ فلما وافى يسوع وجد أن له في القبر أربعة أيام ﴿١٨﴾ وكانت بيت عنيا قريبةً من أورشليم نحو خمس عشرة غلوةً . ﴿ ١٩ ﴾ وكان كثيرون من اليهود قد جاؤا الى مرتا ومريم ليعزوهما عن أخيهما .

لم تكن بيت عنيا بعيدة عن مستقر السيد المسيح ولو سار ميلين اي ساعتين تقريباً لبلغها لكنه لم يصل اليها الا بعد أربعة أيام وكان قد جاءه رسول مخبراً بموت حبيبه فانتظر لاسمه السجود الى ان ينتهي الميت لتكون المعجزة باهرة جداً . ثم لقرب بيت عنيا من أورشليم اذ لم تكن الاولى الا على مسافة ميلين ايضاً من الثانية وهذا تقدير الخمس عشرة غلوة. كان جمهور من اليهود حسب العادة بين الناس قد أتوا لتعزية الاختين المصابتين بشديد الحزن لا سيما وان بيت لعازر الميت كان ذا وجاهة ومقام مشهوراً بالكرم والحسنات ومفتوحاً لايواء الغرباء والاجانب وكان الآتون الآن اليه من ذوي الضمائر المستقيمة والآداب الصحيحة

﴿ ٢٠ ﴾ فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع استقبلته وكانت مريم قاعدة في البيت . ﴿ ٢١ ﴾ فقالت مرتا ليسوع يارب لو كنت ههنا لم يمت أخي ﴿ ٢٢ ﴾ ولكنني الآن أيضاً أعلم أنك مهما تسأل الله فالله يعطيك .

﴿ ٢٣ ﴾ فقال لها يسوع سيقوم أخوكِ . ﴿ ٢٤ ﴾ فقالت له مرتا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الاخير . ﴿ ٢٥ ﴾ فقال لها يسوع أنا القيامة والحياة . من آمن بي وان مات فسيحيا ﴿ ٢٦ ﴾ وكل من كان حياً وآمن بي لن يموت الى الابد . أتؤمنين بهذا .

أسرعت مرتا الى السيد ولم تصحب اختها مريم معها لانها كانت مشتاقة الى ان تلاقيه الاولى لتخبره بما جرى في موت اخيها وتعلمه بما في قلبها من انه له المجد لو كان بقرب لعازر لما قوي الموت عليه. اما مريم فبقيت مع النساء اللواتي اتين معزيات وكأنها ما عرفت بمجيء المخلص . ومن الاكيد ان كلام مرتا صدر عن قلب مخلص مقتنع بصدقه وصحته لانها كانت عالمة بآيات السيد المتعددة ومنها تهدئة الزوبعة على البحر واسكات الريح وما اشبه فبالقياس قالت في ذاتها : من يهدئ الزوابع ويأمر الريح يمكنه ان يأمر الموت بالابتعاد ايضاً لان الله يعطيه ما يريد ويطلب . ونظر فادينا الى ايمانها فاراد تقويته ورفعه الى اعلى درجة في اليقين فقال موجزاً : سيقوم اخوكِ . ولم تدرك مرتا لاول وهلة كل معنى هذا الجواب البديع بل حملها فكرها الى ان اخاها سيرى القيامة العامة ويكون مع المبعوثين اذ ذاك من القبور رغماً عما يعتقده بعض اليهود الناكرين البعث ولذلك فسر المخلص كلامه واعلن لاهوته باجلى بيان ومعنى عبارته : انا الله بامري تكون القيامة و بسلطاني الخاص تكون الحياة والمؤمن بي وان مات فسأعطيه الحياة في السماء وأقيمه ايضاً في آخر الازمان لا بل هذا المؤمن بي لا يموت بل هو حيّ لان الحيّ المؤمن بي يزيد فيه حياة النعمة في الارض وينال ايضاً حياة المجد في السماء ويمكن ايضاً تأويل « من كان حياً وآمن بي لن يموت » عن الذين يبقون حتى الدينونة فموتهم يكون وجيزاً لانهم يبعثون حالاً بعد افتراق انفسهم عن اجسادهم

﴿ ٢٧ ﴾ قالت نعم يارب أنا مؤمنة أنك أنت المسيح ابن الله الآتي

الى هذا العالم . ﴿ ٢٨ ﴾ ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة
المعلم حاضر يدعوك . ﴿ ٢٩ ﴾ فلما سمعت نهضت مسرعة وجاءت اليه .
﴿ ٣٠ ﴾ ولم يكن يسوع قد بلغ الى القرية ولكنه كان في المكان الذي
استقبلته فيه مرتا .

سأل المسيح مرتا هل تؤمن انه القيامة والحياة وانه قادر على ان يقيم اخاها فاجابت بالايجاب وزادت معترفة جهاراً بانه المسيح المنتظر ابن الله حسب ما صرح به النبيون. ثم انها اسرعت الى استدعاء اختها التي انما تأخرت عن المجيء لعدم معرفتها بقدوم المعلم الالهي . وقد اعلمتها بقدومه في الخفية لئلا يقلق المعزّون في البيت ومنهم من لا يحبّ يسوع بل يبغضه ويغضب لاتيانه . ولاحظ تلبية مريم لدعوة السيد المسيح اذ انها اسرعت عند ما عرفت به لا سيما وانه هو الداعي لها كما أنبأتها مرتا. وما ذلك منها الاّ لتعلّقها به وايمانها بسلطانه ولانها ترجو منه التعزية اكثر مما سواه وتفضله على الناس اجمعين حتى على اخيها وكان لهُ المجد لا يبدي في سيره الى بيت عنيا عجلة وتسرعاً لئلا يظنّ به انه محبّ للمجد في عمل آياته

﴿ ٣١ ﴾ فاليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قد
قامت مسرعةً وخرجت تبعوها قائلين انها ذاهبة الى القبر لتبكي هناك .
﴿ ٣٢ ﴾ فلما انتهت مريم الى حيث كان يسوع ورأته خرّت على قدميه
وقالت له يارب لو كنت ههنا لم يمت أخي . ﴿ ٣٣ ﴾ فلما رآها يسوع تبكي
ورأى اليهود الذين جاءوا معها يبكون ارتعش بالروح وحرّك نفسه

لما ذهبت مريم لاستقبال مخلصنا تبعها اليهود لاليشاهدوا معها السيد لهُ المجد بل ليمنعوها عن البكاء والنحيب وكان ذلك بعناية ربانية حتى يحضروا المعجزة ويكونوا

شهوداً على عمل يسوع وقد سمعوا اولاً كلام التضرع الصادر عن مريم ثم نظروا سجودها ليسوع ودلائل محبتها البالغة لهُ وما ابداه لاسمه المجد من الارتعاش بالروح وتحريكه لنفسه . قال فم الذهب : نظر يسوع مريم تبكي واليهود يشاركونها في البكاء فاعلن شدّة كأبته فهطلت دموعه وبكي ايضاً فارتعاشه بالروح ليس الاّ حمله نفسه البريئة من الآلام على الحزن والتألم . وفسرّ آخرون الارتعاش بانه حركة غضب في السيد وقد منع اذ ذاك غضبه عن اليهود الذين عرفهم لا يؤمنون به ولو نظروا المعجزة وفعلاً قد ندّدوا به كما سيأتي بيانه بقولهم : هذا الذي فتح عيني الاعمى أما كان قادراً ان يجعل لعازر لا يموت . وافرغوا طاقتهم بمثل هذه الملامة في ان يرموا بالقلق قلب مريم ومرتا و يبعدوهما عن السيد المسيح وقال فريق ثالث ان الارتعاش بالروح دلالة على منعه عن نفسه شدة الكآبة والتنهد والحق يقال ان كلمة الارتعاش هي فريدة في بابها ولم تقل عن انسان اياً كان من المتقدمين او المتأخرين

﴿٣٤﴾ وقال أين وضعتموه. فقالوا له يارب تعال وانظر . ﴿٣٥﴾ فدمع يسوع . ﴿٣٦﴾ فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . ﴿٣٧﴾ وقال بعضهم أَما كان يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت .

انما سأل السيد المسيح عن مكان القبر لا لجهله أين هو بل ليراه الحاضرون امامه ويؤكدوا صدور الاعجوبة ثم يسير بالترتيب ولا يظهر افتخاراً باطلاً بعمله وكان سؤاله شبيهاً بسؤال أبيه الازلي القائل منذ البدء : أين انت يا آدم اي لينبه فكر المسؤول والسامع لا غير . وجعل ان يُدنوه من القبر ليشمّ الناس رائحة النتانة ولا ينكر أحد منهم كون لعازر قد مات . ثم ان يسوع دمع ليبين انه بالحقيقة قد صار انساناً وكان بكاؤه على شقائنا الجسيم وعلى الذل الذي سقطنا فيه بسبب معاصينا ولم يكن في ذلك شيء من الضعف الشائن بل ان لنا فيها تعليماً اي يجب علينا ان نحزن على موتانا

وانه له المجد يحبّنا شديد المحبة فيدمع لمصيبتنا ويشاركنا في كربتنا . وبدموعه ينشف دموعنا ثم انه بعذابه أزال عنا العذاب الذي استوجبناه . ويمكننا أن نقول ان دموعه هي كالمطر المنعش ولعازر كالحنطة وقبره الارض التي شربت الدموع ثم ان صوت السيد يشبه رعداً منه فزع الموت وتلاشى وقد نبت لعازر كالسنبل وعلا فوق الارض كالرمح ثم انكشف وجهه بهياً فجمعت حبوبه وخُزن في اهراء الكنيسة للتبشير بالانجيل . وليس ببعيد تفسير من قال ان دموع السيد كانت على اليهود القساة القلوب والغلاظ الرقاب الذين ما آمنوا بعد ان نظروا قيامة لعازر وما استفادوا من مجيء المخلص ومن الحسنات الوافرة التي وهبها العالم أجمع بل صلبوه واحتقروه . وسائلٍ هل الحزن مناسب لطبع المخلص : فالجواب بالانكار ولهذا المعنى قيل انه حرّك نفسه على الحزن والألم . فقد كان في نفسه سامي الطهر . وقد انقسم اليهود قسمين حينما شاهدوه يبكي فالفريق المستقيم القلب وصاحب الرأي السديد قال : ان الدموع دلالة على محبته للعازر اما الفريق الممتلئ حسداً وشراً والراغب في افساد الضمائر والقلوب فكان يعنّفه على انه لم يمنع موت لعازر ويقول : قد فتح عيني الاعمى أليس من واجبه ان يصدّ هجمة الموت عن حبيبه . ثم ما كان احد ينتظر انه سيقيم الميت بل كلهم اعتقدوا ان قصده من معرفة مكان القبر البكاء لا غير

﴿ ٣٨ ﴾ فارتعش يسوع ثانية في نفسه وجاء الى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر . ﴿ ٣٩ ﴾ فقال يسوع ارفعوا الحجر . فقالت مرتا أخت الميت يارب قد أنتن لأن له أربعة أيام ﴿ ٤٠ ﴾ فقال لها يسوع ألم أقل لك انك ان آمنتِ فسترين مجد الله .

ارتعاش السيد ثانيةً هو دعوة ثانية لليهود حتى يتجرّدوا من غضبهم وشرهم ثم دنوّه من المغارة حيث كان القبر تحقيق ان الذي سيقوم هو لعازر لا غير ودبرت عنايته ان الميت دُفن وحده في موضع ليس فيه موتى آخرون غيره والاّ لقالت اليهود ان

غير لعازر قام كما كذّبوا من قبل عن الاعمى فتشدّقوا كاذبين ان غيره هو الذي نال البصر . وأمر أيضاً برفع الحجر حتى تفوح الرائحة في أنوف الحاضرين ووجوههم فلا ينكرون المعجزة لا سيما وانهم هم الذين وضعوه بأيديهم ورفعوه أيضاً وكان يسوع قادراً بسلطانه ان يأمر الصخر فيتشقق ويرتفع بمجرّد أمره . وهنا اعترضت مرتا بان جسد أخيها قد مسّه الفساد والنتانة فكأنها ارتابت او لم تعرف بما سيعمله يسوع واشفقت على الناس من ان يشمّوا شيئاً مؤذياً . اما فادينا فردّد على مسمعها كلامه الاول وأعنى بمجد الله مجد الآب الازلي تبعاً لفريق وقال آخرون انه بمجد الله أشار الى نفسه ودليل ذلك انه أثبت فيما تقدّم القيامة والحياة لنفسه

﴿ ٤١ ﴾ فرفعوا الحجر . فرفع يسوع عينيه الى فوق وقال يا أبتِ أشكرك لأنك سمعت لي ﴿ ٤٢ ﴾ وقد علمت أنك تسمع لي في كل حين لكن قلت هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أرسلتني

أبان السيد انه يطلب من السماء شيئاً فرفع اليها عينيه كما يرفعها الناس المصلّون الطالبون الهبات الالهية ثم أوّلْ شكره لله لانه سمع له لا انه صلّى كسائر بني البشر ولا انه محتاج الى شيء لا يقدر بذاته الكريمة عليه بل ان غايته ارشادنا الى الايمان والى الاقتداء به في شكر العزة الالهية كلما نلنا من لدنها النعم والخيرات وقد حقّق بشكره ان ارادته وارادة الآب واحدة وانه واحد مع الآب بالطبيعة والمشيئة وانه ولو لابساً جسداً مثلنا لا يخالف الآب كما يفكر فيه اليهود الاشرار بل يوافقه في كل حين وفي كل لحظة وعمل . فاذن استنتج انه لهُ المجد لم يقم لعازر بالصلاة كما فعل الانبياء بل أجرى قيامته بأمره ثم انه لم يقل ما قاله مما يدلّ في الظاهر على التجاء الى غيره الا لجذب الجمع الحاضر الى الايمان الصحيح وكان هذا الجمع لا يعتقده مساوياً بالجوهر للآب بل ينظر فيه خليقةً أدنى درجةً ومقدرة من الله فاعلن اذ ذاك ان الاتفاق بينه وبين الآب تام لوحدتهما في الذات والقوة والسلطان وان الآب يريد ما يريده الابن ويسمع له في كل حين لان الاثنين واحد في الطبع

﴿ ٤٣ ﴾ ولما قال هـذا صرخ بصوت عظيم يالعازر هلم خارجاً .
﴿ ٤٤ ﴾ فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف
بمنديل . فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب . ﴿ ٤٥ ﴾ فآمن به كثير من
اليهود الذين جاءوا الى مريم ورأوا ما صنع . ﴿ ٤٦ ﴾ وذهب بعضهم الى
الفريسيين وأخبروهم بما عمل يسوع .

كلام السيد الآمر لعازر بالخروج هو كلام مسلّط قاهر تسمع له الكائنات
وتحيا به الموتى المنتنون في القبور . وقيل ان المسيح صرخ بصوت عظيم لكيلا يشكّ
الحاضرون في انه هو المحيي لا غيره وقصد ان ينبئ بان النفس فى مكان بعيد . ثم
لم يقل : قم يالعازر بل هلمّ خارجاً . ليدلّ على ان النفوس البارّة هي حيّة وفي يد
الله يصنع بها ما يشاء وانه له المجد اله الاحياء لا الاموات . وقد دعا لعازر باسمه لانه
اراد اقامته وحده لا اقامة غيره من القبور وعلى هذا الشبه سيقيم الموتى في آخر الازمان
ويوقظهم من قبورهم في خمسة أقطار العالم . والعجب كل العجب ان لعازر قام حالاً
وتحرّك مع ان يديه ورجليه في القيود والرباطات فثبت لدى الجمع الواقف انه هو بعينه
لا خياله وكان خروجه من مدفنه مدهشاً جداً فأمر يسوع ان يحلّوه من الاقمطة
واللفائف المعتاد شدّ جسد الميت بها . والتاريخ يروي ان لعازر عاش عيشة طويلة
ورسم أسقفاً وذهب الى البلاد النائية مبشراً بالانجيل . وكان كثير من الشعب قد
أتى من أورشليم ومن أماكن أخرى فاذ عاين الآية آمن بان هذا العمل هو عمل الله
الا ان بعض فاسدي القلوب زادوا على المخلص حنقاً فاسرعوا الى اعدائه ليدبروا قتله

﴿ اجتماع رؤساء الكهنة على يسوع وذهابه الى مدينة افرام وأمرهم بامساكه ﴾

﴿ ٤٧ ﴾ فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون المحفل وقالوا ماذا نصنع
فان هذا الرجل يعمل آيات كثيرة ﴿ ٤٨ ﴾ وان تركناه هكذا آمن به

الجميع فيأتي الرومانيون ويستحوذون على أمتنا .

ما سمع الفريسيون بالآية حتى أخذت أفكار قتله تنتابهم وكان قائدهم في مؤامرتهم الجنون اذ انه كيف يعقل ان يموت من يعطي الحياة لكنهم كانوا يحسبونه في حماقتهم كرجل لا كاله ولم تدعهم عجائبه الى الاقرار بلاهوته والى الثناء على سلطانه بل اتخذوها سبب التشكي منه وموضوعه وقد حققوا بكلامهم وعملهم ما اتت به النبؤات من ان المسيح بعد صلبه يؤمن به الجميع واذ آمن به الجميع تخرب دولة اليهود وتزول حالتهم المدنية والروحيه ويسلمون الى الهلاك والفناء . ولاحظ انهم نسبوا ذلك الى السيد عينه وهو المحرّم كل تمرّد وكل اهانة والقائل : من ضربك على خدك الايمن فحوّل له الايسر (متى ٥:٣٩) وهو الآمر بالخضوع للسلطان واحترامه واعطاء القيصر ماله فظنوا ان السيد سيسمي نفسه رأس الشعب ومدبره الاول فيبلغ الخبر الى الرومانيين فيأتون لمعاقبة اليهود والانتقام منهم

﴿ ٤٩ ﴾ فقال لهم واحد منهم اسمه قيافا وكان رئيس الكهنة في تلك السنة انكم لا تعرفون شيئاً ﴿ ٥٠ ﴾ ولا تعقلون انه خير لكم أن يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الامة كلها . ﴿ ٥١ ﴾ ولم يقل هذا من تلقاء نفسه ولكن اذ كان رئيس الكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع كان مزمعاً ان يموت عن الامة . ﴿ ٥٢ ﴾ وليس عن الامة فقط بل ليجمع أيضاً أبناء الله المتفرقين الى واحد . ﴿ ٥٣ ﴾ ومنذ ذلك اليوم ائتمروا أن يقتلوه .

قام لعازر في السنة التي كان فيها قيافا رئيس الكهنة مختلساً لهذا المقام بالرشوة والظلم ومن المعلوم ان كهنوته لم يكن طبقاً للشريعة الآمرة ان يتوارث الابناء بالتناسل الكهنوت ورئاسته . و بسبب الخصومات والمشاحنات رتب الرومانيون ان يخدم رئيس

ـكهنة سنة واحدة ثم يعقبه آخر . فلما ائتمر الفريسيون على فادينا وقيافا ما بينهم يصغي
ينوونه من الشرّ حملته الكبرياء الى ان يوبخهم حاسباً شرّهم كلا شيء بالنسبة الى
شرّ الذي في قلبه فدعاهم جاهلين ووصفهم بانهم لا يعرفون شيئاً وأظهر ان الافضل قتل
سوع عن الامة كلها . وانما كانت هذه العبارة نبوّة خرجت من فمه لا من قلبه . وان
ألت كيف تنبأ وهو شرير ؟ اجبتُ ان عمله كعمل بختنصر الذي اخبر بالمزمعات مما
آه في الحلم وكعمل بلعام الذي أعلم بانتصار آل اسرائيل والنعمة بعيدة عن قلبه .
يست هبة النبوة مقرونة ضرورة بصلاح السيرة وقال فريق آخر ان قيافا لم يتنبَّأ
وة الروح القدس بل ان فكره البشري وارادته الشريرة حملاه على قول ما قاله فوافق
رام لكن هذا الرأي مخالف لكلام الانجيل . وقد مات السيد عوضاً عن الجميع كما
هد فم رئيس الكهنة الاّ ان اليهود لم يصيبوا ادنى منفعة من موته فغيرهم نال الحياة
م سقطوا في الموت والهلاك وتركت الملائكة مدينتهم التي هي مقر ملكهم وتلاشى
كرمهم المزهر ولم يعد يعطي عصيراً لذيذاً مفرحاً بل انتقلت اللذة والنعمة والسعادة
ى الشعوب الغريبة فهؤلاء ابناء الله حقاً لانهم آمنوا بالمسيح فجمعتهم يده المحسنة
جرّدتهم من الاعتقادات الباطلة المتعددة وصيرتهم جسماً واحداً في حضن
ـكنيسة المقدسة

﴿ ٥٤ ﴾ وأما يسوع فلم يكن يمشي بين اليهود علانية ولكنه انطلق
ى بقعة قريبة من البرية الى مدينة تسمى افرام ومكث هناك مع تلاميذه .
﴿ ٥٥ ﴾ وكان قد اقترب فصح اليهود فصعد كثيرون من البقعة الى أورشليم
ل الفصح ليتطهروا . ﴿ ٥٦ ﴾ وكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم
م قائمون في الهيكل ماذا تظنون ألعله لا يأتي الى العيد . وكان الرؤساء
الفريسيون قد أمروا بانه ان علم أحد أين هو فليدلهم عليه ليمسكوه

عرف السيد بما يدبره اليهود ولما لم يكن وقته قد حلّ تحاشى الظهور علانية

فذهب الى أفرام طلباً لتهدئة غضب اعدائه لان هذه المدينة كانت بعيدة عن مكانهم ومن معجزاته فيها انه نجاها من الحيّات والعقارب والدبابات السامة ورسم ان ما يدخلها من هذا النوع يموت . ووافق في ذاك الزمن حلول عيد الفصح وكانت العادة فيه ان يقصد الناس أورشليم كما يقصدونها ايضاً في عيدي المظالّ واعطاء الناموس المعروف بالبنديقوسطي اتماماً لما جرى به التقليد من زمن موسى من ان يبيّضوا ثيابهم ويطهروا أنفسهم قبل الصعود الى الجبل لينالوا بركة العيد فأخذ الجمع المتقاطر يفتش ليجتمع بيسوع ويسمع تعليمه أما الفريسيون الراغبون في هلاكه فأمروا أن يدلهم الناس على مقره ان نظروه وأملوا ان يساعدوهم على امساكه وقتله

الاصحاح الثاني عشر

في مسح مريم قدمي يسوع

﴿ ١ ﴾ وقبل الفصح بستة أيام أتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الذي مات وأقامه يسوع من بين الأموات ﴿ ٢ ﴾ فصنعوا له هناك عشاء وكان مرتا تخدم وكان لعازر أحد المتكئين معه . ﴿ ٣ ﴾ أما مريم فأخذت رطل طيب من سنبل الناردين كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتلأ البيت من رائحة الطيب .

ان مجيء يسوع الى بيت عنيا كان لأسباب ثلاثة أولها ان يزيد الناس تأكيداً ان لعازر قد قام اذ ينظرونه يأكل ويشرب فكان عمله له المجد عمل طبيب شفى المريض وأمره بالأكل ليجعله يختبر صحته وقوته . ثانيها ان يسمع اليهود بمجيئه فتعود اليهم عواطف الغضب وكانت ساعة الالام والصلب قد دنت ثالثها ان يستفيد محبّود الافاضل قبل موته من حسناته. ومن هؤلاء المحبين لعازر وأختاه الذين صنعوا له عشاء حافلاً في بيتهم وقال آخرون ان الوليمة كانت في بيت آخر وقامت مرتا بالخدمة فيه

أما مريم فأخذت الطيب ومسحت قدميه ففاحت رائحته ورائحتها في كل المكان .
واعلم ان الطيب أريق على يسوع مرات ثلاثاً الاولى من مريم الخاطئة والثانية من مريم التي أخرج منها سبعة شياطين والثالثة من مريم أخت لعازر السامية العفة والطهر بدليل انه قيل عنها انها اختارت لها نصيباً صالحاً فهذه قادها الهام سماوي لافاضة دهن الناردين على قدميه المقدستين قصد الدلالة على سر دفنه القريب

﴿ ٤ ﴾ فقال أحد تلاميذه يهوذا بن سمعان الاسخريوطي الذي كان مزمعاً أن يسلمه ﴿ ٥ ﴾ لِمَ لم يبع هذا الطيب بثلاث مئة دينار ويدفع للمساكين ﴿ ٦ ﴾ وانما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنه كان سارقاً وكان الكيس عنده وكان يحمل ما يلقى فيه

ان البخل ومحبة المال دفعا بيهوذا الى الاعتراض وأراد سترها تحت حجة الرأفة بالمساكين وما كان لهُ على الفقراء شفقة وقلبه قلب لصّ ونفسه مجبولة بحبّ الفضة وكان سيدنا قد جعله صاحب الكيس وحامله وحافظ التقدمات التي يعطاها حتى يقطع عنه كل علّة للاختلاس ويحرمه الفرص السيئة التي تقود الى السرقة . وقال آخرون ن يهوذا عينه اذ رأى معجزات السيد وصدقات المؤمنين صنع له صندوقاً صغيراً بحجة معها ليوزعها على ذوي الفاقة والغرض الوحيد ان يجمعها لنفسه . وان كان يسوع لم نعه بل تركه يقضي شهوته الحقيرة فما كان ذلك الاّ ليصدّه عن الخيانة ويجعله وب يوماً .

﴿ ٧ ﴾ فقال يسوع دعوها انما حفظته ليوم دفني ﴿ ٨ ﴾ فان المساكين عندكم في كل حين وأما أنا فلست عندكم في كل حين .

دافع سيدنا عن عمل مريم وأعلن الحاضرين ويهوذا الخائن معهم انه سيُصلب وت ألاّ ان النفس المتصلبة في الشرّ لا يلدغها نخس الضمير ولا يقودها الى العواطف

الجيدة شيء من التوبيخ لانها غارقـة في الاثم . وما أسعد حظ مريم وابدع فضلها فقد استحقت بسلوكها الحميد ومحبتها المخلصة القديمة ان تخبر بعملها عن الامور الا تية اي عن دهن جسد المخلص وتطييبه . ثم ينتج لنا تعليم سام دلّ عليه السيد وهو ان كل ما يهدى له مقبول مأجور عليه وليس فيه شيء من الخسارة مهما كان ثميناً ولو اننا ملزومون باغاثة المساكين واعالتهم في اي زمن كان بشرط ان نكون قادرين على ذلك . واعلم ان يسوع باعلانه انه ليس عند تلاميذه بالجسد كل حين افهمهم انه سيموت ويدفن ويقوم ليصعد الى السماء ويغيب عنهم بالجسد .

﴿ ٩ ﴾ وعلم جمع كثير من اليهود أن يسوع هناك فجاءوا لا من أجل يسوع فقط بل لينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من بين الأموات ﴿ ١٠ ﴾ فأتمر رؤساء الكهنة أن يقتلوا لعازر أيضاً ﴿ ١١ ﴾ لان كثيراً من اليهود كانوا بسببه يذهبون فيؤمنون بيسوع .

شاع الخبر ان يسوع في بيت عنيا فأتى جمهور من ذوي الضمير المستقيم وهم في الغالب فقراء ومساكين وكانوا يرغبون في مشاهدة السيد وسماع كلامه والايمان به وفي النظر الى لعازر الذي كان بحياته وقيامته شاهداً باهراً على سلطان يسوع ولاهوته. وبهذه الرغبة فضلوا الرؤساء المتكبرين بمقامهم وثروتهم الزائلة الذين أخذوا ايضاً يدبرون وسائل لقتل لعازر وكان هذا الرجل ذا مقام رفيع فزاده رفعة وشهرة ما حدث له من رجوعه الى الحياة فقصده الناس من كل الجهات وهو قادهم بلطفه وكلامه وحسناته الى الايمان بمخلصه ولهذا السبب حنق عليه اعداء السيد لاسيما ولم يكن لهم الآن حجة ظاهرة على يسوع كما كان لهم من قبل عند ما اتهموه بانتهاك السبت وبانه يساوي نفسه بالله وهو انسان

﴿ في دخول يسوع اورشليم باحتفال وحسد الفريسيين له ﴾

﴿ ١٢ ﴾ وفي الغد لما سمع الجمع الكثير الذين جاءوا الى العيد بأن
سوع يأتي الى أورشليم ﴿ ١٣ ﴾ أخذوا سعف النخل وخرجوا للقائه وهم
صرخون قائلين هو شعنا مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل

خرج يسوع من بيت عنيا يوم الاحد صباحاً ليدخل أورشليم تلبية لطلب من
آمنوا به فانهم أرادوا ان يدخلوه فيها كالسيد العظيم في مدينته وانما قبل يسوع منهم
ذلك لتتم النبوة اولاً ثم لان يوم صلبه قد دنا وأيضاً ليشاهد الفريسيون مجده ويشعروا
بحماقتهم ومكرهم وكذبهم . وقد حمل الناس سعف النخل بالهام من الروح القدس
وجاءوا باولادهم الصغار تكميلاً لما قاله داود النبي : من فم الاطفال والرضعان هيأت
تسبيحاً . والعادة الجارية في تلك الاعصر ان الرعيّة تلاقي ملكها عند ولوجه مدينته
الملكية بسعف النخل وأغصان الزيتون وسائر ضروب الزينة والابتهاج . وفي المعنى
الروحي تدل أغصان الزيتون على الرحمة ويدل النخل على النور الازلي والألوهية
الرفيعة وأيضاً كلاهما مشعر بالانتصار على الموت والشيطان ومذكّر بما وقع من قيامة
البشر بعد ان سطا عليه الفساد . وقرن الشعب المتهلل اعماله بالاعتراف بالفم بان
المسيح مخلص لان هو شعنا تفسيرها المخلص ثم قال : اننا نؤمن بانك فادينا وانك من
الله وباسمه تأتينا وبانك ملك اسرائيل الذي ننتظره ونرجو قدومه بعد ان بشرنا به
انبياؤنا وأعلمونا أن ليس لملكه انقضاء .

﴿ ١٤ ﴾ وان يسوع وجد جحشاً فركبه كما هو مكتوب ﴿ ١٥ ﴾ لاتخافي
يا ابنة صهيون ها ان ملكك يأتيك راكبا على جحش ابن اتان ﴿ ١٦ ﴾
وهذه الاشياء لم يفهمها تلاميذه أولاً ولكن لما مجد يسوع حينئذ تذكروا
ان هذه انما كتبت عنه وانهم عملوها له .

ان الجحش ممثل للشعوب الوثنية التي أضاع رشدها عبادة الاصنام وقد ركبه المخلص اي استراح ما بين هذه الامم لانهم آمنوا به وقبلوه مخلصاً وربا . وانما لم يركب دابة أخرى اولاً حتى يعرفه اليهود انه الملك الذي ذكره زكريا النبي ثانياً ليعلّم التواضع ويخزي كبرياء ابليس اللعين . وكان التلاميذ لا يفقهون في ذاك الزمن المعاني السرية التي ترمز اليها اعمال الشعب وسلوك معلمهم الاّ انه بعد ان صُلب يسوع وقام من بين الاموات وحلّ عليهم الروح المعزّي وبشروا بالانجيل في الخلائق والبلاد تذكروا كل ما جرى وأدركوا معانيه ورموزه وانهم كانوا منقادين الى عمله بقوة الهية تعرف ان تصل الى غاياتها بأمن الطرق وأقواها

﴿ ١٧ ﴾ فشهد له الجمع الذين كانوا معه حين نادى لعازر من القبر وأقامه من بين الاموات ﴿ ١٨ ﴾ ومن أجل هذا استقبله الجمع لانهم سمعوا بأنه قد صنع هذه الآية ﴿ ١٩ ﴾ فقال الفريسيون فيما بينهم انظروا انكم لا تستفيدون شيئاً ها ان العالم قد تبعه

شهادة الجمع لمخلصنا المجيد كان مصدرها اما من النظر واما من السمع لان فريقاً كان قد حضر قيامة لعازر فآمن وفريقاً آخر لم يحضر لكنه سمع رواية الآية من الناظرين فما كذّبهم بل صدّقهم وجرى الى قلبه ما شعروا به من العواطف فبلغ درجتهم في الايمان والاعتراف بيسوع ولذلك اشترك الفريقان في التهاليل والاستقبال الملوكي الحافل الذي أجرياه عند دخوله المدينة . وزد على هذين النوعين من المؤمنين نوعاً آخر من الفريسيين كان صادق المبدأ سليم الضمير يقتنع للدليل الواضح فهؤلاء قالوا لرفاقهم مامعناه : امتنعوا عن بغض يسوع وتجردوا من نياتكم الشريرة وانكم تتعبون باطلاً اذ تحاولون منعه عن عمل الآيات وصدّ الشعب عن اتباعه فان أمره من الله ومن كان أمره من الله يسود في العالم ويتعذر غلبته

﴿ في طلب قوم من اليونان ان يروا يسوع وتنبؤه بموته ﴾

﴿ ٢٠ ﴾ وكان قوم من اليونانيين من الذين صعدوا ليسجدوا في يوم
العيد ﴿ ٢١ ﴾ فاقبل هؤلاء الى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه
قائلين يا سيد نريد أن نرى يسوع ﴿ ٢٢ ﴾ فجاء فيلبس وقال لاندراوس
وأندراوس وفيلبس قالا ليسوع ﴿ ٢٣ ﴾ فأجابهما يسوع وقال قد أتت
الساعة التي يمجد فيها ابن البشر

لما نظرت الشعوب الغريبة تهليل الصبيان والرجال وأخبروا بمعجزات يسوع اشتاقوا الى مشاهدته ولم يتجاسروا على الدنو منه بدون استئذان فتقدموا بالخشوع والتواضع وطلبوا من فيلبس مقابلته ففيلبس توسل الى اندراوس الاكبر منه ان يساعده في تبليغ المعلم مُراد اليونانيين الذين كانوا معدودين من الحنفاء وكلاهما قدّما الطلب خائفين لانه له المجد كان نهى رسله عن ان يمضوا الى الحنفاء فاجاب بما تأويله : قد دنا زمن آلامي وكنت أُتيت اولاً الى اليهود ومنعت تلاميذي عن الذهاب الى الشعوب لئلا ينفر اليهود منا وهم يعدون انفسهم افضل الجميع ولهذا السبب منعتُ النعمة والتبشير عن الحنفاء . لكن اليهود لم يقبلوني وأبوا التوبة عن معاصيهم فسيكونون مرفوضين . وبعد صلبي أجذب اليّ الجميع وآمر التلاميذ بالمضي الى الامم ليعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وبهذا يكون تمجيد ابن البشر

﴿ ٢٤ ﴾ ألحق الحق أقول لكم ان حبة الحنطة التي تقع في الارض
ان لم تمت ﴿ ٢٥ ﴾ فانها تبقى وحدها وان ماتت أتت بثمر كثير . من
احب نفسه فانه يهلكها ومن أبغض نفسه في هذا العالم فانه يحفظها للحياة
الابدية . ﴿ ٢٦ ﴾ ان كان أحد يخدمني فليتبعني وحيث أكون أنا فهناك

يكون خادمي . ان كان أحد يخدمني يكرمه أبي .

شبّه السيد نفسه بحبة الحنطة التي لا تأتي بالثمار الا اذا ماتت في بطن الارض فهو حبة الخلاص التي منها يُصنع خبز الحياة فان لم يمت ويُسلم الى الآلام لا يجذب الناس الى معرفة الثالوث الاقدس وان مات وبقي وحده بالموت جذب الجميع الى ابيه وأيضاً ان حبة الحنطة ان لم تقع في الارض تبقى وحدها وان وقعت أصعدت ساقاً مكالاً بالسنبل وهكذا يكون موت السيد فانه بعد دفنه سيقوم ممجداً مكللاً بالبهاء والعظمة والكرامة . وبعد هذه المقابلة البديعة شرح له المجد مبدأ عظيماً في الحياة الروحية قال ما تفسيره : من أحب شهوات العالم الحاضر فقَد نفسه في الحياة الآتية فان شاء الانسان ان تحيا منه النفس حياة حقيقية دائمة فمن الزامه ان يجردها من محبة هذا العالم ويعتقها من رباطاته اي عليه ان يكبح جماحها ويبغضها بنوع ما فلا يتركها تتبع اللذة والراحة الزمنية بل يصونها عما يدعى في العالم سعادة ويبعدها عن كل تنعم مادي وبعبارة اخرى يلزمه ان يخدم المسيح ويتتلمذ لهُ ويتم لهُ ذلك بالسلوك في طريق الصليب وبعدم التعلق بشيء من امور العالم وبالتلذذ بالآلام وبالتأمل بالروحيات الخالدة وباختصار الكلام بان يضع نفسه حيث معلمه السيد المسيح الذي انما كان دائماً في حياته الزمنية محفوفاً بالفقر والعذاب وممارساً للصلاة والصوم ومحاربة الشرير واعماله . ومن اقتدى به له المجد نال ايضاً محبة الآب وتعزياته والسعادة الابدية والكرامة السامية فيها .

﴿ ٢٧ ﴾ الآن نفسي قد اضطربت . ماذا أقول . يا أبتِ نجني من هذه الساعة . ولكن لاجل هذا بلغت الى هذه الساعة .

انما ترك السيد ان يسود الخوف عليه ليظهر انه انسان متخذ الطبيعة كطبيعتنا قابلة للفزع ثم ليبطل خوف الموت عنّا ومن الاكيد انه رضي باحتمال الخوف لا تكفيراً عنه بل ليعوّض عن اهانة بني البشر . وايضاً ان اضطرابه ناشيء عن قرب حلول

الصلب وعن تأسفه على قساوة اليهود صالبيه فانه جاء لنجاتهم وهم الذين يذيقونه مرّ العذاب وقد طلب له المجد من ابيه ان ينجيه من ساعة الصلب ثم عاد فذكر انه لاجلها جاء الى العالم فعلّمنا انه يخاف من الموت فلا تضعف قلوبنا امام المشقات ولنقتد بمخلصنا في احتمالها وفي مقاساة الموت ايضاً .

﴿ ٢٨ ﴾ يا أبتِ مجد أسمك . فجاء صوت من السماء ان مجدتُ وسأمجد أيضاً .

مطلوب يسوع من ابيه ان يمجد ابنه في ساعة الامه وصلبه كما مجده في بدء الخليقة بالافعال الالهية التي ظهرت بقوتها الكائنات و بواسطة الملائكة الاطهار الذين عرفوه وعبدوه ومن الامور العجيبة ان المسيح نال مجداً في ضعفه ووهنه في الصليب بانت قدرته وأعلن باجلى بيان لاهوته لان الخليقة جمعاء اسفت على صلبه وموته فتزعزعت الارض وانشقت الصخور وحجبت الشمس نورها عن الناس وقامت الموتى من القبور وما كاد السيد يظهر مطلوبه حتى سمع صوت سماوي على شبه ما سمع في الاردن عند عماده وفي جبل طابور عند تجليه ومفاد الصوت : اني فعلاً مجدّت في بدء الخليقة اذ اعلنتك للملائكة ابناً أزلياً لي وسأمجدك وقت صلبك ليعرف البشر انك اكبر من الانبياء وانك مُرسلهم لانك الههم .

﴿ ٢٩ ﴾ فسمع الجمع الذي كان واقفاً فقالوا أنما كان رعد وقال آخرون قد كلمه ملاك ﴿ ٣٠ ﴾ أجاب يسوع وقال ليس من أجلي كان هذا الصوت ولكن من أجلكم .

كان الصوت المسموع ذا نغمة لذيذة ظاهرة الجلاء ليس من العادة سماعها فانقسم الناس في وصفه فمنهم من لم يتنبّه كثيراً الى مضمونه ولم يفهم ما فيه فقال انه رعد ومنهم من علم ان فيه وحياً سامياً لسماعه عبارة التمجيد فقال ان ملاكاً خاطب المعلم . ولازالة

كل شبهة اعلن لهُ المجد ان الصوت الواعد بالتمجيد انما يقصد افهام الحاضرين انه اله وانه رغماً عما يلحقه من الاهانات والعذاب والضعف والصلب فلا يبطل كونه الهاً . فلقلة ايمان الناس اقتضى ان يرسل الأب صوته ليطردوا عنهم الكفر ويتعلقوا بابنه الوحيد المتأنس لخلاص ذرية آدم .

﴿٣١﴾ قد حضرت دينونة هذا العالم الآن يلقى رئيس هـذا العالم خارجاً . ﴿٣٢﴾ وأنا اذا ارتفعت عن الارض جذبت اليّ الجميع ﴿٣٣﴾ وانما قال هذا ليدل على أية ميتة كان مزمعاً أن يموتها .

لما كان سيدنا على اهبة احتمال الصلب شاء ان يخاصم ابليس اللعين فمعنى عبارته: ان الشيطان قتل الانسان منذ البدء اذ حمله على مخالفة شريعة خالقه ثم ابقاه مذنباً تحت سلطانه مدة طويلة. وها الآن يريد قتلي وانا بريء من كل اثم وليس في فمي غش ومكر . فالظلم اذن رائده والاعتداء عليّ غايته ولذلك يثير غضب اليهود على قتلي فيلزمني ان ادينه واحكم عليه لظلمه ـ وقد دعاه رئيس العالم وقال في حقه انه سيلقى خارجاً اي يطرد من مقام سيادته وينفى من مكان ملكه ويسلب منه الملك لانه اغتصبه ظلماً وبدون شبهة حقّ ثم يستولي السيد عينه على هذا الملك وان سألت ما طريقة المحاكمة والاستيلاء قلتُ : ان سيدنا يحاكمه باحتماله الصليب وعذابه . ومن اعلى الصليب ايضاً يستولي على قلوب البشر وعقولهم فيأتون اليه ويتخذونه سيدهم وربهم ومعلمهم ويتجردون من عبادة الاوثان ويؤمنون الايمان الصحيح . فافهم اذن بالارتفاع عن الارض تعليق يسوع على خشبة الصليب ثم قيامته من بين الاموات وصعوده الى المجد السماوي .

﴿ ٣٤ ﴾ فأجابه الجمع قد سمعنا من الناموس أنّ المسيح يدوم الى الابد فكيف تقول أنت انه ينبغي أن يرتفع ابن البشر . ﴿ ٣٥ ﴾ فقال لهم يسوع ان النور يبقى معكم زماناً يسيراً فسيروا ما دام النور معكم لئلا يدرككم الظلام

لأن الذي يمشي في الظلام لا يدري أين يتوجه . ﴿ ٣٦ ﴾ ما دام النور معكم
آمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور . قال يسوع هذا ثم مضى وتوارى عنهم .

أدرك السامعون ما رمى سيدنا اليه فاعترضوا بقولهم : ان المسيح يدوم الى الابد
ان كنت حقاً المسيح فكيف ترتفع عنا وتتركنا وما معنى ابن البشر الذي تذكره في
خطابك . وكان قصد المعترضين افهامه انه ليس بالمسيح ولو تدبروا معنى مقاله لرأوا
انه اعلمهم بقاءه الى الابد عند ما قال عن نفسه في حال ارتفاعه انه يجذب اليه الجميع
وكيف يجذبهم ان لم يكن حياً دائماً الى الابد وما أخبثهم وأشرهم فانهم عرفوا بدوام
مملكة المسيح واعترضوا بها ولم يريدوا ان يقرّوا بان المسيح عينه يتألم كما تنبأ أشعيا
وبان يديه ورجليه سيثقبهما المنافقون كما قال داود وبانه يقوم من القبر في اليوم الثالث
لدفنه كما ذكر هوشع . وقد شاء أيضاً سيدنا تعليمهم باللين والرقة ليهديهم الى الصواب
فقال ما تأويله : ان نور الشمس اذا غاب مدةً لا يُعد متلاشياً بل يرجع ويشرق
في محل غيابه كذلك موتي يكون غياباً لمدة وجيزة ثم أعود فأشرق عليكم وأمنح الحياة
سيروا على نوري اي آمنوا بي وارجعوا عن غيكم وان كنتم ترفضون السير على نوري
تمشون في الظلام اي لا تؤمنون بي فانكم لا تعرفون الى اين تذهبون وما معنى الحياة
الزمنية . وها الآن نور بشارتي ظاهر وارغب في تخليصكم من ظلام حفظ الناموس
آمنوا بي أنا النور لتكونوا من أبنائي . فبهذه العبارات الجلية اثبت له المجد كونه اله
ولما سمع اليهود الاشرار تسميته نفسه بالنور حتى زاد غضبهم وكادت آثاره المهلكة
تبدو فاختفى سيدنا عن أعينهم تهدئة لحنقهم الى الوقت الذي عيّنه لاحتمال
الآلام والصلب .

﴿ في عدم ايمان اليهود حسب نبوءة أشعيا ﴾

﴿ ٣٧ ﴾ واذ كان قد صنع أمامهم مثل تلك الآيات لم يؤمنوا به
﴿ ٣٨ ﴾ ليتمّ قول أشعيا النبي الذي قاله يارب من آمن بما سمع منا ولمن

أعلنت ذراع الرب . ﴿ ٣٩ ﴾ ومن أجل هذا لم يقدروا أن يؤمنوا لان أشعيا قال أيضاً ﴿ ٤٠ ﴾ أعمى عيونهم وقسى قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم . ﴿ ٤١ ﴾ قال أشعيا هذا لما رأى مجده وتكلم عنه .

ان عدم ايمان اليهود بالسيد المسيح وبآياته ليس سببه نبوة أشعيا . كلاّ . بل ان أشعيا نظر من قبل عدم طاعتهم ورفضهم الايمان فقال عنهم ما نظر . ولما أظهروا هم بالفعل هذه العيوب الفاضحة تمّ ماأخبر به النبي فعدم ايمانهم انما علّته خبثهم الاختياري وشرّ ارادتهم وحريتهم وما كان اشعيا الاّ واصفاً لوقاحتهم ومن اقواله مامفاده: من من الكهنة آمن فقد أعلنت لهم ذراع الرب اي قوته في اجتراحه المعجزات الباهرات وهم لم يريدوا الايمان ولم يقدروا عليه لان حريتهم ترفضه وأمست عيونهم عمياء باختيارهم فلا ينظرون الى الحق والصواب ودخلت الشهوات قلوبهم وذلك باختيارهم ايضاً فقست وبعدت عن ادراك الصحيح . ورب معترض يقول :كان المسيح عارفاً بانهم لا يصغوا له لا سيما وان الانبياء بيّنوا عدم طاعتهم فلماذا جاء اليهم اولاً ؟ فالجواب انه شاء قطع حجتهم ومنعهم عن ان يقولوا : لو أتانا لسمعنا كلامه وعملنا بأمره ولو عمل عندنا العجائب لآمنا به وخضعنا لتعاليمه . وزاد الانجيلي ان كلام أشعيا هذا انما قاله بروح النبوة وهو مشاهد مجد المسيح على الصليب لانه وصفه باسطاً يديه نحو الشعب المغرور . وهذا ما أثبته القديس كيرلس ايضاً . ومن أقوال اشعيا انه نظر الرب جالساً على الكرسي والسارافيم يقدسونه ومن ثم ترى ان الخاقيدونيين عند ما يصعدون التقديسات الثلاث للثالوث الاقدس يخالفون اشعيا الذي انما نظر السارافيم يصعدونها للابن لا لغيره .

﴿ ٤٢ ﴾ ومع هذا فان كثيراً من الرؤساء ايضاً آمنوا به لكنهم من أجل الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يخرجوا من المجمع ﴿ ٤٣ ﴾ لانهم أحبوا مجد الناس على مجد الله .

ان هؤلاء الرؤساء كانوا عبيد شهواتهم اذ انهم رأوا آيات يسوع وسمعوا كلامه
الصحيح وتعاليمه الطاهرة ومع ذلك اخفوا الحق وخافوا من اعلانه اما حباً بالمجد الباطل
الذي يأتيهم من مقاماتهم واما خوفاً من غضب الفريسيين الماكرين الذين كانوا مستعدين
لان يطردوا من بينهم ومن مجمعهم كل من جاهر بالايمان بيسوع . ومن يؤمن بقلبه
ولا يعترف بلسانه بمعتقده فهو مفضل لمجد الناس على مجد الله ومحب للكرامة البشرية
والخير الدينوي اكثر من السعادة الابدية والخير السماوي الثابت .

﴿ في وجوب الايمان بيسوع ﴾

﴿ ٤٤ ﴾ فصاح يسوع وقال من آمن بي فليس بي يؤمن بل بالذي
أرسلني ﴿ ٤٥ ﴾ ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني ﴿ ٤٦ ﴾ أنا النور قد
جئت الى العالم حتى ان كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلام

اراد يسوع ان يحمل الرؤساء على عدم الخوف بالايمان به وعلى المجاهرة باتباعه
فقال من آمن بي واتبعني يكون مؤمناً بالآب ومتبعه اذ اني والآب واحد ومن
شاهدني وشاهد أعمالي فانه مشاهد للآب وأعماله لاننا واحد . أنا النور الدائم اردّ
من في الظلمة و بغير معرفة الى النور والمعرفة . وأعني بالظلمة ناموس الشريعة العتيقة
لان مرسوماتها غامضة وكان متبعوها سالكين في الابهام ولما كان الانسان من ذات
طبعه محباً للنور سمى نفسه نوراً وأعلن ان غايته من مجيئه الى العالم ازالة ظلام الضلالة
السائدة في الضمائر والعقول ثم وعد من يؤمن به بالنجاة من هذا الظلام الحالك

﴿ ٤٧ ﴾ وان كان أحد يسمع أقوالي ولا يحفظها فأنا لا أدينه لأني
لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم . ﴿ ٤٨ ﴾ من رذلني ولم يقبل أقوالي
فله من يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الأخير .
﴿ ٤٩ ﴾ لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني

الوصية بما أقول وبما أنطق . ﴿ ٥٠ ﴾ وأعلم أن وصيته هي حياة أبدية والذي أتكلم به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم به .

اشترط مخلصنا أولا حفظ مرسوماته للاستفادة من حسنات مجيئه و بين ان سماع اقواله لا يكفي ان كان المرء لا يعمل بموجبها . ثم قال انا لا أدين من لا يعمل باقوالي ولا يحفظها في افعاله . وكأن السامعين اعترضوا قائلين : ان كنت لا تدين وقد قلت سابقاً ان الآب لا يدين احداً فمن يتولى الدينونة اذن ؟ أجاب له المجد : ان كلامي يكون في موضع الديان اذ ان للانسان ضميراً يبكّته على عدم اتباعه الحق ومتى عرف الانسان كلامي وأمري ثم أعلنه ضميره انه لم يتممهما كان ذلك دينونةً عليه . وأنهى سيدنا خطابه بتقرير هذه القضية الكبرى المعلنة لاهوته والداعية باقوى الاسباب الى الايمان به واتباعه وهي . ان كلامي هو كلام أبي عينه فان كنتم تؤمنون حقاً بالآب كما تدّعون فمن باب الضرورة آمنوا بي واحفظوا وصاياي واسمعوا نصائحي واجروا بها ولاشوا من قلوبكم كل ارتيـاب في تعليمي وتجرّدوا من كل غضب في حقي لاني والآب واحد

الاصحاح الثالث عشر

﴿ في غسل يسوع ارجل تلاميذه ﴾

﴿ ١ ﴾ وقبل عيد الفصح لما كان يسوع يعلم أن ساعته قد اتت لينتقل من هـذا العالم الى الآب وكان قد احب خاصته الذين في العالم احبهم الى الغاية .

لاحظ اولاً ان السيد لم يعرف معرفة جديدة دنوّ ساعته بل كان عالماً بكل شيء وهو الله عينه وانما أراد الانجيلي الدلالة على قرب أجله المقرّر منذ الازل لديه وعلى كل تدابيره كلها التي شاء اجراءها قبل عذابه وصلبه . ومن هنا تعلم انه لهُ المجد أسلم نفسه

وت باختياره التام ثانياً ان الانتقال من العالم يعني الموت على الصليب وقيامة الفادي لحسد من القبر وكان قد فسرّ ذلك لتلاميذه ليربطهم بأشد الوثاقات بمحبته. ثالثاً ان اصتّه الذين أحبهم ثابت المحبة هم تلاميذه الصديقون فضلاً عن ان من خاصته ضاً جميع آباء العهد القديم كابراهيم واسحق ويعقوب وسائر الابرار الذين رقدوا لى رجائه

﴿ ٢ ﴾ فحين كان العشاء وقد ألقى ابليس في قلب يهوذا بن سمعان لاسخريوطي أن يسلمه .

قال موسى ابن الحجر ان العشاء هو الفصح الذي جرت عادة اليهود بصنعه حسب وسهم وقد أعدّه السيد أيضاً إتماماً لمرسوم الناموس عينه . وقال فريق آخر ان سوع أكل الفصح مع تلاميذه وكلهم واقفون وبعد تكميله غَسلَ الإرجل في زمن لعشاء وقال ايبوليطس انه له المجد ما ذبح كبشاً مثل موسى بل تناول خبزاً لا غير ونقل لاميذه من العادة القديمة الى أخرى ومقصده ان يفهمهم انه سيُذبح هو عينه عوض لجميع ويتمم ما يرمز اليه الكبش وذبحه وأكله . ثم ان الانجيلي وصف لنا يهوذا قاءان اولاً سيادة ابليس في قلبه وما وضعه من الشرّ وذكر ثانياً نسبته الى أبيه سمعان تمييزه عن يهوذا الآخر الرسول وسمى ثالثاً قريته اسخريوط التي أمست مكروهة لما تعلّق على اسمها من العار والفضيحة

﴿ ٣ ﴾ اذ كان يسوع يعلم ان الآب جعل الكل في يديه وأنه من الله خرج والى الله يمضي . ﴿ ٤ ﴾ قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منديلاً وأتزر به .

أعني بخروج يسوع من الله ولادته الطبيعية من الآب في الأزل وهذه عادة

الكتاب المنزل ان يعبر عن الولادة بالخروج فيقول مثلاً خرج سبعون نفساً من ظهر اسرائيل . وأعني بمضيه الى الله رجوعه اليه كالنور الى الشمس أو الشعاع الى النور أو الكلمة الى العقل . وقال موسى ابن الحجر في معنى خلع السيد لثيابه وأخذه المنديل انه له المجد بعد أكله الفصح الناموسي وتكميله شهوته طبقاً لقوله الكريم : شهوة اشتهيت ان آكل هذا الفصح معكم بينما كان تلاميذه في مجالسهم قام كالعبد وخلع ثيابه مظهراً عظيم وداعته وكبير عنايته بما يؤول الى تقديس تلاميذه ثم كالخادم أخذ منديلاً وأتزر به

﴿ ٥ ﴾ ثم صبّ ماء في مطهرة وأخذ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنديل الذي كان مؤتزراً به .

صبّ السيد بنفسه الماء في المطهرة ولم يكاف آخر بهذا العمل ليقدّم لنا مثال التواضع العميق نحو أخينا الانسان ثم غسل أرجل رسله تطهيراً لها مما علق بها من الادناس عند سعيها نحو شجرة معرفة الخير والشر وميلها عن طريق النور وتقوية لها على ان تدوس رأس التنين الجهمني المفسد للعقول والقلوب وعلى ان تسرع الى التبشير بالايمان الصحيح والى الكرازة بالانجيل . ومن الاكيد انه له المجد غسل أيضاً رجلي يهوذا ليدعوه بهذا التواضع الى الخجل من آثامه ويقطع عنه كل حجة يستخدمها لتبرير نفسه من الخيانة بسبب تسايمه السيد المسيح . ومن يهوذا انتقل الى سمعان وبعد ان سمع التلاميذ ما قاله لهذا الرسول من انه ان لم أغسلك فلا يكون لك نصيب معي سكتوا وما مانعوا في غسل أرجلهم لئلا يفوتهم نصيب من هبات معلمهم . وكان لاسمه السجود يمسح الارجل بعد غسلها بالمنديل الذي عليه رمزاً الى ما كان يصنعه في باطنهم من تبييض نفوسهم من أدناسها .

﴿ ٦ ﴾ فتقدمَ الى سمعان بطرس فقال له سمعان أأنت يارب تغسل رجلي . ﴿ ٧ ﴾ أجاب يسوع وقال له ان الذي أصنعه أنا لا تعرفه أنت

الآن ولكنك ستعرفه فيما بعد . ﴿ ٨ ﴾ فقال له بطرس لن تغسل رجلي أبداً . أجابه يسوع ان لم أغسلك فليس لك نصيب معي . ﴿ ٩ ﴾ قال له سمعان بطرس يارب لا تغسل رجليّ فقط بل يديّ ورأسي أيضاً .

شاهد بطرس ان الذي تنحني أمامه الكروبيّون رهبةً ينحني امام الارضيين الاذلاّء فعظم لديه الامر وأبى اولاً ان يغتسل ظاناً منه ان بذلك يبدي ضروب محبته لسيده فأعلمه يسوع ان رفضه هذا صادر عن جهل وقال ما مفاده : الاعمال التي أجريها لافادتكم لا تقدرون على فهمها الآن لكني سأعطيكم بعد قيامتي الروح القدس فينير عقولكم وتدركون الاسرار الخفية . ومع ذلك لم يقتنع بطرس وأثبت جازماً انه لا يطاوع السيد في عمله لانه لا يليق ان يترك العبد الحقير سيده يغسل له رجليه . فاذ سمع الفادي كلام الرفض قال له ما تأويله انك لا تريد ان تكون شريكاً لي في ملكي وتأبى ان ينالك قسم من هباتي . فحزن بطرس اذ ذاك وخاف على نصيبه مع المسيح ان يفقد فطلب صيانته وزيادته لانه لم يرضَ فقط بغسل رجليه بل ألحّ في ان تغسل يداه ورأسه أيضاً لاعتقاده ان ذلك يزيده تقرّباً من معلمه فما أبدع محبة هذا التلميذ وما اشدّ تمسكه بالطاف السيد والطاعة له .

﴿ ١٠ ﴾ قال له يسوع ان الذي قد اغتسل لا يحتاج الا الى غسل الأرجل لأنه كله نقي وأنتم انقياء ولكن لا جميعكم . ﴿ ١١ ﴾ لأنه كان عارفاً بالذي سلمه ولذلك قال لستم جميعكم انقياء .

لم يُرد سيدنا بالاغتسال المعمودية لان الروح القدس لم يكن قد نزل على الرسل ولم يكن اذ ذاك المعمودية واجبة بل كنى بالاغتسال عن الايمان به فيكون معنى عبارته ان من آمن بي انما يحتاج لا غير الى غسل الارجل اي الى التجرد من الارتياب في ومن الظن اني انسان محض وأنتم بعد الايمان بي أصبحتم أنقياء لان ايمانكم طهّركم

الاّ انه قد يعلق بكم بعض الشك في كوني الهاً فمن هذا الشك أخلّصكم برتبة غسل الارجل . واشلا يظن يهوذا ان سيدنا غير عارف به وبما ينويه من الخيانة زاد قائلاً : أنتم قبلتم كلمتي وآمنتم بي اني نور ومضيء العقول فلذلك خرجتم من ظلام الدنس والجهل لكن لا كلكم لان منكم من هو باقٍ دنس وممتلئ غشاً . وبذلك أشار الى يهوذا

﴿ في خطاب يسوع ونبوّته بخيانة يهوذا ﴾

﴿ ١٢ ﴾ وبعد ان غسل أرجلهم واخذ ثيابه واتكأ قال لهم أعلمتم ما صنعت بكم . ﴿ ١٣ ﴾ انتم تدعوني معلماً ورباً حسناً تقولون لأني كذلك . ﴿ ١٤ ﴾ فاذا كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت ارجلكم فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم أرجل بعض ﴿ ١٥ ﴾ لأني أعطيتكم قدوةً حتى انكم كما صنعت أنا بكم تصنعون انتم ايضاً . ﴿ ١٦ ﴾ ألحق الحق أقول لكم ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم من مرسله . ﴿ ١٧ ﴾ فاذا عرفتم هذا فالطوبى لكم اذا عملتم به .

بعد لبسه ثيابه عاد الى موضعه في صدر المجلس لانه كبير الحاضرين ووجّه خطابه الى الجميع لا الى فرد وقال ما معناه : ضميركم يشهد لي باني معلماً ورباً حقاً فانا أثبت شهادتكم وأعلنها خالية من كل ريب او ضلال . وقد انحنيت امامكم وخدمتكم خدمة العبد لسيده فاخدموا بعضكم بعضاً على هذه الطريقة عينها . فمثله له المجد مثل معلم يدرب تلميذه على الكتابة فيعطيه خطاً من يده ثم يطلب منه نسخة بالدقة والضبط فمن يتجاسر بعد ذلك على احتقار غيره ورذل قريبه فليتأمل بكلام السيد وليخف من عدم محبته القريب

﴿ ١٨ ﴾ ولا اقول هذا عن جميعكم فاني عارف بمن اخترت ولكن ليتم ما كُتب ان الذي اكل الخبز معي هو رفع عليّ عقبه. ﴿ ١٩ ﴾ اقول هذا

لكم الآن قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون اني انا هو ٠

اراد سيدنا تعليم تلاميذه انه عالم بحالهم وبمن يسلمه فراجع الامر بطرق مختلفة ومن هذه الطرق انه اختارهم من قبل انشاء العالم وقبل ان يأتوا اليه وبالتالي عرف حالهم حق المعرفة وان الذي يسلمه قد صدرت النبؤة به وقيل عنه في المزمور ٤١ انه يأكل معه الخبز ثم يرفع عليه عقبه اي يخونه ويرضى بقتله . ومن المستغرب ان رغماً عن جميع هذه الاقوال لم يرعوِ يهوذا عن غيه ولم يندم ولم يظهر ادنى كره لفعلته التي نوى لتنفيذها فبحق قيل عنه ان كان في زمن المسيح شر الناس وأخبثهم وأرذلهم وقد أشترك بعمل العجائب وبغسل الارجل وبتناول الاسرار وما زادته هذه الامور الاّ طغياناً وتمرداً .

﴿ ٢٠ ﴾ ألحق الحق أقول لكم ان الذي يقبل من أرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني ﴿ ٢١ ﴾ ولما قال يسوع هذا اضطرب في الروح وشهد وقال الحقّ الحقّ أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمني .

بعد ان أعدّ مخلصنا رسله الى الاقتداء به واحتمال المصائب والتمسك بالتواضع واوصاهم ألاّ يضجروا وتسأم نفوسهم من الكرازة بالانجيل شاء ان يعلمهم بشرف حالتهم وان يشجع الشعب المؤمن على ان يقبلهم بالاكرام والتعظيم والمحبة فقال : من يقبلكم يكن قد قبلني ومن يقبلني يكن قد قبل ابي الذي ارسلني لخلاص البشر . وان يهوذا سمع هذا الكلام فما أثر فيه أيضاً ولا اشتهى ان يكون حائزاً على مثل اكرام تمثيل الآب والابن أمام بني البشر ومن كانت ارادته راسخة في الشرّ ومتأصلة في اعماق الدنس فلا يهديه شيء بل هو ابن الهلاك . فسيدنا ناله الاضطراب من شر تلميذه فانه له المجد يبدي نحوه حباً عظيماً وهو الكافر بآلاء سيده لايضطرب ولا يهوله هلاكه وزاد مخلصه كلامه ايضاحاً فألقى الخوف على جميع تلاميذه بقوله لهم : ان واحداً منكم سيسلمني .

﴿ ٢٢ ﴾ فنظر التلاميذ بعضهم الى بعض وهم متحيرون فيمن يقول عنه . ﴿ ٢٣ ﴾ وكان احد التلاميذ متكئاً على حضن يسوع وهو الذي كان يسوع يحبه . ﴿ ٢٤ ﴾ فأومأ اليه سمعان بطرس وقال له سَلْ من الذي يقول عنه .

لمّا لم يميز يسوع مسلمه باسمه سطا الخوف والحيرة على الكل فحاولوا النجاة منها . وكان يوحنا الانجيلي جالساً على شمال السيد ومتكئاً رأسه على صدره من جهة قلبه وسمعان في يمينه ويسوع في رأس المائدة والرسل الباقون محيطون بها . ومن عادة بطرس ان يتكلم بجرأة الاّ انه خاف في تلك الساعة وكان متأثراً مما سبق عندما انتهر سيدنا ودعاه شيطاناً ثم عند ما لامه بسبب رفضه غسل رجليه وايضاً كان شديد المحبة نحو معلمه فما قاده قلبه الى ان يخاطبه في موضوع خيانة بالغة وربما ناله خوفٌ من ان يكون هو بعينه الخائن فلهذه الاسباب لم يستعلم الا بواسطة يوحنا فاشار اليه أن سله عن اسم مسلمه ليرتاح بالنا مما ساد عليه من الرعبة والكدر

﴿ ٢٥ ﴾ فاستند ذاك الى صدر يسوع وقال له ربُ من هو .

غيّر يوحنا جلوسه وحوّل كل وجهه الى يسوع وأسرّ اليه في اذنه قصد ألاّ يسمع الحاضرون السؤال والجواب وهذا معنى استناده الى صدر يسوع . وكانت محبة يوحنا ليسوع محبة ابن عزيز لابيه فلا يعرف فيها ما الرثاء وبسبب صفاء نفسه وطهر فكره ورقة عواطفه واستقامة ضميره أذن له يسوع بدالة كبرى فكان يتركه يتكئ على حضنه ويسمع خفقان قلبه . وما اثارت هذه الحالة شيئاً من الحسد في قلوب سائر الرسل ولا عاطفة تكبر في يوحنا عينه . قال القديس يعقوب السروجي . ان الرسل والسيد المسيح كالجسم فهم الاعضاء وهو الرأس ويوحنا كقلب رفاقه اجمعين ومنه طلب سمعان بطرس في العشاء السري ان يسأل يسوع عن اسم من يسلمه وقد فعل بصواب لان يوحنا موضوع على قلب السيد . ومن القلب تخرج الاسرار وتكشف الخفيّات فيطلع عليها

الغير . ومن اقوال القديس عينه : ان مخلصنا حمل الخليقة الناطقة في صدره لنعلم انها جميلة بهيّة قبل ان يدنسها تجاوز المعصية . وذاك الجمال عينه وذاك النقاء نفسه الذي زين طبيعة آدم قبل معصيته كان في يوحنا ولهذا السبب حمله سيدنا على صدره . ويوحنا لم يمد يداً الى الشجرة المحرمة ولم يقطف منها ثمرة الشهوة فاستحقّ ان يكون محمولاً على شجرة الحياة وان يكون حبيب يسوع فلنفقه اذن ما فضل فضيلة الطهر وما ثمنها في عيني الرب

﴿ ٢٦ ﴾ فأجاب يسوع هو الذي أغمس لقمةً وأناوله وغمس لُقمة وناولها ليهوذا ابن سمعان الاسخريوطي . ﴿ ٢٧ ﴾ وبعد اللقمة دخل فيه الشيطان فقال له يسوع ما أنت صانعه فاصنعه عاجلاً .

ان سيدنا أسرّ الجواب في أذن يوحنا الذي سمعه وحده وأمّن سائر الرسل المضطربين ثم ان سيدنا غمس خبزاً يابساً في الماء وأعطاه الاسخريوطي . قال لعازر البغدادي ان هذا الخبز كان فطيراً ونخالفه في هذا الرأي لان الفطير لا يسمى خبزاً بل انما يدعى الخمير لا غير خبزاً وكان الخمير كثيراً اذ ذاك في اورشليم لوجود جماهير من الرومان واليونان وغير اليهود لا يأكلون سوى الخمير . اما يهوذا فما تناول اللقمة حتى استولى الشيطان على قلبه كل الاستيلاء وكان من قبل غير ظاهر انه يكون المسلم فلما ميزه يسوع عمن سواه عرف ابليس فريسته معرفة تأكيد ووضع يده عليها ولما رأى يسوع ان الخائن لا يرعوي قال له بطريق التعبير : ما نويته من الشر فكمله باختيارك واني محتمل الصلب والاعذبة لفداء البشر أما انت فلا تريد الشفاء

﴿ ٢٨ ﴾ ولم يعلم احد من المتكئين لماذا قال له ذلك . ﴿ ٢٩ ﴾ فظن بعضهم اذ كان الكيس عند يهوذا أن يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد او أمره ان يعطي المساكين شيئاً . ﴿ ٣٠ ﴾ اما ذاك فلما تناول اللقمة

خرج للوقت وكان ليل .

كانت قلوب الرسل طاهرة بعيدة عن الغش فما فكروا سوءاً في يهوذا لان من يتجنب الشر ويكرهه يصعب عليه كل الصعوبة النهوض لمباشرته وايضاً لا يصدّق ان غيره من المتأصلين في الشرّ يأتونه باختيارهم التام . ولهذا المعنى اعتقد بعض الرسل ان سيدنا انما يأذن للخائن بشراء ما يحتاجون اليه في العيد او بالاحسان على المساكين . ومن ثم نرى صدق ما قلناه من ان جواب السيد ليوحنا كان سراً لان التلاميذ لو سمعوه لعرفوا معنى عبارة المسيح او في الاقل لكان بطرس استل مديته وقتل في حدّة غضبه الاسخريوطي الشرير . اما هذا فلم يبالِ بشيءٍ بل كان غارقاً في التفكر باعمال مظلمة فخرج بعد أكله اللقمة في ظلام الليل وليس غير الظلام رفيقاً للظالمين

﴿ ٣١ ﴾ فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن البشر وتمجد الله فيه .

بعد خروج الخائن شرع السيد يعلم تلاميذه فاخذ يعزيهم ويشجعهم طالباً ان يفرحوا لان تدبيره قريب الكمال . وسمى صلبه تمجيداً لان به ظهرت المعجزات الخارقة وأيدت ان القائم مسمراً على الصليب هو اله البشر والكون اجمع . ثم بقوله : الآن تمجد . اشار الى رسم سرّ جسده ودمه ومنحهما الرسل مأكلاً ومشرباً فقد ذبح نفسه بتقدمته ذاته غذاء وكان ذلك بملءِ اختياره كما انه عما قريب بملءِ اختياره سيقدم نفسه بايدي اليهود للصلب وتساءل كيف تمجد الله الآب في الابن؟ أجيب ان الآب يتمجد باعمال ابنه ثم ان ابنه عرف البشر اسمه انه الاله الحقيقي الخالق والضابط لكل شيءٍ . ولو ان الانبياء أعلنوا ما الله ودعوه جباراً قوياً الاّ انهم لم يذكروا للعالم سر الثالوث الاقدس ذكراً جلياً كما فعل السيد المسيح اذ علمنا ان له اباً وانه ابن مساوٍ لهذا الآب في الذات والجوهر وان من رآه رأى الآب للوحدة بينهما في الطبيعة وان الروح المعزّي سيهبط بعد صعوده الى السماء على رسله وتلاميذه ليقوّيهم وينيرهم . فبهذا التعليم مجد أباه تمجيداً سامياً وقد ذكرنا فيما مضى كيف ان أباه مجده عند تفسيرنا الآية ٢٨ من الفصل ١٢

﴿٣٢﴾ فان كان الله قد تمجد فيه فالله يمجده في ذاته وسريعاً يمجده .

ان الآب هو العلة للابن وليس الابن كذلك لذلك تمجدّ الآب في ابنه اما تمجيده لابنه فانما يكونه في ذاته . وما يفهم بالتمجيد السريع ؟ هو التمجيد بالصلب على الخشبة اي ان الآب يمجدّ ابنه عمّا قريب بالصلب فالخشبة تصير حاملة لاقنوم الابن كما حملته ايضاً احشاء البتول وكما ان ولادة الابن الزمنية العجيبة من عذراء تدلّ على لاهوته وقدرته الخارقة كذلك صلبه وموته على الخشبة سيدلاّن على عظمته ويمجدّانه بما يحفّ بهما من المعجزات . وايضاً قصد اليهود بصلب السيد على خشبة العار ان يشبهوه بالمجرمين الكبار المستوجبة اعمالهم الخزي والاحتقار ولهذا السبب ايضاً صلبوا معه لصين دنيين حقيرين اما الله الآب فحوّل عملهم مجداً لابنه اذ جعل الصليب علامة نصر وافتخار ودلالة شرف وعظمة يتطلبها عظماء الارض وسلاطين الامم . فابنه اذن مجّده باعماله في حياته الزمنية وشهر اسمه وعلمه الناس بحيث لم يحصل للآب مجد خارجي من أحد عبيده في العهدين العتيق والجديد مثلما حصل له من ابنه فهو مجّده في ذاته اذ ولده منذ الازل ثم مجده على الصليب وكان ذلك بالآيات التي وقعت في السماوات والارضين لان الصليب منح التجديد للمنظورين وغير المنظورين من الخلائق وبه زالت الاشكال والاشباه المستعملة في العهد القديم وعقبها النور والحق وبسبب موت يسوع عليه أظلمت الشمس وتزلزلت الارض وتشققت الصخور وقامت اجساد كثير من الموتى وصار الموت عينه حياةً والضربُ على الخدّ عتقاً وحريةً وا كليلُ الشوك فخراً مزيلاً للذل واللعنة واصبحت الاهانة كرامة والقصبة ماحية صك ذنوبنا وآثامنا وجعل الرمح كأنه بيد كروبي يدافع به عنا . والخل كأس حياة وسعادة والهبوط الى الهاوية صعوداً الى اعالي السماء والدفن في القبر قيامة مجيدة .

﴿ ٣٣ ﴾ يا أولادي أنا معكم زماناً قليلاً وستطلبوني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم ان تأتوا كذلك أقول لكم الآن .

اشار مخلصنا الى قرب حلول آلامه وكان قد قال لليهود : ستطلبوني ولا تجدوني لانهم ما رأوه بعد موته وقيامته . اما لتلاميذه فلم يقل : لا تجدوني لانهم شاهدوه بعد قيامته وقد دعاهم باسم اولاده لئلا يظنوا انه يساويهم باليهود وليسلي قلوبهم الكئيبة وهو مثل الأب المسافر يجمع اولاده ويعطيهم توصياته ويتودد اليهم كثيراً . فيسوع بعد قليل من الزمن يمضي الى الصلب ثم الى القبر لكن موته ودفنه هما انتقال مفيد . اما تلاميذه الذين هم خاصته فلا يقدرون الآن على احتمال ما سيحتمله بل انهم هربوا في وقت آلامه وما رضوا بمقاساة الموت وما صبروا على الاضطهاد والمصائب الا بعد قيامته ونزول الروح عليهم .

﴿ ٣٤ ﴾ اني أعطيكم وصيةً جديدةً أن يُحب بعضكم بعضاً وأن يكون حبكم بعضكم لبعض كما أحببتكم أنا ﴿ ٣٥ ﴾ وبهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي اذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً .

بعد ان كمل مخلصنا المرسومات القديمة أخذ يسن الشرائع الجديدة لعهده المبارك فرسم اولاً سر جسده الطاهر واعطاه الناس مأكلاً به يحيون ثم عمّا قليل سيبذل دمه وكل ذلك حباً بنا فكانت اذن المحبة الداعي الاول الى عمله الخلاصي وهي التي يفرضها الآن شريعة ثابتة جديدة بالمقابلة الى ناموس موسى القاضي بالعين عوض العين وبالسن عوض السن . وان قلتَ ان الشريعة العتيقة رسمت هذه الوصية : احبب قريبك كنفسك . فما فضل وصية السيد عليها ؟ اجبت ان وصية السيد له المجد تفرض ان نحب قريبنا وخيره الروحي اكثر من نفسنا وخيرنا المادي وان نحب اعداءنا ومبغضينا ايضاً . وقد فرضها هنا يسوع علامة مميزة لخاصته تربطهم بعضهم ببعض ليكونوا اقوياء غير متزعزعين بالخصومات والقلاقل وتعلن شرفهم وكرامتهم لان المحبة اشرف من العجائب والنبوات .

﴿ نبوة يسوع بسقوط بطرس ﴾

﴿ ٣٦ ﴾ قال له سمعان بطرس ألى أين تذهب يارب . أجاب يسوع
حيث أذهب أنا لا تقدر أن تتبعني الآن لكنك ستتبعني بعد حين .
﴿ ٣٧ ﴾ فقال له بطرس لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن اني أبذل
نفسي عنك .

كان بطرس معروف بشدة محبته ليسوع فاذ سمعه يودعهم طلب منه ان يمضي معه وألا يفارقه فاجابه السيد مظهراً له عدم امكانه الان من اتباعه وتحقيق شهوته . فلم يقتنع الرسول بهذا الجواب وألح في الطلب ووصل الى ان قال انه مستعد لبذل نفسه عن سيده وكأن سيدنا شاء معاقبته على جسارته وعدم طاعته فقال ما مؤداه: قلت لك انك غير قادر على اتباعي فتجيب بانك قادر فاذن آتركك في ضعفك وتجربتك لتعرف ان محبتك لي ليست شيئاً بدون مساعدة نعمتي — ومن ثم يظهر ان سقوط الرسول كان بتخلي عناية الله عنه .

﴿ ٣٨ ﴾ أجابه يسوع أأنت تبذل نفسك عني ألحق الحق أقول لك
أنه لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات .

كثيراً ما نبه يسوع تلاميذه الى الابتعاد عن المجد الباطل والافتخار الكاذب وحرضهم على ان يعترفوا دائماً امام الله وامام ضميرهم بضعفهم المفرط وان يطلبوا بتواصل عون النعمة الالهية لان طبيعة الانسان واهنة في ذاتها وان لم تسندها يد السماء فانها تقع في المعاصي وتختبر ما اكثر عيوبها وأشد نقصانها . ولما كان بطرس متكلاً على ذاته أذن تعالى بسقوطه ثلاث مرات في زمن وجيز فبذلك عرف ضعفه واخذ يحترس من قواه الشخصية .

الاصحاح الرابع عشر

﴿ في الخطاب الذي عزى به يسوع رسله عن فراقه ﴾

(فقد وعدهم باعداد مكان لهم في بيت ابيه وبان كل ما يسألون الاب باسمه فهو يفعله)

﴿ ١ ﴾ لا تضطرب قلوبكم انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي ايضاً. ﴿ ٢ ﴾ ان في بيت ابي منازل كثيرة والا لقلت لكم فاني منطلق لأعد لكم مكاناً. ﴿ ٣ ﴾ واذا انطلقت وأعددت لكم مكاناً آتي وآخذكم اليّ لتكونوا انتم حيث اكون انا.

لما كان يسوع الهاً عرف ما في نفوس رسله من افكار القلق فشرع يعزيهم باحسن المواعيد التي تمت كلها في اوانها. وقد بين لهم اولاً ان الايمان بالله وبه واحد وبالتالي اعلمهم ان هذا الايمان اذا احتموا به كان لهم خلاصاً من الشرور ونجاة من الكرب والاحزان. ثم وعدهم بان في السماء يلاقون الراحة الابدية التي عبر عنها بالمنازل وبأن هذه المنازل ليست لواحد منهم دون غيره بل للكل ففيها يجتمعون فرحين ناجين من الكدر فلا حسد يقلقهم ولا شهوة تبلبل نظام سعادتهم ولا سلطان يسلبها منهم وبأنه سيأتي ويأخذهم اليها ليكونوا معه فيها من مساكنيه المتمتعين بمسراته الخالدة.

﴿ ٤ ﴾ أنتم عارفون الى أين أذهب وتعرفون الطريق. ﴿ ٥ ﴾ فقال له توما يارب لسنا نعرف أين تذهب وكيف نعرف الطريق. ﴿ ٦ ﴾ قال له يسوع أنا الطريق والحق والحياة لا يأتي أحد الى الآب الا بي.

بينما يفكّر الرسل في قلوبهم قائلين : الى اين يذهب فاجأهم قائلاً : أنتم عارفون الى أين أذهب وتعرفون الطريق ايضاً فتجاسر توما وقال خائفاً : كيف نقدر على ان نعرف الطريق التي تؤدي الى مكان ذهابك ان كنا نجهل اين تذهب. فرفع سيدنا عقول سامعيه وعلمهم الاشياء السامية وقال تلك العبارة الطائرة الشهرة وهو انه الطريق

التي تقود الى الملكوت والى الايمان به وبالآب وبالروح القدس معاً . وانه الحق الذي ينير النفوس ويطرد عنها ظلام الضلال . وانه الحياة الحقيقية لان من وجده وجدها معاً . ثم استنتج هذه القضية وهي : ان كنت أنا الطريق فمن المستحيل ان يأتي احد الى الآب بدوني لانه لا طريق غيري وبعبارة أخرى اني مساوٍ للآب ومن وجدني وجده أيضاً وهذا ما زاده ايضاحاً في الآيات الآتية :

﴿ ٧ ﴾ لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ﴿ ٨ ﴾ فقال له فيلبس يارب أرنا الآب وحسبنا . ﴿ ٩ ﴾ فقال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني . يا فيلبس من رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب .

كان الرسل يعرفون بوجه الاجمال ان الآب الله الا انهم جاهلون لما هي كرامته وعظمته وذاته الشريفة فيكون معنى عبارة سيدنا أن : لو كنتم تعرفون طبيعتي وما لي من العظمة والقدرة ورفعة المقام والكرامة لعرفتم معاً ما للآب من الطبيعة والمقدرة والمنزلة والكرامة ومتى يأتي الروح القدس يعلمكم جميع هذه وانكم الآن ترون الآب — فأدهش الرسل هذا الكلام وتقدم منهم فيلبس منجاسراً فطلب ان يرى الاب بعين الجسد وتأويل عبارته : انك كثيراً ما كلمتنا عن الآب وذكرته لنا فأرناه واجعل ان ننظره باعيننا فيكون ذلك كافياً لنا . ولما كان مقصد يسوع تبيين وحدته مع الآب أجاب : أريتكم مدة زمان طويل المعجزات والعجائب الدالة على لاهوتي وعملت كثيراً وتكلمت كثيراً لأثبت اني اله والى الآن لا تعرفوني . وكأنهم أجابوه انهم عارفون به وناظرون اليه فاستنتج حالاً الجواب على طلبهم وقال : من يعرفني وقد رآني فقد عرف الاب ورآه . وافهم هنا المعرفة العقلية لا الجسدية بالحواس والنظر الروحي لا المادي بالعين وكان يسوع لابساً جسداً بشرياً لكنه مظهراً مقدرة الهية شاهدة [illegible] انه اله . وبناء على ذلك يلزم القول ان الآب نظراً لذاته وعظمته ليس

شيئاً آخر غير الابن ولو ان الاثنين متميزان بالاقنومين

﴿ ١٠ ﴾ أما تؤمن أني أنا في الآب وان الآب فيّ . الكلام الذي أكلمكم به لا أتكلم به من عندي بل الآب الذي هو مقيم فيّ هو يعمل الأعمال . ﴿ ١١ ﴾ آمنوا أني انا في الآب وان الآب فيّ ﴿ ١٢ ﴾ والا فآمنوا من أجل الاعمال عينها . ألحق الحق أقول لكم ان من يؤمن بي يعمل الاعمال التي انا أعملها ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ الى ابي .

جوهر الاب والابن واحد ولذلك يصحّ القول ان الاب في الابن والابن في الاب . ويُمثّل لذلك بأن شعاع الشمس هو النور ونورها هو شعاعها وان النور والشعاع في الشمس والشمس فيهما واياك ان تعد الاب والابن أقنوماً واحداً فانْ كانا واحداً بالطبيعة والذات فهما متميزان لان لكل اقنوماً متميزاً عن اقنوم الاخر واثبت يسوع ايضاً وحدته مع الآب بقوله ان كلامه الذي يتكلم به هو من عند الآب وان اعماله هي اعمال الآب اي لا يتميز بقوله وافعاله عن ابيه بل ارادة الاثنين واحدة وقوتهما واحدة وعملهما واحد وهذا ما يتعين الايمان به ضرورةً ليجتني الانسان من ايمانه الفائدة المقصودة ولاقناع نفسه عليه ان يفكّر في اعمال الابن فانه يراها شاهدة بان الابن اله اذ لا يعملها غير الله ومن آمن بهذه العقيدة حق الايمان واعتقد بقلبه ولسانه وجوارحه ان الابن اله فان الابن يسلّطه على مثل الاعمال العجيبة التي أتاها في حياته الزمنية بل يسلّطه على ان يعمل أعظم منها لانها تكون مؤيدة لتعليم الابن عينه ومثبتة انه اله ولان الابن لا يتلاشى بل بما انه اله يبقى سلطانه عاملاً في رسله وخدامه ولو توارى عن الاعين وذهب ممجداً الى السماء

﴿ ١٣ ﴾ فكل ما تسألون الآب باسمي فأنا افعله ليتمجد الآب في الابن . ﴿ ١٤ ﴾ وان سألتم شيئاً باسمي فاني افعله .

بهذه الآيات منح يسوع رسله وخلفاءهم والشعب المؤمن به سلطاناً على ان يعملوا باسمه لا معجزات معيّنة بل كل ما يريدونه ويؤول الى تمجيد الله ونشر الايمان المستقيم وخلاص النفس . وقد قال وهو أعزّ من كل قائل انه يفعل بهم ما يسألون الآب باسمه ولم يقل انه يطلب من الآب اجراءه وبهذا بين ايضاً مساواته للآب واتفاقه معه وزاد ان الاب يتمجد اذ ذاك منه لان ما يعمله الابن يكون الاب ايضاً عامله وما يجريه الابن بواسطة رسله وخلفائهم يكون الاب مجريه ايضاً . واننا نعلم من اعمال الرسل وتاريخ البيعة ان الرسل كانوا يشفون المرضى باسم يسوع وان الأولياء الابرار كانوا يأتون بالمعجزات الكبرى امام الشعوب عند استدعائهم باسم يسوع ايضاً

﴿ في وعد يسوع رسله بارسال المعزي وبانه سيظهر ذاته لهم ولكل من يحبه ﴾

﴿ ١٥ ﴾ ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي . ﴿ ١٦ ﴾ وانا أسأل الآب فيعطيكم معزياً آخر ليقيم معكم الى الابد

شاء يسوع حمل رسله على اتيان الاعمال الصالحة ولئلا يظنوا ان السؤال باسمه بدون افعال برّ وقداسة كاف لنيل ما يريدونه طلب منهم حفظ الوصايا الآمرة بالسيرة الحسنة والطهر والاحسان على الفقراء والصوم والصلاة وما أشبه وافهمهم ان حفظها هو نتيجة محبتهم له لان من يحبّ آخر يصون ما يأمره به وان صانه نال محبته ايضاً والتفاته ثم ما كان يخاف على المسيح ان تلاميذه محتاجون الى تقوية متواصلة لعمل البر فلهذا المعنى وعدهم بارسال الروح فقال : أسأل الآب ليعطيكم . ولم يقل انا أعطيكم خوف ان لا يقبلوا كلامه او يداخلهم ريب في صحته فتنازل في لطفه وخاطبهم طبق ادراكهم . وانتبه الى وصف الروح فهو معزّ آخر غير الآب والابن فاذن هو اقنوم متميز عنهما ولو انه واحد معهما بالجوهر والذات والطبيعة . وكلمة البارقليط الذي يُدعى بها الروح القدس تأويلها المعزّي على اصحّ الاراء ولو ان بعضهم فسرها بمعلم . وما أحنّ يسوع

على خاصّته فانه سيبتعد عنهم لكنه لا يتركهم بدون تعزية وسلوان . بل التعزية التي يرسلها اليهم في اقنوم الروح ستبقى معهم وفي الكنيسة حتى منتهى الاجيال . وان سألت لماذا لم يرسل الروح في حياته على الارض قلت لم يكن له لزوم ويسوع حاضر لا سيما ولم تكن بعد ذبيحة ترضي الله عن العالم ثم ولم يكن يسوع قد قام من الاموات.

﴿ ١٧ ﴾ روح الحق الذي العالم لا يستطيع ان يقبله لانه لم يره ولم يعرفه اما انتم فتعرفونه لانه مقيم عندكم ويكون فيكم

يسمي الروح القدس روح الحق لانه ينسخ رموز العهد القديم ويضع موضعها ما ترمز اليه فيكشف الغطاء عن الكذب ويؤيد الحقيقة ولذلك لا يطيقه الاشرار المعبر عنهم بالعالم وهم لا يعرفونه بعقلهم ولا يرونه بافعالهم المخالفة له واما انتم فانه يسكن في نفوسكم ويطهر قلوبكم ويعطيكم العطايا السماوية الجليلة وتعرفونه عندما يقدركم على اجتراح الايات وعلى معرفة الاشياء الاتية وعلى التخلص ظافرين من القساة الكافرين ويكون فيكم حالاً وتكونون انتم هيا كله وحامليه من مكان الى آخر وفي كل ظروف حياتكم .

﴿ ١٨ ﴾ لا أدعكم يتامى أني آتي اليكم . ﴿ ١٩ ﴾ عن قليل لا يراني العالم أما أنتم فتروني لاني حي وأنتم ستحيون .

بوصفه مفاعيل الروح القدس في تلاميذه امكنهم ان يستنتجوا انهم لا يكونون متروكين بدون سند وعضد كاليتامى وهو له المجد ردّد على سمعهم النتيجة عينها فضلاً عن انه قال : سأعود اليكم وترونني بعد قيامتي . وبعد صعودي الى السماء سأظهر لكم في حياتي التي أضعها فيكم اما اليهود فلا يرونني بعد قيامتي . فالصليب واحتمال عذابه يفرّقان بيني وبينكم مدة زمن يسير وأنا ان مت بالجسد فلا يطول موتي بل انما دائماً حي ومانح الحياة ـ لان يسوع بما انه اله لا يموت ثم في موته وبعده بقي لاهوته متحداً

بجسده وبنفسه . وارتأي ان له المجد لم يعني هنا الحياة الحاضرة بل الآتية الخالدة . واعلم ان للحياة معانٍ عديدة الاول حياة الله التي لا بدء ولا انتهاء لها . الثاني حياة الملائكة التي لها بداية لكن ليس لها نهاية . الثالث حياة الشياطين الذين تختلف سيرتهم واعمالهم عن الملائكة . الرابع حياة آدم في الفردوس قبل سقوطه في المعصية الخامس حياة البشر في هذه الدنيا وهم خاضعون لسطوة الشهوات والالام . السادس حياة الاجنة في احشاء امهاتهم وهي غير متميزة عن حياة الدنيا . السابع حياة السمك في البحار والحيوانات في بطن الارض وهي حياة حيوانية محضة . الثامن حياة الناس في العالم الآتي اما في النعيم واما في الجحيم

﴿ ٢٠ ﴾ في ذلك اليوم تعلمون اني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم .

يستخدم العلماء لتفسير وجود الابن في الاب مثل وجود الكلمة بنت العقل في العقل عينه فكما ان الكلمة لا ينقطع وجودها عن العقل هكذا الابن باقٍ بدون انقطاعٍ في الاب الاّ انه لمّا يُقال : ان الابن في الانسان البارّ وان الانسان البارّ في الابن فليس المعنى ان وجود الواحد في الاخر كوجود الابن طبيعياً في الاب بل المعنى ان الاثنين يسيران على اتفاق تام فالابن معتنٍ بالرجل البارّ وحارس لهُ والرجل البار ماشٍ في سلوكه طبقَ ارادة الابن وتعاليمه والهامه على شبه ما قيل اننا نُدعى آلهة واننا بنو العليّ فلا يُفهم هنا البنوة الازلية او الطبيعية كما بين الوالد وولده ولا الألوهية بمعناها الحقيقي بل بضرب من المجاز . ويكون الانسان في السيد بواسطة الايمان به ويكون لهُ المجد في الانسان بالحياة الروحية التي يُمنحها في العماد المقدس

﴿ ٢١ ﴾ من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه واظهر له ذاتي .

كثيرون يحبون الله بالكلام لا غير فيثنون على صفاته ورحمته وقدرة وعظمة

وسخاء لكنهم بالفعل يبغضونه ولا يجرون بمقتضى مشيئته فمخلصنا يرفض مثل هؤلاء المحبين ويريد ممن يحبّون محبة صادقة ان يكونوا قبل كل شيء حافظين الوصايا ولا يكفي ان يقتنوها مخطوطة او يقرأوها او يسمعوها من الغير بل يلزم وضعها بالفعل والمطابقة بينها وبين السلوك الخارجي فاذ ذاك يستحق المرء ان يُدعى محبّاً ولما كانت المحبة الحقيقية تطلب التبادل وكان السيد المسيح وأبوه واحداً في الذات وجب القول ان الآب يبادل محبَّ المسيح ابنه محبةً ايضاً فضلاً عن ان يسوع يحبّه ويظهر لهُ ألطافه ويمنحه ما يريده ويكون معه بالنعمة في كل حين .

﴿ ٢٢ ﴾ فقال له يهوذا وهو غير الاسخريوطي يارب كيف أنت مزمع أن تُظهر لنا ذاتك ولا تظهرها للعالم . ﴿ ٢٣ ﴾ أجاب يسوع وقال ان أحبني احد يحفظ كلمتي وابي يحبه واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا .

ظن الرسل ان المسيح بعد غيابه سيظهر لمحبّيه نفسه في الحلم كما تظهر الموتى للناس الذين يحبونها فخافوا وتجاسر يهوذا غير الاسخريوطي ان يطلب منه تفسيراً أوضح فلم يتمهّل لهُ المجد عن ان يهدّئ روعهم وقال ما تأويله : ان فائدة حفظ وصاياي ان ينجو المرء من كل خوف وان ينال حبي وحب أبي وان نكون معه كأننا في منزلنا ومسكننا . وان كان لا يرانا بالعين المحسوسة فيلزمه ألا يرتاب في اننا معه بعنايتنا به واهتمامنا وبنعمتنا وبتدبيرنا لاموره وهو يشعر بذلك . وهذا الشعور العقلي الذي يكون فيه أسميه مشاهدة . ومن هنا نعلم أن يسوع أثبت ايضاً موته لانه سيغيب عن رسله وأثبت قيامته وصعوده الى السماء لانه لا يبقى معهم الا بالعناية والمساعدة الروحية

﴿ ٢٤ ﴾ من لا يحبني لا يحفظ كلامي والكلمة التي تسمعونها هي ليست لي بل للآب الذي أرسلني . ﴿ ٢٥ ﴾ كلمتكم بهذا وانا مقيم عندكم

﴿ ٢٦ ﴾ واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم.

لم يتكلم السيد بخلاف ارادة الاب أو رضاه بل كلمته هي كلمة الاب عينه. وهذا ما صرّح به لرسله ليحملهم على التعلّق بالاب والايمان به والاعتقاد انه والاب واحد لا يفرقهما شيء. وكان كلامه له المجد يحوي اسراراً عالية غامضة في الحاضر على افهام سامعيه وكما رأيت كانوا يكثرون من الاستعلام رغماً عما يداخلهم من مهابته والخوف الاحترامي نحوه. فعرف بحالة باطنهم. ولهذا المعنى أعلمهم ان الروح المعزّي الذي وعدهم به ووصف لهم مفاعيله سيحلّ في نفوسهم وينير عقولهم فيدركون كل الاسرار ويفهمون كل الامور الخفيّة وكأنه قال: لا تحزنوا ولا تضطربوا لان الشدة التي أنتم فيها ستزول بقوة المعزّي وعدم ادراككم لقولي يتحوّل فهماً جلياً كاملاً. واعلمْ ان كلمة الروح تقال عن الهواء وعن النفس وعن الملائكة وعن الابالسة وعن عناية الله التي هي كروح الله وارادته في العالم وعن الروح القدس اما هنا فقد صرحت الآيه بانها مقولة عن الروح القدس لانها وصفته بالمعزّي و بالمعلم كما وصفته الآيات الماضية بانه روح الحق الذي لا يطيقه العالم أي الاشرار والابالسة احتماله.

﴿ ٢٧ ﴾ السلام أستودعكم سلامي أعطيكم. لستُ كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع.

كان الرسل في قلق من جرى معرفتهم بذهابه عنهم فاراد تغيير هذا القلق بالسلام ونفي الجزع من القلوب وتشجيعها. ولكي يفرقوا بين سلامه وسلام العالم ويطمئنوا بان سلامه مورث للراحة والسعادة قال: لست كما يعطي العالم أعطيكم اي ان سلام هذه الدنيا مقرون بالشرور والعيوب والغش والخداع فلا فائدة ثابتة ترجى منه وان اعطت الدنيا منحة من منحها بيد فانها تأخذها بالأخرى اما سلام يسوع فهو معطى عن محبة وهي المحبة الإلهية الحاوية لمجموع الخيرات وأن أعطي نفساً فلا تفقده لانه ثابت ولا

تطلب ما سواه لانه مشبع لكل رغبتها . ولاحظ في الآية كلمة استودعكم الدالة على قرب السفر وقد قرنها السيد بكلمة السلام حتى يخفف من وطأتها لان السلام الذي يتركه بعد وداعه هو الملجأ الحصين الذي يمنع من الخوف ويسلي من الحزن ويقوم مقام المسافر المحبوب الذي كان التعزية الوحيدة .

﴿ ٢٨ ﴾ قد سمعتم أني قلت لكم أني ذاهب ثم آتي اليكم فلو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بأني ماضٍ الى الآب لأن الآب هو أعظم مني .

بقي الرسل حزانى لانهم لم يدركوا جيداً ان المسيح سيذهب للموت ثم سيقوم من القبر ويتراآى لهم . وهذا معنى اتيانه ورجوعه اليهم . ولم يتركهم سيدنا في هذه حالة الحزن بل قدم لهم داعياً آخر قاصداً تخفيف ثقل الكربة عنهم قال : ان كنتم لا تصدقون باني اقوم او تخافون من ان لا اتراآى لكم بعد قيامتي فافرحوا ايضاً لاني ماضٍ الى الاب وهناك اسأله من اجلكم والاب اعظم مني بالنظر الى ناسوتي لانه لم يتجسد ولم يقترن بجسم واعظم مني بالنظر الى انه العلة — اما الأريوسيون فانهم يستندون الى هذه الآية للحط من قدر السيد المسيح وجعله بالذات اصغر من الاب وفاتهم ما قاله من قبل من انه في الاب وان الآب فيه ومن انه والاب واحد ومن انه مساوٍ للاب ولم يفقهوا ان يسوع سمى الاب اعظم منه بالنظر الى ان الاب لم يتجسد وبهذا الاعتبار امكنه بحق وصواب ان يثبت للاب شاناً اعظم ثم باعتبار آخر اثبت له الشان عينه وهو ان الاب هو العلة والابن معلول فضلاً عن انه الاقنوم الاول من الثالوث فلا مانع من تسميته اعظم من الابن بالنظر الى ما ذكر .

﴿ ٢٩ ﴾ والآن قلت لكم قبل ان يكون حتى متى كان تؤمنون .
﴿ ٣٠ ﴾ لا أكلمكم ايضاً كلاماً كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء لكن ليعلم العالم أني أحب الاب واني كما أوصاني الاب هكذا أفعل . قوموا ننطلق من ههنا .

لم يُطل سيدنا شرحه وخطابه لتلاميذه ألا تنازلاً منه وتشديداً لقلوبهم وليزيدوا تعلقاً به عندما يختبرون بنفسهم صحة ما تنبأ به فاذ ذاك يذكرون كلامه ويرون صوابه . وكانوا في الحال يبدون بعض الريب من انه يسلم نفسه للموت باختياره رغماً عنه ومن انه قادر على تخليص ذاته فافادهم قوله المؤيد بحجج العقل واعماله السابقة . ومن هذه الحجج ان الشيطان الذي حمله كبرياؤه على تسمية ذاته رئيس العالم لا يمكنه ان يرى في يسوع خطية يستوجب من اجلها الصلب والعذاب فاذن يسوع لا يصلب قهراً بل باختياره وتسليمه لان الاب اوصاه ببذل نفسه لخلاص البشر وهو يحبّ الاب فيحفظ وصيته ويعمل بموجبها وهذا ما يتعين على العالم الغدار ان يعرفه ايضاً وسيعرفه معرفة أكيدة من ظروف موته وكيفية عذابه وما يحدث في دفنه وعند قيامته وانتبه اولاً الى ان العالم يعني الشيطان عدو الجنس البشري ثم الناس الاشرار الرافضين وصايا الله وصوت ضميرهم ثانياً الى ان الشيطان ولو حمله كبرياؤه وبنو البشر الاشرار على ان يسمي نفسه رئيس العالم اي رئيس الشر فليس مسلطاً على السماء والارض ولو كان ذا تأثير فيهما وسلطان عليهما لخربهما ولاشاهما . وانما هو سيد الذين يسلمونه حياتهم ونفسهم ويعملون اعماله وهو ضابط الظلمة والخطية لا غير اما الله فلم يعطه شيئاً من السيادة او الربوبية في العالم . ثم ان سيدنا دعا رسله الى القيام من العليّة التي أكلوا الفصح فيها ليخفف عنهم الخوف المعتري لنفوسهم وأخذهم الى مكان آخر ليسمعهم أيضاً تعليمه اذ بتغير المكان يعود الانتباه بزيادة الى العقل ويطمئن القلب ولو قليلاً فيطرد بعض العواطف المكدّرة التي لحقته وعلقت به . وكان لهُ المجد عارفاً بزمان مجيء تلميذه الخائن وبمكان ملاقاته ولم يرد ان يأتيه في العلية لئلا يمسك اليهود تلاميذه معه ويزيد خوف هؤلاء غير الثابتين بعد فانتقل الى محلّ آخر لاطالة الوقت في تعليم خاصّته والصلاة لأبيه . ولك ان تقرأ الاية بالمعنى الروحي أي قوموا من هذه الاشياء الارضية الفانية لننتقل الى السماويات الخالدة .

الاصحاح الخامس عشر

﴿ يسوع الكرمة ونحن الاغصان ﴾

﴿ ١ ﴾ أنا الكرمة الحقيقية وابي الحارث . ﴿ ٢ ﴾ كل غصن فيّ
لا يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر اكثر .

الحكمة من التشبيه الذي يذكره سيدنا ان يحمل تلاميذه على الايمان به وبأبيه وعلى حفظ وصاياهما وأتيان الاعمال الصالحة فسمى نفسه كرمة لانه أصل المؤمنين وأساسهم ودعا أباه حارثاً لان لا ارادة أخرى غير ارادة أبيه الذي يزرع ويستأصل ويقلع ويقطع وشبه تلاميذه بالاغصان المتفرّعة عن الكرمة ثم أعلن ان الحارث والكرمة لا يحتاجان الى الاعتناء بهما بل هما كافيان لنفسهما وانما الاغصان هي التي في عوز الى العمل والمعونة . والمعونة تأتي الغصن من الشجرة والحارث . فالغصن الذي لا يأتي بالثمر أي الانسان المؤمن بالمسيح وغير السائر سيرة صالحة في الفضيلة والاعمال البارّة لا يستحق ان يبقى على الشجرة بل يقطعه الآب ليجعله مأكلاً للحريق والنار . أما النفس التي تأتي بثمار وتتعلق بالفضائل فان الآب يزيدها تطهيراً وقوةً حتى تزيد امتداداً وتكثر من الثمار وقد كان الرسل صعاب الانقياد في بدء أمرهم جاهلين خائفين لكنهم صادقو الضمير مخلصون في محبة يسوع فزادهم الله نوراً وقوةً وطاعةً فحلّ عليهم الروح القدس وأضاف الى قوة قلوبهم قوةً لم تقهرها التجارب ولا الاضطهادات ولا الضيقات

﴿ ٣ ﴾ أنتم الان انقياء من اجل الكلام الذي كلمتكم به .
﴿ ٤ ﴾ أثبتوا فيّ وانا فيكم . كما ان الغضن لا يستطيع ان يأتي بثمر من
عنده ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيّ ﴿ ٥ ﴾ انا
الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير لانكم

بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً .

اعلمهم انقياء لينفي الاضطراب والضعف من نفوسهم ويجعلهم متمسكين بكلامه الذي كان لهم بسببه هذه النقاوة . ومن ثم يستبين ان الابن ليس أصغر من الآب فان كان الآب ينقي الاغصان كالحارث فان الابن يمسكها فيه لانه الكرمة ويعطيها ايضاً القوة والحياة و بدونه اي ان كانت الاغصان لا تبقى ثابتة عليه فلا تثمر اي لا تعمل النفس عمل الفضائل الاّ بعنايته والتفاته اليها و بمواصلته احيائها بالحياة الروحية فلنؤمن اذن بالسيد المسيح ولنرتبط به بتواصل فهو وحده يمكننا من ان نعمل اعمالاً تستحق السعادة الابدية . ولنتأمل بآيته الكريمة القائلة : بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً اي بدون اتباع كلامه وحفظه في العمل لا نقدر على ممارسة الفضيلة كما ان الرسل والقديسين لم يقووا على صنع المعجزات بدون سلطانه السامي ولم يقدروا على الكرازة بالانجيل بدون اعانته ونعمته وانتدابه الى هذا المقام وقد اتخذ بعضهم حجة من هذه الآية لنكران الحرية في الانسان ويردّ اعتراضهم بان السيد يتكلم عن الاعمال الفائقة الطبيعة التي لا نقوى على مزاولتها الاّ بنعمته ولا ينكر كون المرء قادراً على رفض هذه النعمة بسبب حريته والا لما استحق احد الذمّ او المدح لانه يكون عاملاً قهراً وغير قادر على ان لا يعمل وايضاً لما لزم وضع الشرائع والنواميس لان حفظها يكون في غير دائرة مقدرتنا وان اعترض متعنت ايضاً فقال : اذن لا نقوى على الصالحات بدونه ونقوى على الطالحات بارادتنا وهذا رأي سمج يتعين رذله . أجبنا ان لنا سلطاناً على الافعال الصالحة والردية وان ارادتنا بين الخير والشر فان مالت الى الاول قدم الله لها عوناً وان مالت الى الثاني تركها لانها هي الاولى تترك مساعدته الحاضرة امامها . والله لا يرفض نعمته عن احد ونعمته كافية دائماً للتخلص من الميل الى الشرّ . وليس الشرّ بطبيعي للانسان كما زعم قوم اراذل .

﴿ ٦ ﴾ ان كان احد لا يثبت فيّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف

فيجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق .

عادة حارث الكرم ان يتفحص أشجار كرمه فان وجد عليها أغصاناً يابسة ينزعها ويطرحها في النار وهكذا من يقبل تعليم يسوع وأوامره ويعمل بها تأتيه دائماً الحياة من هذا المعلم فيحمل الثمار ولا يمسه يبس او سقوط لان النعمة عونه والعناية الربانية حصن جارس له اما من ينفصل عن يسوع يعدم العون ويتجرّد من الحياة ويمسي شبه الغصن اليابس الذي لا تجري فيه حياة الكرمة فما نصيبه الاّ القطع والرمي في جهنم . وانتبه الى ان سيدنا أشار بالاغصان اليابسة الى اليهود الذين رفضوا قبوله وابتعدوا عن تعاليمه فيبسوا واستوجبوا الهلاك في نار الابدية

﴿ ٧ ﴾ ان أنتم ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تسألون ما شئتم فيكون لكم ﴿ ٨ ﴾ بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير وتكونوا لي تلاميذ

وعد المسيح صادق وقد تمّ بالفعل بنوع باهر جهاري . ومفاد هذا الوعد : ان الثابتين على الايمان به وعلى محبته بالاعمال يصيبون من لدنه تعالى الهبات كلها وكل ما يطلبونه كثيراً كان او قليلاً . وما أقوى السيد في تعبيره عن وعده هذا وما أشد صراحة كلامه الذي لا يمكن تأويله الى معنى مبهم او الى غير ما يدل عليه دلالة جاية وما اكثر التعزيات التي طفحت بها من جراه قلوب الرسل وتطفح بها كل القلوب المحبة للمعلم الالهي : فما علينا اذن الا ان نزاول الاعمال الصالحة ونحفظ وصايا الرب لتكون طلباتنا كلها مقبولة فضلاً عن مزاولتنا للخير والبر تمجد الآب بالمجد الخارجي الواجب له من الكائنات وتعلنا تلاميذ صادقين للسيد المسيح .

﴿ في وصية يسوع بالتحابّ وفي بغض العالم له ولتلاميذه ﴾

﴿ ٩ ﴾ كما احبني الآب كذلك انا احببتكم . اثبتوا في محبتي .

﴿ ١٠ ﴾ أن حفظتم وصاياي تثبتم في محبتي كما أني حفظت وصايا أبي وأنا ثابت في محبته . ﴿ ١١ ﴾ كلمتكم بهذا ليكون فرحي فيكم ويتم فرحكم .

محبة يسوع قادته الى ان يموت عوضنا واذ كنا اعداء له وعبيداً اذلاّء رفعنا الى كرامة خاصته وفتح لنا السموات وجعلنا احباء واخوة له وسلطنا على ان نبقى دائماً ابداً في هذا المقام ويتم لنا ذلك بحفظ وصاياه واتباع اقواله وقد جعل لنا نفسه مرآة وقدوة وطلب ان نتشبه به بقدر ما يمكن للانسان الضعيف ان يتشبه بالاله القادر المجيد وهو عينه تنازل وتردّى طبيعتنا وخضع لابيه المساوي له في الجوهر وحفظ وصاياه ليقول لنا بلسان حاله : ما صنعته انا فاصنعوه انتم وقد نهجت الطريق قبلكم لاردّه سهلاً خالياً من العقبات فافرحوا اذن بعملي وقولي وفرحوني بالثبات على محبتي حتى الانتهاء ولا تكونوا غرباء عني .

﴿ ١٢ ﴾ هذه هي وصيتي أن يحب بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم
﴿ ١٣ ﴾ ليس لأحد حب أعظم من هذا ان يبذل نفسه عن أحبائه .
﴿ ١٤ ﴾ أنتم أحبائي أن صنعتم ما أنا موصيكم به .

ان محبة الله للبشر تطلب محبتنا بدلاً وتريد ان تمتزج بها وتكون واحدة وترغب لنيل هذه الغاية ان تقتدي محبتنا بها وتسير على منوالها وما صفة محبة الله ؟ فالجواب انها جعلت ابن الله المتأنس يبذل نفسه لفداء النوع الانساني المتمرد على خالقه والتائه عن الصواب وطريق الحق فيسوع اذن قاده الحب الى ان يشمل المحبين الاصدقاء والاعداء والعاصين بحسنات عمله فنحن ايضاً يجب ان نحبه اولاً ونكون مستعدين لبذل نفسنا في سبيل صيانة وصاياه اظهاراً لصدق حبنا وان نحب ثانياً بعضنا بعضاً لانه هو بعينه يأمرنا بذلك فنشمل في دائرة محبتنا كل الناس بدون استثناء . والاّ فلا نكون احباء حقاً لاننا نرفض اجراء ما أوصانا به .

﴿ ١٥ ﴾ لا أسميكم عبيداً بعد لأن العبد لا يعلم ما يصنع سيده ولكني سميتكم أحبائي لأني أعلمتكم بكل ما سمعت من أبي .

كانت لكم افكار بشرية محضة وكنتم في رتبة العبيد فأتيتكم ورفعت عقولكم وقلوبكم الى درجة سامية تفوق طور طبيعتكم وعلمتكم محبة الله فقبلتم تعليمي . ومن خواص المحبة انها تجعل المحب كمحبوبه فمحبتكم الله جعلتكم ان تستحقوا مني تسمية احباء . وبما انكم احباء كشفت لكم أسرار ابي وصيرتكم مؤتمنين عليها وجعلتكم في رتبة الاحرار مشتركين في خيراتي ومطلعين على اسرار المحبين اذ من شرائع الحب ان يدخل المحب محبوبه في سره ويعلنه له باجلى وضوح .

﴿ ١٦ ﴾ ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بأثمار وتدوم أثماركم لكي يعطيكم الآب كل ما تسألونه باسمي .
﴿ ١٧ ﴾ بهذا أوصيكم ان تحب بعضكم بعضاً .

لم تأتوا انتم الي من تلقاء أنفسكم بل انا جئت اليكم واظهرت محبتي لكم وثبتكم في مخافة الله وربيتكم كما تربى الاغصان على الكرمة لتأتوا بثمار القداسة والبر فينظر اليكم الحارث ويفرح بكم ويعتني بان تزيدوا امتداداً في الاعمال الصالحة ويحفظ لكم هذه الاعمال أجرها الخالد وأيضاً أفرغت عليكم من كنوز خيراتي قدراً وافراً لتتمكنوا من نشر اغصانكم في اقطار المسكونة وجعلت ان يعطيكم ابي عند الاحتياج والضرورة بعد طلبكم كل ما تريدونه والآن وصيتي التي اعطيتها وأعيدها لترسخ في اذهانكم وتكون نور اعمالكم هي ان تحبوا بعضكم بعضاً فان ابليس لا يتأخر قط في ان يزرع بين الناس وخاصة بينكم زؤان البغض والكراهة فاحذروه ولا تتبعوا وساوسه لئلا تكونوا غرباء عني .

﴿ ١٨ ﴾ ان كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم .

﴿ ١٩ ﴾ لو كنتم من العالم لكان العالم يحب ماهو له لكن لأ نكم لستم
من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لأجل هذا يبغضكم العالم .
﴿ ٢٠ ﴾ أذكروا الكلام الذي قلته لكم أن ليس عبد أعظم من سيده .
ان كانوا اضطهدوني فسيضطهدونكم وان كانوا حفظوا كلامى فسيحفظون
كلامكم . ﴿ ٢١ ﴾ وانما هم سيفعلون بكم هذا كله من اجل اسمي لانهم لم
يعرفوا الذي أرسلني .

محبة العالم للانسان دلالة على ان الله يبغضه . وبغض العالم لكم علامة على ان فيكم خوفه تعالى . فان أحبكم العالم يوماً فاعلموا ان ابي يكون مبغضاً لكم وان ابغضكم العالم فذلك لاجل فضيلتكم وتعلقكم بالخير الباقي السماوي . وانا خالقه وحافظه فانه يكرهني . وانتم لانكم تبعتم آثاري وتتعلقون بي فنصيبكم منه نصيبي . وما دمتم في العالم تذكروا انه يلزمكم التشبه بي انا سيدكم فيجب عليكم احتمال المشقات والآلام وان تكونوا خاضعين لاوامري كما خضعت لاوامر أبي فاذ ذاك يحق لكم الاشتراك معي فى نعيمي المؤبد . ومن عدم اللياقة ان يعامل السيد بالطرد ويحمل العذاب والعبيد مرتاحون مكرمون فان كنت أسلم للألم والاوجاع والاضطهاد فبأولى حجة أنتم يلزم ان تحملوا بفرح العذاب والمشقات لان ذلك يقع لكم لايمانكم بي ولتبشيركم باسمي.

﴿ ٢٢ ﴾ لو لم آت وأكلمهم لم تكن لهم خطيئة وأما الآن فليس
لهم حجة في خطيئتهم . ﴿ ٢٣ ﴾ من يبغضني فانه يبغض أبي أيضاً .
﴿ ٢٤ ﴾ لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخر لما كانت لهم خطيئة أما الآن
فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي . ﴿ ٢٥ ﴾ لكنّ ذلك هو لكي تتم الكلمة
المكتوبة في ناموسهم انهم ابغضوني بلا سبب .

لو امتنعتُ عن المجيء وما كلمت تابعي العالم الذين يضطهدوني لكانت خطيئتهم طفيفة اما الآن فقد علمتهم ما يلزمهم عمله ووعدتهم بالسماء وأوعدتهم بنار جهنم واجترحت المعجزات وأعلمتهم اني أتيت من الآب فما شاءوا ان يصغوا لي بل فكّروا بالشر وهم طالبون لقتلي . وماذا يجب ان أعمله في كرمي وما عملت . اذن لا يبقى لهم حجة ولا جواب يعتذرون به وما أبغضوني وحدي بل أبغضوا الآب أيضاً ولو انهم يكذبون انهم لاجل الآب يضطهدوني فان أعمالي شاهدة لي اني من الآب وهم قالوا : لم يُرَ قط مثل هذا في اسرائيل . فمن أجل أية كلمة او أي عمل من كلامي او أعمالي يمكنهم ان يلوموني ؟ ولذلك صدقت فيهم عبارة النبي القائل : انهم أبغضوني بدون سبب ومجاناً منقادين لحبّ الشرّ والكبرياء

﴿ ٢٦ ﴾ ومتى جاء المعزي الذي أرسله اليكم من عند الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي ﴿ ٢٧ ﴾ وأنتم تشهدون لانكم معي

اذا جاء روح الحق الواجب الاعتقاد به والكاشف لمطاوي الضمائر يظهر من يحبني محبة مخاصة ومن هم الاشرار الذين يأبون الرضوخ للصدق فان أبي الناطق بالانبياء لم يريدوا ان يحفظوا كلامه . وأنا الابن الذي عملت العجائب احتقروني ورذلوني فعما قليل يأتي الروح القدس ليشهد ايضاً للحق وأنتم تلاميذي الاحباء تشهدون أيضاً لي لانكم عشتم معي ونظرتم عجائبي وسمعتم أقوالي . وقال له المجد انه هو المرسل للروح القدس وان هذا الروح ينبثق من الآب فدل على ان الاقانيم الالهية ثلاثة وهم متميزون باعتبار الاقانيم وواحد باعتبار الذات والطبيعة والكرامة والعظمة فالآب ولد الابن والابن مولود من الآب والروح القدس خارج من الآب لا بطريق الولادة بل بطريق الانبثاق كما قال يسوع عينه

الاصحاح السادس عشر

في نبوءة يسوع بالاضطهادات الآتية
(واتيان الروح القدس لتبكيت العالم)

﴿ ١ ﴾ كلمتكم بهذا لكي لا تشكوا . ﴿ ٢ ﴾ انهم سيخرجونكم من
المجامع بل ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم انه يقرب لله قرباناً
﴿ ٣ ﴾ وانما يفعلون هذا بكم لانهم لم يعرفوا أبي ولم يعرفوني .

سبقت فأوضحت لكم ما تقاسونه بسبب ايمانكم بي و بكلامي واعلموا ان أعداءي الذين هم أعدائكم سيسعون وراء قتلكم وهم معتقدون ان فعلهم هذا يرضي الله مع انه يغضبه . لكن اكتفوا بهذه التسلية وهي انكم تحملون الآلام والاعذبة لاجلي ولاجل أبي . ومن المعروف لدينا ان اضطهاد الرسل وتباع السيد المسيح لم يجره اليهود فقط بل كثيرون غيرهم من أصحاب الشيع والهرطقات هاجوا عليهم وأذاقوهم مرّ المشقات او كانوا سبباً لتحميلهم العذاب ومفاعيل غضب الخارجين عن الايمان ومن ذلك ان جمهوراً من أصحاب سيمون الساحر كانوا يدّعون انهم من أبناء البيعة وهم يزاولون أفظع الفضائح وأشد الشرور رداءة كمجامعة أمهاتهم وأكل أبنائهم وما أشبه من ضروب النجاسة التي يُستحى من تسميتها . وقد أخذهم الناس في أفعالهم هذه البالغة في الشر وظنّوهم من النصارى وحسبوهم تعلموها في دين يسوع الناصري فلاجل ذلك هاجوا على تباع المسيح أجمعين واعتقدوا بأن بقتلهم يطهّرون العالم من النجاسة .

﴿ ٤ ﴾ لكنني كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون اني قد
قلت لكم . ﴿ ٥ ﴾ ولم أخبركم بهذا من قبل لأني كنت معكم وأما الآن
فاني منطلق الى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني الى أين تنطلق .

﴿ ٦ ﴾ ولكن لأني كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم ﴿ ٧ ﴾ الا أني أقول لكم الحق ان في انطلاقي خيراً لكم لأني ان لم أنطلق لم يأتكم المعزي ولكن اذا مضيت أرسلته اليكم . ﴿ ٨ ﴾ ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة .

عند ما يتمّ كلامي في نبوّتي يتحقّق لكم اني عارف المستقبل كالهِ وان كنت من قبل لم أخبركم بما سيحصل لكم من البغض والقتل فلأني كنت معكم ولانكم كنتم في طمأنينة وسلام معي. واني أراكم مضطربين حزناء بحيث لا تقدرون ان تسألوا شيئاً وان قلوبكم ملأتها الرعبة لسماعكم انكم تعاملون كعاملي الشرور فيعذّبكم اليهود وينالكم الحبس والقتل ولكن لا تخافوا ولا تحزنوا لان ذهابي ينفعكم وان كنت لأكمّل التدبير المقصود فلا يأتيكم الروح. ولكني ان ذهبت عنكم أرسله لكم. وتسأل أولاً لماذا لا يأتي الروح القدس ما لم يذهب يسوع ثانياً ان الروح القدس اله فالمسكونة ممتلئة منه وهو في كل مكان فكيف يقول يسوع انه يرسله؟ الجواب على الاول ان الخطية بقيت سائدة بين البشر واللعنة حالة على العالم حتى الزمن الذي تعلق فيه السيد المسيح على خشبة الصليب فاذ ذاك ارتفعت اللعنة وتلاشت الخطية فأتى الروح القدس — وعلى الثاني ان الارسال دالّ لا غير على ان الابن هو الاقنوم الثاني الذي يأتي بعده الروح الذي هو الاقنوم الثالث وان الاثنين متميزان بالاقنومين ولو انهما متساويان مع الآب بالجوهر والطبيعة . وانك علمتَ ماقاله سيدنا اولاً من انه سيطلب ان يرسله الآب وثانياً من ان الآب يرسله باسم الابن وهنا يثبت ثالثاً من انه هو الابن يرسله . وكل هذه انواع التعبيرات تدلّ على ان الثلاثة متساوون بالطبيعة و بعد ان سمع الناس صوت الآب ونظروا معجزات الابن لزم ان يعرفوا شيئاً عن الروح القدس الذي سيظهر لهم بالاشباه .

﴿ ٩ ﴾ أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي . ﴿ ١٠ ﴾ وأما على البر

فلأني منطلق الى الآب ولم تروني بعد . ﴿ ١١ ﴾ وأما على الدينونة فلأن
رئيس هذا العالم قد دين .

هنا ذكر غاية الروح القدس من مجيئه والفوائد التي تصدر عنه اولاً انه يوبخ العالم على ارتكابه الاثم والمعصية فيبين لليهود جسامة خطيتهم في رفضهم الايمان بالابن الفادي ثانياً يوبخه لان الابن أراه أعمالاً صالحة وعجائب باهرة توضح جلياً صدق ارساليته فأبى قبولها ثالثاً يوبخه لان رئيسه وهو ابليس لم يقدر على ان يجد في السيد المسيح خطية ما او عيباً . وأيضاً ان الروح القدس بحلوله على بني الانسان تظهر مآثمهم وتنفضح خطاياهم فيرون انهم مكروا وقتلوا الفادي بالظلم وهو بريء من تهمهم الكاذبة وسيدان ابليس يوم يصنع التلاميذ المطهَّرون بالروح العجائب والخوارق باسم يسوع فتعلن اذ ذاك خيبة عدو الجنس البشري ويكون السيد له المجد قد ذهب الى الآب وأصبح غير منظور بالجسد على الارض

﴿١٢﴾ وان عندي كثيراً أقوله لكم ولكنكم لا تطيقون حمله الآن
﴿١٣﴾ ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه
لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويُخبركم بما يأتي .

من اجل الحزن الشامل قلبكم لا تقدرون الآن على سماع ما عندي من الاقوال ولكن الروح يعلمكموها — وقد اثبت يسوع ان الروح لا يتكلم من عنده بل بما يسمع اولاً لان الروح ليس لهُ رأي غير رأي الآب والابن والثلاثة متساوون بالطبيعة والعظمة ومتفقون في القول الواحد ثانياً حتى لا يعتقد الرسل ان الروح اعظم من الابن لا سيما وان الابن قال عنه انه يعلّمهم كل شيء ويرشدهم الى جميع الحق . ومما لا يحتاج الى قول ان كلام الروح القدس وتعليمه لا يكونان بطريقة جسدية بل انه ينير العقل باطناً ويجعله يدرك بالالهام ويفرغ فيه العلوم والمعارف الضرورية للوظيفة

التي ينتدبه اليها وقد اجمع الآباء على ان علوم الرسل كانت مفاضة فيهم بقوة الروح القدس .

﴿ ١٤ ﴾ هو يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم ﴿ ١٥ ﴾ جميع ماللآب فهو لي من أجل هذا قلت لكم انه ياخذ مما لي ويخبركم .

تمجيد الروح للابن ان يبين عظمته وسلطانه ولاهوته بالقوات التي يحمل الرسل على اجتراحها باسم يسوع ثم أن هم مخلصنا لاسمه السجود ان يطبع في عقول تلاميذه تمييز الاقانيم الثلاثة وطريقة خروجهم الواحد من الآخر ومساواتهم بالذات فذكرهم الثلاثة ذكراً متكاثراً واعلن خروج الروح القدس من الآب وأخذه عن الابن ما يخبر التلاميذ به وعقب ان هذه المعرفة التي يأخذها منه الروح هي معرفته التي هي معرفة الآب ايضاً لان ما الابن هو للاب وما للروح القدس هو للابن فاذن معرفة الثلاثة واحدة . وعند ما يفيضها احدهم في قلب مخلوق فانما يتم ذلك بارادة الاثنين الآخرين بحيث ما هو لاحد الثلاثة ليس بغريب عن الآخرين.

﴿ في وعد يسوع لتلاميذه ان حزنهم سيزول وفي غلبه العالم ﴾

﴿١٦﴾ عما قليل لا ترونني ثم عما قليل ترونني لأني منطلق الى الآب.
﴿١٧﴾ فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هذا الذي يقول لنا عما قليل لا ترونني ثم عما قليل ترونني ولأني منطلق الى الآب . ﴿ ١٨ ﴾ قالوا فما معنى قوله عما قليل انا لا نفهم ما يقول .

كلمة عما قليل تدل على الانتقال عن التلاميذ مدة زمن وجيز وعلى الرجوع اليهم بعده والبقاء معهم ولو بنوع غير محسوس الى دهر الدهور الا ان افكارهم كانت مضطربة ونفوسهم حزينة وهمومهم كثيرة فما ادركوا المراد من القول وظنوا ان فيه مخالفة فقالوا ما بينهم : ان كنا نراه فكيف يقول لا ترونني . وان كان يمضي فكيف

نراه . وما ادركوا انه ينتقل عنهم بالموت مدة ايام وجيزة ثم يقوم منتصراً من القبر ويظهر لهم فيرونه .

﴿ ١٩ ﴾ فعلم يسوع انهم يريدون أن يسألوه فقال لهم أتتساءلون عن هـذا أني قلت عما قليل لا ترونني ثم عما قليل ترونني ﴿ ٢٠ ﴾ الحق الحق أقول لـكم أنكم ستبكون وتنوحون والعـالم يفرح وأنتم تحزنون ولـكن حزنكم يأول الى فرح . ﴿ ٢١ ﴾ المرأة حين تلد تحزن لان ساعتها قد أتت لـكنها متى ولدت الطفل لا تعود تتذكر شدتها من أجل الفرح لانه قد ولد انسان في العالم .

أطلع سيدنا على ما يتساءل عنه تلاميذه لانه قرأ افـكارهم ففسر لهم عبارته بانه سيموت عما قريب فيأخذون يبكون وينوحون على فراقه لانهم كأولاده الاحباء وهو كأبيهم . اما اليهود فيفرحون بقتله والانتصار عليه لـكن لا يطول الزمن حتى يقوم من القبر فيخزى الشيطان والموت ويخجل اليهود وأعداؤه اجمعون عند ما يرون عجائبه وقت موته وقيامته المجيدة حينئذٍ يتغير حزن تلاميذه فرحاً وابتهاجاً ويقع لهم شبه ما يقع للمرأة التي ينتابها الضيق والوجع بالمخاض الا انه متى ولدت تنسى كل ما قاسته من العذاب والألم وتفرّح قلبها بمشاهدة ثمرة احشائها وتفتخر بانها ولدت انساناً جديداً في العالم . ومن المعلوم ان السيد له المجد خرج من القبر كخروج الطفل من احشاء والدته وكان أن تلاميـذه قبل خروجه تضايقوا وحزنوا فلما رجع الى العالم بقيامته تلاشت احزانهم وانقلب ضيقهم راحة .

﴿ ٢٢ ﴾ وأنتم الآن محزونون لـكني سأراكم فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم ﴿ ٢٣ ﴾ وفي ذلك اليوم لا تسألونني عن شيء الحق الحق

أقول لكم أن كل ما تسألون الاب باسمي يعطيكمود . ﴿ ٢٤ ﴾ الى الآن لم تسالوا باسمي شيئاً . اسألوا تعطوا ليكون فرحكم كاملاً .

بين يسوع انه ثابت الى الابد فانه سيظهر لتلاميذه بعد قيامته فتفرح قلوبهم و يبقى فيها الفرح بقوته وسلطانه وهم يصبحون كاملين بالمعرفة فلا يعودون يلقون عليه أسئلة مثل ان يقولوا : أرنا الآب . ثم لا يحتاجون اذ ذاك الى وسيط بينهم وبين الآب بل يكفيهم ذكر اسم يسوع لنيل ما يريدونه وتغزر عليهم منح الروح القدس وان كانوا الى الان لم يطلبوا من الاب باسم يسوع ما ينقصهم ويعوزهم فلأنهم غير كاملين وغير مشددين في الاعتقاد ولم ينتفِ منهم كل ارتياب في يسوع . لكن بعد أتيان الروح وافاضته الهبات السامية تنار عقولهم ويكمل ايمانهم ويبلغ التمام فرحهم الروحي الثابت .

﴿ ٢٥ ﴾ قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي ساعة لا أكلمكم فيها بأمثال بل أخبركم عن الآب علانية ﴿ ٢٦ ﴾ في ذلك اليوم تسألون باسمي ولست أقول لكم اني اسأل الآب من أجلكم ﴿ ٢٧ ﴾ فان الاب هو يحبكم لانكم أحببتموني وآمنتم اني من الله خرجت . ﴿ ٢٨ ﴾ قدخرجت من الاب وأتيت الى العالم وايضاً اترك العالم وأمضي الى الآب .

الى الان كنت أخاطبكم عن موتي وقيامتي والامور المستقبلة الخفية بالامثال والتشابيه الا انه بعد قيامتي وحلول الروح عليكم ستعرفون كل شيء جلياً واضحاً وسأكشف لكم بقوة الروح العامل فيكم بنوع محسوس عما هو الاب وعن ملكوته السماوي لتعرفوه وتتوسلوا اليه فهو مبدأ الخيرات كلها ويهبكم ما تريدونه منه لانه يحبكم بسبب تعلقكم بي واتباعي وايمانكم بالاعمال والعجائب التي صنعتها ولتصديقكم كلامي ونفيكم من قلبكم كل ارتياب في اني اعلنت لاهوتي بظهوري في الجسد واتحادي

بنفس بشرية واني بعد تكميلي التدابير اللازمة في حياة الزمن قهرت ابليس ولاشيت الخطية ثم عدت الى الاحتجاب في الاب بحيث اصبحت غير منظور في هذه الدنيا .

﴿ ٢٩ ﴾ فقال له تلاميذه ها انك تتكلم الان علانية ولا تقول مثلاً ما . ﴿ ٣٠ ﴾ الان علمنا انك عالم بكل شيء ولست بمحتاج ان يسألك احد . بهذا نؤمن انك من الله خرجت ﴿ ٣١ ﴾ اجابهم يسوع أفالآن تؤمنون .

سلى يسوع تلاميذه وطرد عنهم جيش الحزن فدخلتهم التعزية وشكروه على ما فعل وابانوا انهم ادركوا ما يقوله وانهم غير محتاجين الى ان يلقوا عليه الاسئلة طالبين ايضاحاً لانه يعرف ما في القلوب وينظر افكارها ولذلك يؤمنون باتيانه من عند الاب وما كانوا حتى الان بمؤمنين كما بينه له المجد في جوابه . ومن المعلوم ان الله وحده قادر على قراءة الافكار في النفوس وليس لغيره اياً كانوا مثل هذه القوة وبناء على ذلك كل من يعرف ما في قلب الخليقة الناطقة ويوضحه كما كان يسوع يفعل فلا بدّ انه يكون من الله .

﴿ ٣٢ ﴾ ها انها تأتي ساعة وقد أتت تتفرقون فيها كل واحد منكم الى خاصته وتتركوني وحدي ولا اكون وحدي لان الاب هو معي ﴿ ٣٣ ﴾ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . انكم في العالم ستكونون في ضيق ولكن ثقوا فاني قد غلبت العالم .

آمنوا ان ما اقوله لكم هو الحق فقد قرب زمن تسليمي واتت ساعة الصلب اما انتم فسيذهب كل منكم مذعوراً خائفاً من أعدائي وتظنون اني ابقى وحدي لكن ابي هو معي في كل حين يرافقني في كل المواقع واعلموا ان الاضطهادات والمصائب

ستقع عليكم فاذكروا حين نزولها اني لم اخفْ من الموت بل جاهدت ضد الالام والضيقات حتى انتصرت عليها باهر الانتصار فاقتدوا بي واتبعوني — فهذا الخطاب قال له سيدنا بعد العشاء وتركه العلية وهو ذاهب الى بستان جتسماني . ومنه يتضح لنا انه يلزمنا في زمن التجارب ألا نمل من التفكّر في الالهيات ومن الصلاة وألا نضعف في ثقتنا بالله و بعونه .

الاصحاح السابع عشر

في ابتهال يسوع لاجل تلاميذه

﴿ ١ ﴾ تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه الى السماء وقال يا أبتِ قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك .

يعرف السيد زمن موته قبل حلوله لانه يسلم ذاته للموت باختياره ويطلب من أبيه ان يكون صليبه مجداً حتى اذا احتمل الآلام عليه جذب المخلوقات كلها الى العبادة الصحيحة وجعلها تتعلّق بخالقها وتتجنّب اهانته وتعظم ذاته . واعلم ان انواع تمجيد الله بين المخلوقات ثلاثة الاول تمجيد الملائكة الذين ينظرون الحكمة الالهية في طغماتهم وترتيبهم وما فُوّض اليهم اجراؤه فيزيدون محبةً لله وتعظيماً لهباته . الثاني تمجيد البشر الذين يشاهدون نظام العالم المنظور وما زيّنه الله به من المحاسن والجمال وما وضعه لكل خليقة من الحدود التي لا تتجاوزها في عملها فيأخذون يسبحون الله ويثنون على حكمته ورحمته خير الثناء . الثالث تمجيد الكائنات غير الناطقة التي نثر الخالق عليها لآلئ عظمته و بهائه وقدرته وأوضح فيها شيئاً من حكمته ورأفته ولذلك اكثر النبي داود في مزاميره من دعوة السماء والارض وما فيهما الى تسبيح مبدعها السامي الجلال . وفوق هذه الانواع الثلاثة نوع آخر من التمجيد هو مابين الاقانيم الثلاثة يجرونه في ذاتهم المقدسة ولا يقدر المخلوق اياً كان على تقدمته فسيدنا يمجد أباه هذا التمجيد وأبوه يمجده التمجيد عينه أيضاً ولا يأخذ أحد من الاقانيم اسباباً من

من الخارج كما يفعل المخلوقون ليمجد الآخر .

﴿ ٢ ﴾ كما أعطيته السلطان على كل بشر ليعطي الحياة الابدية لكل من أعطيته له .

الابن مولود من الاب ومنه أخذ سلطانه اذ ان الاب أعطى ابن طبيعته السلطان كله . والابن كمّل بالدقة كل ارادة الاب . ويجب القول ان ارادتهما واحدة . ثم ان السلطان الذي أخذه الابن استخدمه على بني البشر وهم الذين خلقهم من العدم وجعلهم روحيين بالافكار والرغبة والعمل ليوحّدهم به ويصيرهم اعضاء في بيعته التي أقام نفسه رأساً لها وكانوا ذوي حياة زائلة فلما تسلط عليهم وأدخلهم في مملكته أحياهم حياة خالدة شريفة ومن جسديين رفعهم الى مقام الروحيين . ومن مائتين رفعهم الى درجة غير المائتين

﴿ ٣ ﴾ وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح .

لم يكن لنا ان نعرف تحديد الحياة الابدية وما هي لو لم يفسرّه لنا الكلمة المتأنس الذي هو الحكمة الالهية فهذه الحياة تقوم بمعرفة الاله الحقيقي والاله الحقيقي يظهر لنا مادمنا في حياة الزمن بالافعال الصادرة منه اذ لا يمكننا ان نراه بالعين الحسية . وقد صدرت منه هذه الافعال في ابنه المتجسد لفدائنا . وقد استخدم قوم الآية ليثبتوا الألوهية للاب وينفوها عن الابن مستدلين من كلمة « الاله الحقيقي وحدك » ان يسوع الابن ليس بالاله الحق . ولم ينتبهوا او بالاولى رفضوا الانتباه الى جميع ما قاله السيد في مساواته الاب في الجوهر والذات ولم ينظروا اولاً ان غاية المسيح ان يقرّر لاهوت الاب بالنسبة الى الالهة الكذبة فينفي عن هؤلاء كونهم آلهة حقاً ويثبت عن أبيه انه الاله الحق ثانياً ان يسوع عينه لم ينفِ الألوهية عن نفسه بل أثبتها له ايضاً بقوله :

والذي ارسلته يسوع المسيح فمعنى كلامه : ان الحياة الابدية هي معرفة الاله الحقيقي . ولكن من هو الاله الحقيقي : الاله الحقيقي هو انت ايها الاب لا الالهة الكذبة وأنا أيضاً ابنك المرسل منك الى العالم لخلاص البشر ـ وبهذا أعلن بالصراحة وحدته مع الاب .

﴿ ٤ ﴾ انا قد مجدتك على الارض واتممت العمل الذي اعطيتني لأعمله ﴿ ٥ ﴾ والآن مجدني أنت يا أبتِ عندك بالمجد الذي كان لي عندك من قبل كون العالم .

أنا في السماء أمجدك بطبيعتي وعلى الارض مجدتك ايضاً امام البشر بتأنسي لاني متجسد مثلهم وعملت امامهم ومعهم ما أردته مني وهو ان أبشرهم بك واحمل اثمهم وأعوض عنه باتعابي وصلبي ـ وكأن سيدنا صوّر كون صلبه قد تم ولا عجب في ذلك لانه اله والاله يرى كل الحوادث الماضية والحاضرة والآتية نقطةً واحدة ودفعةً واحدة كانها تامة . ثم انه لاسمه السجود طلب من أبيه ان يمجده ايضاً في العالم اي ان يجعل الناس يكرّمونه ويعظمونه بعد ان يكون حمل الالام والصلب لاجلهم وان يصيرهم عارفين بانه كان قبل خلق العالم . وانه اله حق ونور الاب . ومثل هذا المجد ضروري له ولازم لانه ذاتي ولا يمكنه فقدانه ولو لم يلبس جسدنا المائت .

﴿ ٦ ﴾ قد أعلنت اسمك للناس الذي أعطيتهم لي من العالم . هم كانوا لك وأنت أعطيتهم لي وقد حفظوا كلمتك . ﴿ ٧ ﴾ والآن قد علموا أن كل ما أعطيته لي هو منك ﴿ ٨ ﴾ لأن الكلام الذي أعطيته لي قد أعطيته لهم وهم قبلوا وعلموا حقاً أني منك خرجت وآمنوا انك انت ارسلتني .

عرّف السيد اسم أبيه وسلطانه باقواله وخطبه وأعماله ومعجزاته وباعلانه ذاته

ابناً له مساوياً في الطبيعة . أما الذين أعطاهم الاب للابن فهم المؤمنون به فانهم يرونه في الظاهر انساناً ويعتقدون بلاهوته . وبعد ان أعطيهم من الاب لم يبطلوا ان يكونوا للاب لان الابن ليس ضدّ الاب او مفترقاً عنه بالذات ثم لان الاب عينه يريدُ ان يؤمنوا بالابن ويكونوا خاصته . وقد اثبت مخلصنا بالصراحة ان كل ما هو لهُ وكل ما عنده آتٍ من الآب بمعنى انه لا ينفرق وحدة بطبعه عن الآب ايضاً وايضاً الكلام الذي نطق به هو من الآب وكلام الاب اعطاه عينه لخاصته وعلمهم اياه فقبلوه بالرضى وآمنوا به وعرفوا ان الابن والاب واحد وان الاول مولود من الثاني ومتأنس بارادة الثاني ومرسل الى البشر قاطبة بدون فرق برضى الثاني ايضاً .

﴿ ٩ ﴾ أنا أسأل من أجلهم لا أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتهم لي لأنهم لك . ﴿ ١٠ ﴾ كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي وأنا قد مُجدت فيهم . ﴿ ١١ ﴾ ولست أنا بعد في العالم وهؤلاء هم في العالم وأنا آتي اليك . أيها الآب القدوس احفظ باسمك الذين أعطيتهم لي ليكونوا واحد كما نحن واحد .

سؤال السيد من أبيه لا يدلّ على احتياج وعوزٍ فيه بل على محبته لخاصته واعتنائه بهم وخاصته هم التابعون له بالايمان الموهوبون لهُ من الآب والدليل على ان *السؤال غير صادر عن احتياج هو ان كل ما للآب هو للابن من الكرامة والسلطان* لانهما واحد وما ينال الابن من التمجيد بين خاصته يناله بالفعل عينه الاب أيضاً وانما سأل سيدنا من أجل خاصته تنازلاً منه ولانه سينتقل من بينهم ويتركهم وهم يبقون في العالم معرّضين لاضطهاده وتهكمه فيلزمهم المعونة الالهية والوحدة لان الاتحاد قوّة لهم ومظهر للمحبة المتبادلة الواجبة سيادتها فيهم ومعلن اقتداءهم بالآب والابن اللذين هما واحد طبعاً وذاتاً . ثم ان الحزن كان مستولياً على نفوسهم بسبب تفكرهم أنْ عما قليل يُحرمون رؤية المعلم الالهي فالتسلية واجبة لهم واطمئنان القلب لازم

لئلا تخور عزيمتهم ولهذا المعنى ايضاً صلّى مخلصنا من أجلهم

﴿ ١٢ ﴾ حين كنت معهم كنت احفظهم باسمك . ان الذين اعطيتهم لي قد حفظتهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب . ﴿ ١٣ ﴾ اما الآن فأني آتي اليك وانا اتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحي كاملاً فيهم

حفظتهم مدة قيامي معهم حتى لا ينقص ايمانهم فيلزم ان يكونوا مصونين بالعناية نفسها بعد ان أهجرهم وان كان قد هلك واحد منهم فقد وقع له الامر باختياره وحريته وهو جعل نفسه ابن الهلاك رغماً عما استخدمته ازاءه من ضروب اللطف والدعوة الى الرشد والتوبة ـ وقال مخلصنا : هلك ابن الهلاك ليتم الكتاب . فليس المعنى ان سبب هلاكه ماصدر في حقه من النبوة القائلة : تكون آخرتهم الهلاك . بل هو بنفسه شاء هلاكه وعمل بحريته ما استوجبه . وان النبي وصف حالة رآها واقعة رؤية سابقة ثم ان سيدنا أعلن ان فرحه يكمل في تلاميذه ان اتحدوا بالمحبة بعضهم ببعض وكانوا واحداً بالارادة والرغبة والايمان متشبهين بوحدة الآب والابن .

﴿ ١٤ ﴾ اني اعطيتهم كلمتك وقد ابغضهم العالم لانهم ليسوا من العالم كما اني انا لست من العالم . ﴿ ١٥ ﴾ لست اسأل ان ترفعهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرّير .

علم سيدنا تلاميذه الحق . والحق يخالف مبادىء العالم الكاذبة . فلذلك يبغض العالم الحق وتابعيه . ومن العادة ان الخير يكرهه الاشرار ويريدون تحويله شراً ولما كان يسوع وتلاميذه غير متبعين تعليم العالم بل يعلمون ما يخالفه من الصدق كان نصيبهم من الاشرار الكره . وانما افهم مخلصنا تلاميذه هذه الحقائق ليخرج من قلوبهم محبة العالم ويرفعهم الى ما هو اعلى وأحق باهتمامهم لاسيما وانما هجروا الدنيويات وخرجوا من دائرتها ولو انهم بالجسد في العالم فهم بالروح فوقه وكان همّ ربنا ان لا يطغي الشرير

نفوسهم او يحوّل اميالهم اليه كما حوّل أميال يهوذا الاسخريوطي ولهذا طلب من ابيه ان يصونهم لا بان يجعلهم يهجرون الدنيا ومعاشرة الناس بل بان لا يتركهم يقعون في اشراك الشرو بالا تكون لهم شركة في هذه الارض بل ان يعيشوا فيها منتظرين عالماً آخر ومدينة علوية خالدة حيث لا اضطراب ولا حزن ولا قلق .

﴿ ١٦ ﴾ أنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم. ﴿ ١٧ ﴾ قدسهم بحقك ان كلمتك هي الحق . ﴿ ١٨ ﴾ كما أرسلتني الى العالم أرسلتهم أنا الى العالم ﴿ ١٩ ﴾ ولأجلهم أقدس ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين بالحق .

شبه التلاميذ بالمسيح انهم ليسوا من العالم وهذا ما يدعوهم الى نيل القداسة ولما كانت تقتضي نعمة الله واجتهاد المخلوق معاً طلب السيد له المجد ان يوفر ابوها نعمته لهم و يفيضها بغزارة فقال. اجعلهم مقدسين بالايمان والمحبة وعلمهم الحق ليطردوا عنهم كل ضلال في خدمتك وفي نشر كلمتك في المسكونة وان كلمتك ليس فيها شبه ضلال بل هي الحق عينه وكما اني بشرت بها مرسلاً من قبلك هكذا سيبشرون هم بها مرسلين من قبلي بامرك . اما انا فاني استمطر لهم نعمة القداسة واعاننك في عمل التبشير الذي يزاولونه بان اقدم نفسي ذبيحة وقرباناً من اجلهم حتى تقبلهم ايضاً اكراماً لي وقد جرت العادة بان تدعى الذبائح قدساً و بان يسمى مقدمها حافظاً اشروطها مقدّساً ايضاً. فالمسيح اذن مات لاجل الرسل ولاجل العالم كله بدون استثناء احد منه

﴿ ٢٠ ﴾ ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل ايضاً من أجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ﴿ ٢١ ﴾ ليكونوا باجمعهم واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني .

بين يسوع ان كثيرين سيؤمنون به بسبب كلام رسله ووعظهم.وطلب لهم اجمعين هبة الاتفاق والمحبة لان بالمحبة يُعرف تابعوه ويتميزون عن غيرهم امام سائر الناس . ومن المعلوم ان المشاجرة والمخاصمة وكل ما يدل على اختلاف في العواطف وانقسام في القلوب يكون له دائماً أوخم النتائج وأردأها . وأي سلام يرجى بين قوم او في دين لا يحبّ الوفق والاتحاد والمحبة . ولذلك نرى المسيح له المجد يردّد كثيراً توصيته في المحبة ويسأل اباه ان يضع الوحدة بين المؤمنين بهما ويجعلها شبيهة بالوحدة التي بينهما في الذات والطبيعة .

﴿ ٢٢ ﴾ وأنا قد أعطيت لهم المجد الذي أعطيته لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد . ﴿ ٢٣ ﴾ أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين في الوحدة حتى يعلم العالم أنك أنت ارسلتني وانك احببتهم كما احببتني .

انما يقصد يسوع وحدة تابعيه ايضاً ويطلبها كما صنع في الآيات السابقة وفي اماكن عديدة . وقد اعطاهم مجده اي سلطانه على صنع الآيات وعلى الكرازة بتعليمه وغايته أن يكونوا واحداً بالمحبة والنعمة والارادة كما هو واحد مع ابيه . ثم انه يضع نفسه فيهم ليكون سلسلة لرباط متين غير متزعزع . وبما ان اباه السماوي فيه هو الابن فيكون ايضاً في تابعيه . وهكذا الوحدة تكمل وتبلغ آخر حد يمكنها ان تبلغه بحيث لا زيادة لمستزيد . واذا بدت هذه الوحدة لأعين الاجانب عن بيعة المسيح أعلمتهم ما قوة الرسل وأن يسوع مؤسس الرسل وربهم وسيدهم هو مرسل من الله وهو اله وأن الله الآب يحب المجتمعين في الايمان بيسوع وأنه عقدة رباطهم .

﴿ ٢٤ ﴾ يا ابتِ ان الذين اعطيتني اريد ان يكونوا معي حيث انا ليروا مجدي الذي اعطيتني لأنك احببتني قبل انشاء العالم .

اعلن يسوع المجازاة المعدة لتابعيه بعد موتهم والانتقال من هذه الحياة الزائلة وهي

ان يكونوا معه في داره السماوية ويروا مجده ووحدته مع الآب ويتمتعوا بمجده ايضاً لانهم خاصته واخوته وورثة ملكوته . وما احسن هذه المكافأة التي تجتمع فيها الابرار والصديقون وتكون حياتهم حياة الله عينه وسعادتهم سعادة الله عينه التي لا يشوبها نقصان ولا يعتريها عيب ولا انتهاء لها اهلنا تعالى ان نكون في عدادهم آمين .

﴿ ٢٥ ﴾ يا ابتِ العادل ان العالم لم يعرفك اما انا فعرفتك وهؤلاء عرفوا انك انت ارسلتني . ﴿ ٢٦ ﴾ وقد عرفتهم اسمك وسأعرفهم لتكون فيهم المحبة التى احببتني وا كون انا فيهم

هنا افهمنا ان المرء لا يقدر ان يعرف الله مالم يهدهِ الابن الى هذه المعرفة وما لم يعرف الابن ايضاً لان الآب والابن واحد وقد وصف السيد اباه بالعدل وسماه العادل اي الذي لا شبيه لهُ في الصلاح والقداسة والبر والسلطان والعزة . ومفاد كلامه : اني اعلنت من أنت يا ابتِ مرسلي هؤلاء فعرفوك وأقروا باني آتٍ من عندك وسيجيئهم الروح القدس فيزيدون معرفة لصفاتك الالهية السامية وبما انه يأتي من عندي وانا مرسله معك فا كون انا الذي ازيدهم معرفة لأبوتك . وانما أجريت وأجري كل ذلك لترسخ في قلوبهم المحبة ويعرفوا انك تحبني واني احبك واننا رباط المحبة التي يجب ان تكون ما بينهم فالمحبة اذن هي ختم لكلمة عهد السيد وفيها معين الخيرات ومنها كل صلاح وبرارة .

الاصحاح الثامن عشر

﴿ في دخول يسوع البستان وتقدمه الى الجنود ﴾

﴿ ١ ﴾ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون حيث كان بستان فدخله هو وتلاميذه . ﴿ ٢ ﴾ وكان يهوذا الذي أسلمه

يعرف الموضع لان يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيراً .

لم يذهب يسوع الى الوادي هارباً بل انما دخل البستان ليجده اعداؤه بدون تعبَ لا سيما وانه باختياره أسلم نفسه الى الموت . وكان يهوذا يعرف المكان ويعلم ان يسوع وتلاميذه يقصدون الاماكن الخالية القفرة . وان سألت ما المعني الروحي في دخول المخلص بستاناً؟ قلتُ ان ابليس اصطاد آدم في بستان أي في الفردوس فيليق ان يقبض الصالبون على يسوع في بستان ويسوع هو آدم الثاني الذي أرجع الى الانسان بهاءهُ الاول المفقود بسبب معصية آدم الاول .

﴿ ٣ ﴾ فأخذ يهوذا الفرقة وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمصابيح ومشاعل وأسلحة . ﴿ ٤ ﴾ فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون . ﴿ ٥ ﴾ فأجابوه يسوع الناصري . فقال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا الذي أسلمه واقفاً معهم . ﴿ ٦ ﴾ فلما قال لهم أنا هو ارتدوا الى الوراء وسقطوا على الارض .

أراد اليهود القبض على يسوع مرات عديدة وما قدروا عليه الاّ عند ما شاء باختياره وضع نفسه بين أيديهم وكان ذلك في ظلام الليل ولهذا قال الانجيلي ان الجنود والخدّام كانوا حاملين لمشاعل ومصابيح . واذ شعر مخلصنا بقدومهم علم أنه ملاقي الموت فتقدم اليهم بهدوء وسكينة وأبان شجاعته باظهاره نفسه ومقدرته باسقاطهم على الارض لان ارتدادهم من امامه لم يقع بارادتهم الشريرة الممتلئة خبثاً بل بقوته القاهرة فأعلمتهم ضعفهم وعدم فائدة السلاح الذي يحملونه . وقد كانوا أتوا به لخوفهم من الشعب المائل بقلبه واعتباره الى يسوع . وأيضاً بسبب هذا الخوف عينه جاءوا ليلاً

﴿ ٧ ﴾ فسألهم ثانية من تطلبون . فقالوا يسوع الناصري . ﴿ ٨ ﴾ أجاب يسوع قد قلت لكم اني أنا هو فان كنتم تطلبوني فدعوا

هؤلاء يذهبون . ﴿ ٩ ﴾ لتتم الكلمة التي قالها ان الذين أعطيتهم لي لم يهلك منهم أحد .

ان سقوط الجنود وتابعيهم امام يسوع لم يخزهم بل زادهم جسارة ووقاحة . واذ قاموا أظهر مخلصنا نفسه ثانيةً ودلّهم على انه هو الذي يطلبونه ليعلم الجميع انه بارادته يتركهم يهجمون عليه . ثم منعهم سلطانه عن ان يمسوا تلاميذه باذى لانه يسلم نفسه لاجلهم ولاجل العالم أجمع فتمّ اذ ذاك تحقيق الكلمة التي قالها له المجد من قبلُ وهو انه لم يهلك ممن أعطاه اياهم الآب الاّ ابن الهلاك أي يهوذا الاسخريوطي الذي حُرم الحياة الابدية بحريته

﴿ في قطع أذن ملكس وذهاب يسوع الى دار رئيس الكهنة ﴾

﴿ ١٠ ﴾ وكان مع سمعان بطرس سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى وكان اسم العبد ملكس . ﴿ ١١ ﴾ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك في غمده . الكأس الذي اعطاني الآب الا أشربها .

الأذن اليمنى تمثل الشعب الذي لا يريد الخلاص ويرفض سيده الآتي لعتقه فانه يُقطع ويُطرح خارجاً . ثم اعلم ان السيد لم يكن بمحتاج ان يدافع احد عنه ولذلك منع تلميذه عن الضرب وشفى العبد المضروب بارجاع الاذن الى مكانها من جسمه. وكان قصد بطرس ان يقطع له رأسه فلم يفلح الاّ انه في قطعه الاذن رمزَ الى ان العبد الذي يأبى العتق فان أذنه اليمنى تُثقب دلالةً على انه باقٍ في الذلّ وهذا ما صرّح به الناموس

﴿ ١٢ ﴾ ثم ان الفرقة والقائد وخدام اليهود أخذوا يسوع وأوثقوه ﴿ ١٣ ﴾ وجاءوا به اولاً الى حنان لانه كان حما قيافا الذي كان رئيس

الـكهنة في تلك السنة . ﴿ ١٤ ﴾ وكان قيافا هو الذي اشار على اليهود وقال
انه خير ان يموت رجل واحد عن الشعب .

ان اليهود فرحوا بالقبض على المخلص وافتخروا بعملهم . وأول من أتوا اليه كان حنان فقالوا : من يطلبه قيافا عظيم الـكهنة قد أوثقناه . ولاحظ ان الانجيلي يذكر نبوة قيافا ليبين ان أعداء يسوع أعينهم كانوا اذا تكلموا عنه نادوا بالحق واثبتوا الغاية التي لاجلها هبط من السماء . ومن العقائد الاكيدة الواجب الايمان بها ان السيد المسيح مات لخلاص الشعب كله لا اليهود فقط بل كل ذرية آدم العاصي وقدم نفسه ذبيحة بدلاً عن الجميع ليصير حياة للجميع ويتجدد بموته النوع الانساني .

﴿ ١٥ ﴾ وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع . وكان ذلك
التلميذ معروفاً عند رئيس الـكهنة فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة .
﴿ ١٦ ﴾ أما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً فخرج ذلك التلميذ الآخر
الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة فكلم البوابة وأدخل بطرس .

أرتأي ان يوحنا الذي ذكر عن نفسه انه كان معروفاً عند رئيس الـكهنة كان من أقاربه . وبسبب القرابة تجرّأ ودخل الى داره وأيضاً بسببها أمكنه ان يُدخل بطرس معه وترجى البوابة بالاذن له . وانما روى جميع هذه الظروف لئلا يُظنّ فيه الوقاحة او يُقال عنه انه قادر على ان يعمل ما يشأ لاتكاله على نفسه وافتخاره بسلطانه فدفع عنه التهمة بالمجد الباطل . وكأنه أثنى على بطرس وشجاعته فأفهمنا ضمناً ان سائر التلاميذ هربوا ولم يبقَ مع السيد الاّ سمعان بطرس

﴿ في انكار بطرس ليسوع ومثول السيد امام رئيس الكهنة واللطمة التي لُطمها ﴾

﴿ ١٧ ﴾ فقالت الجارية البوابة لبطرس أما أنت من تلاميذ هذا الرجل

فقال ماأنا منهم . ﴿ ١٨ ﴾ وكان العبيد والخدام واقفين وقد أضرموا جمراً لأنه كان برد وكانوا يصطلون وكان بطرس ايضاً معهم واقفاً يصطلي .

تأمل في ضعف الانسان اذ تشاهد بطرس الرسول قد خاف من جارية صغيرة لا ساطة لها ولا تأثير . وقابل نكرانه الحاضر ليسوع بما قاله من مدة غير بعيدة حينما أعلن انه يضع نفسه ويبذلها عن سيده . ثم انظره خائفاً لايدري ما يصنع وهو بين الشرط والعبيد الواقفين كعادة مَن مِن نوعهم في الساحة الخارجة عن دار سيدهم .

﴿ ١٩ ﴾ فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . ﴿ ٢٠ ﴾ فأجابه يسوع أنا كلمت العالم علانيةً وعلمت في كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم أتكلم بشيء خفيةً ﴿ ٢١ ﴾ فلم تسألني أنا . سلْ الذين سمعوا ما كلمتهم به فانهم يعرفون ما قلته . ﴿ ٢٢ ﴾ فلما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً وقال أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . ﴿ ٢٣ ﴾ أجابه يسوع ان كنت تكلمت بسوء فاشهد علي بالسوء وان بخير فلماذا تضربني .

سأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه لانه لم يجد فيه ملامةً سوى انه جمع تلاميذ ليلقي عليهم تعاليم مخالفة للناموس فاجاب له المجد : لم ألقِ تعاليمي على التلاميذ فقط بل على الناس المتقاطرين كلهم بدون استثناء ولم أقل شيئاً في السر بل تكلمت ظاهراً وفي الهيكل فاسأل حتى أعداءي ليشهدوا لك عني . وكما أن عادة الاشرار ان يستأوا من الحق لطم خادم السيد يسوعَ لتكلمه بالحق . واننا نشكر الله الذي لطم صبره وطول اناته فاحتمل هذه الاهانة الكبرى ليعلمنا الصبر على الشدائد والشجاعة عند نزول المصائب علينا ولو بغير حق . وما ابدع هدؤه في جوابه وهو أن وجدت في كلامي شيئاً يستوجب اللوم فدلني عليه والا فلماذا تضربني .

﴿٢٤﴾ فأرسله حنان موثقاً الى قيافا رئيس الكهنة . ﴿ ٢٥ ﴾ وكان سمعان بطرس واقفاً يصطلي فقالوا له ألست أنت من تلاميذه . فأنكر وقال لست أنا منهم . ﴿ ٢٦ ﴾ فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع سمعان بطرس أذنه أما رأيتك أنا في البستان معه . ﴿٢٧﴾ فانكر بطرس ايضاً . وللوقت صاح الديك .

لما نظروا انهم عاجزون عن تأثيمه بشيء وعن ردّ الجواب أرسله حنان الى قيافا أما سمعان فما تحرّك من مكانه لما كان مستولياً عليه من الخوف فتقدم اليه خدام اذلاّ. لا يقدرون على الدخول الى حنان ليفضحوا أمره وسألوه هل هو من تلاميذ المسيح فخاف منهم وأنكر بكل جسارة فذكّره احدهم وكان نسيباً للمكس بما وقع في البستان فأنكر ايضاً من رعبته وجحد معلمه الاّ ان سيدنا دعاه اليه بصياح الديك وكانت هذه هي العلامة التي وضعها من قبل عنايةً منه بامر تلميذه ودعوةً له الى التوبة واختلف يوحنا وسائر الانجيليون في المكان الذي جحد فيه بطرس سيده فوضعه الاول في بيت حنان ووضعه الآخرون في بيت قيافا . وان كان هذا الاختلاف ظاهراً فان كتبة الانجيل لم يقصدوا في الرواية الاّ ذكر نكران بطرس وقد أجمعوا عليه بظروفه كلها وغايتهم تعليمنا ألاّ نثق بنفوسنا بل نسلم أمورنا الى الله فيدبرها كما يريد على أحسن طريقة (طالع تفسير انجيل متى ٢٦ : ٧٠ — ٧٤)

﴿ في اتيان يسوع الى بيلاطوس ﴾

﴿٢٨﴾ وجاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية وكان الصبح ولم يدخلوا الى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيمتنعوا عن أكل الفصح .

بقي سيدنا في محكمة قيافا كلّ الليل ولما لم يروا فيه عيباً ولا ما يستحق اللوم أرسلوه في الصبح الى بيلاطوس . وانظر الى شرهم البالغ فانهم يرضون لنفوسهم بسفك

الدم الطاهر و باتيان أكبر المعاصي و يخافون ان يتنجسوا من دخول دار الولاية . وان سألت لماذا أتوا بالسيد الى بيلاطوس ؟ قلتُ انه كان للرومان لا غير ان يحكموا بالموت وكانوا قد استولوا على الاحكام وجعلوا اليهود عبيداً . واعلم ان يوم الفصح كان واقعاً في الجمعة التي صُلب فيها السيد لهُ المجد ودليل ذلك أولاً ان اليهود لم يدخلوا في ذلك اليوم دار الولاية قصد ان يتمكنوا من أكل الفصح وهم أبرار طاهرون . ثانياً انه قيل سابقاً ان السيد أتى الى بيت عنيا قبل آلامه وموته بستة أيام فهذا التعيين ينطبق على يوم الجمعة . ثالثاً ان قبل عيد الفصح علم يسوع ان ساعته قد دنت لينتقل من هذا العالم فصنع العشاء ثم غسل حالاً أرجل تلاميذه و بعدها ناول يهوذا اللقمة وما عتم ان ألقي عليه القبض وانما جرى ذلك يوم الخميس مساء فكان اليوم الثاني الجمعة . وتبعاً لرأي أبيوليطس ان السيد المخلص لم يأكل الفصح لانه كان المزمع ان يُذبح كالخروف وهو الفصح الحقيقي . أما قوله بانه اشتهى شهوة أن يأكل مع تلاميذه هذا الفصح فانه دلّ على رغبته في احتمال الآلام وعلى رسمه سرّ جسده ودمه وكسره في هذا السر جسده عينه واراقته دمه عينه . وما القول على الاعتراض الآتي ومفاده ان غير يوحنا من الانجيليين رووا ان تلاميذه له المجد سألوه أين تريد ان نعد الفصح وهو أجاب على سؤالهم وعين لهم ظروف اعداده وتهيئته . فقد أجاب القديس العلامة عينه: ان التلاميذ لم يكونوا عالمين عند سؤالهم ان المسيح هو الخروف السري الذي يُذبح فتركهم يُعدون بلا مانع ما يشاءون حتى اذا اجتمع بهم في الزمن المعين والقاعة المعينة واتكأ ما بينهم أمكنه ان يرسم سر القربان المقدس و يغذيهم بجسده ودمه . وقبل رسمه هذا السر لم يكن قد أكل الفصح بدليل انه كان متكئ وتلاميذه مثله والفصح يؤكل بدون اتكاء ثم اكل من القصعة وفيها طبيخ والفصح غير مطبوخ ـ وخالف ابيوليطس معلمون آخرون فاثبتوا ان يسوع أكل الفصح الناموسي في ذلك المساء قبل آلامه وموته وانه أكل فصحين بعد عماده من يوحنا في الاردن الاول بعد العماد عينه والثاني قبل موته عند ما رسم سر القربان. وقال يعقوب الرهاوي انه له المجد أكل الفصح ثلاث مرات

بعد عماده في الاردنّ بدليل انه بقي سنتين ونصف بعد هذا الزمن الذي انفتحت فيه السماوات بطريقة محسوسة وهذا هو الرأي الاصحّ

﴿ ٢٩ ﴾ فخرج بيلاطس اليهم وقال أية شكاية تُوردون على هذا الرجل . ﴿٣٠﴾ أجابوا وقالوا له لو لم يكن هذا عامل سوء لما كنا أسلمناه اليك . ﴿٣١﴾ فقال لهم بيلاطس خُذوه أنتم واحكموا عليه بحسب ناموسكم فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً ﴿٣٢﴾ ليتم قول يسوع الذي قاله دالاً على أية ميتة كان مزمعاً أن يموتها .

لما رأى بيلاطس يسوع موثقاً ومقاداً اليه أخذ يفحص كما يجب على كل قاضٍ عن الشكاية التي استوجبت له هذه المعاملة لانه لا يليق بصاحب القضاء العارف ولو بعض المعرفة بواجبات مقامه ان يحكم بالعقوبة أو بالنجاة منها قبل ان يحقّق هل الذنب حقيقي او كاذب . وهذا مادعا الحاكم الروماني أن يسأل عن الشكاية ومن الغريب ان اليهود لم يوردوا على مخلصنا ذنوباً خاصة بل قالوا : انه عامل سوء ولم يفسروا ما هذا السوء بالتفصيل فاذ ذاك بانَ ظلمهم فرفض بيلاطس طلبهم بقوله : خذوه واحكموا عليه . لانه أبى ان يكون شريكهم في الشر . وانتبه هنا الى توغلهم في كره السيد فانهم أظهروا رغبتهم في قتله قبل ان يُحكم عليه بانه مرتكب لذنب ما . وكان سيدنا قد تنبأ انه سيقتل صلباً وذلك عند ما ذكر ان ابن الانسان سيرتفع كما رفع موسى الحية في البرية

﴿ ٣٣ ﴾ فدخل ايضاً بيلاطس الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أأنت ملك اليهود . ﴿٣٤﴾ أجاب يسوع أمن عندك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني . ﴿ ٣٥ ﴾ فأجاب بيلاطس ألعلي أنا يهودي . ان أمتك ورؤساء الكهنة هم أسلموك اليّ فما الذي صنعت . ﴿ ٣٦ ﴾ أجاب يسوع

ان مملكتي ليست من هذا العالم ولو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يحاربون عني لئلا أسلم الى اليهود . والآن فان مملكتي ليست من هنا .

سؤال سيدنا لبيلاطس موجه لافادة بيلاطس عينه حتى يكشف له الغطاء عن خبث اليهود ويحكم عليهم بالمكر والشر وكأنّ معناه : ان كان اليهود أسلموني اليك ظالماً فلمَ تستند الى قولهم الكاذب ولمَ لا تفتش عن الحق لتعرفه . ثم ان مخلصنا لم يعنِ بقوله : « ان مملكته ليست من هذا العالم » أن لا عناية له بهذه الدنيا بل انما أراد رفعَ عقل سائله وجعله ينظر اليه لا كالى انسان عاصٍ متمرد على السلطة ليزيل عنه الخوف الذي استولى عليه من مجرد قول اليهود له : ان هذا يريد ان يصير ملكاً ويثير عواطف الشعب على قيصر . فلذلك قال له المجد ان مملكته ليست من هذا العالم بل هي مملكة أشرف مما نراه في ممالك الارض المحتاجة الى خدام وجنود يدافعون عنها وهي قادرة لا يعلوها سلطان لان مصدرها من غير الارض أي من القوات السماوية وبذلك دل مخلصنا على انه اله وعلى انه يسلم نفسه بارادته الى الألم

﴿ ٣٧ ﴾ قال له بيلاطس أفملك أنت اذن . أجاب يسوع أنت قلت اني ملك اني لهذا ولدت ولهذا أتيت الى العالم لأشهد للحق فكل من كان من الحق يسمع صوتي . ﴿ ٣٨ ﴾ قال له بيلاطس وما هو الحق . قال هذا وخرج ايضاً الى اليهود وقال لهم انني لا أجد فيه علة .

معنى جواب سيدنا على سؤال الحاكم الروماني: صدّق بما قلته من اني ملك سماوي وقد وُلدت في الازل لأكون سلطاناً وأتيت في الزمن الى الارض لاشهد بسلطنتي فعملي ان أقول الحق فلا اكذب ولا أخدع وما سمع بيلاطس كلمة الحق حتى جذبته رغبة معرفته والاطلاع عليه وهذا ما قصده المسيح وانما بيلاطس كان من ذوي العقول

الشاردة القلقة الذين يتقلّبون من حال الى حال وما سأل عن الحق ما هو حتى خرج امام الشعب وبرّأ السيد المسيح من كل تهمة وأعان جهاراً انه غير مستوجب لعقوبة أو شجب .

﴿٣٩﴾ وان لكم عادة ان أطلق لكم في الفصح واحداً أفتريدون ان أطلق لكم ملك اليهود . ﴿٤٠﴾ فصرخوا ايضاً جميعهم قائلين لا هذا بل برأبا وكان برأبا لصاً

شاء بيلاطس اخجال اليهود وملاشاة وقاحتهم واطلاق يسوع لانه غير ملوم في شيء فاغتنم فرصة العيد لتخليصه . أما هم فطلبوا تخليص من كان شبيهاً لهم في ارتكاب المعاصي أي اطلاق برأبا الذي قال عنه يوحنا فم الذهب انه قتل عدداً عظيماً تجاوز المئات والالوف وكان من كبار اللصوص بل زعيمهم وقد أدخل السجن لاراحة الناس مما كان يثيره من الفتن وينشره ما بينهم من الخصومات والاضطراب وكانت العادة ان يطلب اليهود اطلاق أسير في كل فصح تذكاراً لخلاصهم من عبودية مصر

الاصحاح التاسع عشر

﴿ في جلد يسوع وتكليله بالشوك وحكم بيلاطس عليه بالموت ﴾

﴿١﴾ حينئذ اخذ بيلاطس يسوع وجلده . ﴿٢﴾ وضفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوباً من ارجوان . ﴿٣﴾ وكانوا يقبلون اليه ويقولون السلام ياملك اليهود ويلطمونه . ﴿٤﴾ فخرج بيلاطس ايضاً وقال لهم ها أنا أخرجه اليكم لتعلموا اني لا اجد فيه علة . ﴿٥﴾ فخرج يسوع وعليه اكليل الشوك وثوب الارجوان فقال لهم هو ذا الرجل . ﴿٦﴾ فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين

اصلبه اصلبه . فقال لهم بيلاطس خذوه انتم واصلبوه فاني لا أجد فيه علة .

ان قصد بيلاطس من جلد يسوع وتركه العسكر يكلله بالشوك ويضربه ويلبسه ثوب الارجوان ان يهدئ غضب اليهود ويجعلهم يميلون عنه . أما هم فظنوا الوالي من تباع يسوع لا سيما وقد أعلن براءته من كل ذنب فأخذوا يضحكون ويصرخون وما تابوا عن ارادتهم القبيحة . وظلّ بيلاطس على تمنعه عن الحكم عليه بالموت فقال : خذوه أنتم واصلبوه أما أنا فلا افعل لاني اراه بريأً من كل شكاية تفوهتم بها في حقه

﴿٧﴾ أجابه اليهود ان لنا ناموساً وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت لأنه جعل نفسه ابن الله . ﴿٨﴾ فلما سمع بيلاطس هذا الكلام ازداد خوفاً . ﴿٩﴾ ودخل أيضاً الى دار الولاية وقال ليسوع من اين أنت فلم يرد يسوع عليه جواباً . ﴿١٠﴾ فقال له بيلاطس ألا تكلمني أما تعلم ان لي سلطاناً ان اطلقك ولي سلطاناً ان اصلبك . ﴿١١﴾ فأجاب يسوع ما كان لك عليّ من سلطان لو لم يعطَ لك من فوق من اجل هذا فالذي اسلمني اليك له خطية أعظم .

لم يسمعْ بيلاطس بانه ابن الله حتى خاف وقال في نفسه : لعله كما يقولون . وحاول حالاً الاستعلام من يسوع الذي رفض الجواب لانه كان قد جاوبه بقوله له : لهذا ولدت ثم كانت افعاله ومعجزاته الطائرة الشهرة تعلن ذلك . وأراد الوالي اظهار سلطانه لجذب سيدنا الى التكلم فلم يفلح وكان الاولى به استخدام هذا السلطان عينه لمنع اليهود عن قتل بريء الاّ ان سيدنا أعلمه اذ ذاك ان سلطان ولايته ووجوده له المجد بين أيدي اليهود وعدم تخليصه نفسه كل ذلك مأذون به من الله بتدبير سماوي . وكأنه قال : أنا بنفسي أسلمت ذاتي وأنا مريد ان يكون لك سلطة عليّ وانك لمذنب بعدم مدافعتك عني كما هو اللازم لمن تولّى قيادة الجمهور ومحاكمتهم وتحقيق الآثام ولو ان

يهوذا تلميذي المسلم الخائن اكبر ذنباً لانه رأى رؤية العين اعمالي وناله نصيب من حسن معاملتي وهو من تابعي الناموس لكنك من عبدة الاصنام وما شاهدت معجزاتي الباهرة .

﴿١٢﴾ ومذ ذاك كان بيلاطس يطلب ان يطلقه . لكن اليهود كانوا يصرخون قائلين ان انت أطلقته فلست محباً لقيصر لأن كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر . ﴿١٣﴾ فلما سمع بيلاطس هذا الكلام اخرج يسوع ثم جلس على كرسي القضاء في موضع يقال له ليتستروتس وبالعبرانية جبعثا

لما أنب سيدنا بيلاطس باعلانه مرتكباً للاثم وشريكاً في الخطية قصد الوالي ان يطلقه ليتخلص من المسؤولية . ونظر اليهود ان باستشهادهم بناموسهم لا يستفيدون شيئاً فتحوّلوا الى طريقة أخرى واحتجوا بان تخليص يسوع مخالف لمصالح قيصر وكان من واجب بيلاطس ان يطالبهم بالدليل على قولهم هذا ويستعلم منهم عن قوة يسوع وعن جنوده وسلاحه وخيله فلم يفعل للرعبة التي سادت في قلبه لكنه جلس على كرسيّ القضاء كأنه يريد ان يجري فحصاً مدققاً عن الحالة . واعلم انه كلمة جبعثا تعني الرصيف لان المحل كان مرصوفاً بالحجارة فيجلس فيه القاضي ويصدر أحكامه . وكان اليوم يوم جمعة وفيه يُعد اليهود ما يلزمهم للسبت الذي اتخذوه زمن راحة وانظر في هذين اليومين الجمعة والسبت سراً روحياً عظيماً ورمزاً الى ان الصلب أعدّ لخلاصنا في الاول قصد أن يعطي به الراحة في اليوم الثاني التابع .

﴿١٤﴾ وكانت تهيئة الفصح وكان نحو الساعة السادسة . فقال لليهود هوذا ملككم . ﴿١٥﴾ أما هم فصرخوا ارفعه ارفعه اصلبه . فقال لهم بيلاطس أأصلب ملككم . فأجاب رؤساء الكهنة ليس لنا ملك غير قيصر .

﴿١٦﴾ حينئذ أسلمه اليهم ليصلبوه فأخذوا يسوع ومضوا به .

شاء بيلاطس التخلّص فقال : أيها الغير الخاضعين للصواب والحق ها اقدّم لكم ملككم فاعملوا به ما تريدون . فما زادهم هذا القول الآ حنقاً وغضباً فقذفت أفواههم عبارة طالب القتل والصلب. وعلموا ان الوالي يُخجلهم ويزدريهم بتسميته يسوع ملكاً عليهم فما اكترثوا للامر بل خوّفوا بيلاطس الضعيف العزيمة وأعانوا ملكهم قيصر لا غيره . فما اشرّهم وما اذل عواطفهم فقد كان يلزمهم ان يقرّوا بالخضوع بربوبية يسوع ويدعون الآخرين الى الاعتراف بها لكنهم آثروا التعبد لقيصر والكفر بمواهب الفادي ولهذا السبب روى يوسيفوس المؤرخ ان هلاكهم تم يوم عيد الفصح

﴿ في سلوك يسوع الى الجلجلة وصلبه ﴾

﴿١٧﴾ فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع المسمى الجمجمة وبالعبرانية يسمى الجلجلة

سلم بيلاطس يسوع عن جهل وضعف فاستلمه اليهود وحملوه صليباً وتمّ لهم ذلك في ايوان سليمان حيث كانت خشبة الصليب مرمية قيل انها من فرع الشجرة التي وجد ابراهيم بجانبها الكبش الذي ذبحه عوضاً عن اسحق ابنه . وكلمة الجمجمة سريانية وهو اسم موضع مرتفع وقد تسمى كذلك من جمجمة آدم التي دفنها فيه سام بن نوح وكان نوح قد حمل معه في سفينته عظام أبي البشر وخلّصها من الغرق والملاشاة . فعلى الجمجمة انتصب صليب آدم الثاني الذي فدى البشر وعوّضهم ما أضاعه الاول فابتدأت الحياة حيث ساد الموت . واما حمل مخلصنا صليبه على كتفه علامة انتصار على ابليس ودلالة على قهره قوّات الشر

﴿١٨﴾ حيث صلبوه وآخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط

﴿١٩﴾ وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب وكان المكتوب فيه

يسوع الناصري ملك اليهود . ﴿٢٠﴾ وهذا العنوان قرأه كثير من اليهود لان الموضع الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية .

صُلب يسوع بين لصين ليقال عنه انه شبيه بهما فعمل الشر كما فعلا وبذلك تحققت النبوة القائلة : انه عُدّ مع الآثمة وكان اذ ذاك كملك حفّت به جنوده يميناً وشمالاً وأثبت ملكه ولو عن غير قصد الوالي الروماني الذي كتب بلغات ثلاث هذا العنوان : يسوع الناصري ملك اليهود . ولم يحمل بيلاطس على هذه الكتابة غير حبه الانتقام من اليهود وشتمهم بسبب انهم أبغضوا مجاناً من نشر حسناته ما بينهم فصلبوه بين مجرمين للحطّ من قدره الكريم ثم نوى سد أفواههم وقطع شكاياتهم لقيصر عنه وهذا ما رآه الذهبي الفم . ومن المعلوم بالتاريخ ان بيلاطس لم ينجُ امام قيصر من الملامة فعزل من الولاية لانه قتل رجلاً باراً قد أتى بالعجائب الباهرة الجزيلة النفع — وقال بعضهم ان عناية الله دبرت بالكتابة ان أمكن بواسطتها تمييز صليب المسيح من صليبي المجرمين اللذين صُلبا معه . وقال آخرون ان العادة الجارية أن تُكتب علة المصلوبين على لوح وتُعلق فوق رؤوسهم ليعرفها القاصي والداني . وهذا ما حدث ليسوع فشاع ظلم اليهود بين الامم القريبة والنائية وكان المكتوب شاهداً يوبخهم بثلاثة ألسنة حادة على قبح عملهم .

﴿ ٢١ ﴾ فقال رؤساء الكهنة لبيلاطس لا تكتب ملك اليهود بل انه هو قال أنا ملك اليهود . ﴿٢٢﴾ أجاب بيلاطس ما كتبت فقد كتبت .

حاول اليهود تبديل الكتابة لانهم عدوها مهينة لهم وسبب تبكيت وطلبوا ان يُكتب أن المسيح هو قال أنا ملك قصد ان يجعلوها سخرية ويثبتوا عليه ذنباً ويبرروا بالكذب والبهتان عملهم الشائن . وكان كل من قرأ الكتابة يفهم ان اليهود صلبوا ملكهم بعد ان أذاقوه مرّ العذاب . فلم يصغ بيلاطس لطلبهم لان العناية الفوقانية هي

التي اضطرّت الوالي الى عمل ما عمله . فثبت بذلك قول الملاك لمريم حين بشرها
بانها تحبل بالمخلص ومفاده : ان لملكه لا يكون انقضاء .

﴿٢٣﴾ وان الجند لما صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل جندي قسم وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص غير مخيط منسوجاً كله من فوق . ﴿٢٤﴾ فقالوا فيما بينهم لا نشقه ولكن لنقترع عليه لمن يكون ليتم الكتاب الذي قال اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا . هذا ما فعله الجند .

أجرى الجنود عملاً يشبه فعل اللصوص فتمّ ما قيل عنهم في النبوّة . وكان ليسوع أربع قطع من الملبوس اي الرداء والحذاء ومِحزم وسطه والقميص فأخذ كل من الجنود الاربعة قطعة . وكان القميص منسوجاً كله على شبه القمصان التي تحاك في زماننا . قيل انه حُفظ بالاكرام وكان الناس يرفعونه الى السماء عند ما تقل الامطار فتهطل عليهم مياه غزيرة يحيا بها الارض والزرع .

﴿٢٥﴾ وكانت واقفة عند صليب يسوع أمه واخت امه مريم التي لكلوبا ومريم المجدلية . ﴿٢٦﴾ فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك . ﴿٢٧﴾ ثم قال للتلميذ هذه أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته .

أتى الانجيلي بذكر مريم أم فادينا والمريمين الاخريين ليبين لنا ان الجنس الضعيف أظهرَ قوةً وثبات جنان وجميل صبر على الاحزان أكثر من الرجال الذين احتموا بالهرب . فأم يسوع ومن معها نظرن الصلب وما قاساه مخلصنا من الاوجاع

وسمن شتائم الجمع واحتمال المتألم المقرون بشجاعة لا تفوقها شجاعة

﴿٢٨﴾ وبعد هذا رأى يسوع ان كل شيء قد تمّ فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان . ﴿٢٩﴾ وكان اناء موضوعاً مملوءاً خلاً فملأوا اسفنجة من الخل ووضعوها على زوفى وأدنوها من فيه . ﴿ ٣٠ ﴾ فلما أخذ يسوع الخل قال قد تمّ وأمال رأسه وأسلم الروح .

كل ما سبق الانبياء وذكروه عن يسوع وتدابيره وعذابه وصلبه جرى تكميله . وتأملْ هنا في قسوة اليهود وشراسة أخلاقهم فان العدوّ اياً كان عند ما يرى خصمه قد ناله الضعف والوهن ووصل الى آخر رمق من الحياة يترحم عليه ويتجرد من شدة غضبه أما اليهود فان عواطفهم ليست ببشرية وما سمعوا ان يسوع يطلب ان يشرب حتى أدنوا من فمه اسفنجة فيها خل ومر وأسقوه غصباً . وكانت العادة ان يُقدم للمصلوبين اسفنجة فيها ماء ليرطبوا به شفاههم واما هم فخوالفت العادة مع المسيح .

﴿ ٣١ ﴾ ثم اذ كان يوم التهيئة فلئلا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس ان تكسر سوقهم ويُذهب بهم . ﴿٣٢﴾ فجاء الجند وكسروا ساقي الاول والآخر الذي صلب معه . ﴿٣٣﴾ وأما يسوع فلما انتهوا اليه ورأوه قد مات لم يكسروا ساقيه . ﴿٣٤﴾ لكن واحداً من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماء . ﴿ ٣٥ ﴾ والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا انتم . ﴿ ٣٦ ﴾ لأن هذا كان ليتم الكتاب انه لا يكسر له عظم . ﴿٣٧﴾ وقال ايضاً كتاب آخر سينظرون الى الذي طعنوا .

انتبه هنا اولاً الى ان السبت الحاضر دعي عظيماً لانه وقع في زمن الفصح وفيه

كان منتهى الخمسين أسبوعاً ليرجع كل الى ميراثه وليجري عتق العبيد . ثانياً الى ان الدم والماء الخارجين من جنب يسوع يدلاّن على سر الخلاص الذي نقتبله بالعماد وكما خرجت حواء من جنب آدم هكذا نخرج كانا بالمعمودية اولاداً روحيين من جنب المسيح . ثم ان الدم والماء نزلا على جمجمة آدم وطهّراها وذرّيته من دنس المعصية . ثالثاً الى ان يوحنا يثبت عن نفسه انه رأى يسوع يُطعن بالحربة فيخرج منه دم وماء لانه كان قريباً من المصلوب فقوي على ان يشاهد كل شيء . وذهب قوم الى انه أمكنه رؤية الدم مفروقاً عن الماء وغير مختلط به ولو ان غيره لم يروا ذلك أما لعدم انتباههم او لبعدهم . ومن الواجب ان نصدّق شهادة هذا الرسول لانه انما يخبرنا باهانة حصلت للسيد المسيح لا بتعظيم وتكريم . رابعاً الى ان الكتاب يأمر بألاّ يكسر عظم لخروف الفصح عند ما يؤكل وذلك دلالة على ما سيحصل للسيد المسيح الحمل الالهي

﴿ في دفن يسوع ﴾

﴿٣٨﴾ ثم أن يوسف الذي من الرامة وكان تلميذاً ليسوع لكنه كان يستتر خوفاً من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع فأذن له بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع .

بعد ان تمت التدابير الالهية جاء يوسف الذي دعاه متى رجلاً غنياً وسماه مرقس مشيراً أي عضو بمشورته الملوك وعظماء الارض ووصفه لوقا بانه رجل صالح بار غير موافق لرأي اليهود ووضعه يوحنا بين صف التلاميذ الذين كانوا من غير الاثني عشر رسولاً وكان عبرانياً من مدينة الرامة في اليهودية حيث قتل الاطفال ولما كان معروفاً عند بيلاطس وله مقام ذو رفعة واعتبار أمكنه ان يطلب وينال جسد يسوع وكان لا يتظاهر بميله الى الفادي لخوفه من غضب اليهود

﴿٣٩﴾ وجاء ايضاً نيقوديمس الذي كان قد جاء الى يسوع ليلاً من قبل ومعه حنوط من مر وصبر نحو مئة رطل . ﴿٤٠﴾ فأخذا جسد يسوع

ولفاه في لفائف كتان مع الاطياب على حسب عادة اليهود في دفنهم .

ومثل يوسف كان نيقودمس وهو من تلاميذ يسوع أخفى نفسه من الخوف ايضاً الاّ انه لما سمع بموت معلمه لم يصبر على الامر بل قادته محبته الى ان يأتي ويشترك مع يوسف في دفنه والاثنان أفرغا الطاقة في ان يدفنا يسوع بالاكرام اللائق برجل عظيم الشأن شريف المنزلة وكانت عادة اليهود ان يحفظوا أجساد الاشراف ملفوفة في الحنوط ففعلا تبعاً لهذه العادة ولم يأذن لاحد من الرسل أن يشترك معهما في الدفن . وانما دبرت عناية الله أن يحنّط الجسد الالهي ليظهر كذب اليهود المدعين ان تلاميذه اتوا فسرقوه وشهروا انه قام فان كانوا قد سرقوه فليقولوا لنا كيف ان الاكفان اللاصقة بالحنوط والجسد لم تتمزّق عند ما حلوها من على الجسم وفيها مئة رطل من المر والصبر وقد بقيت هذه الاكفان مع المنديل في القبر الخالي من يسوع

﴿ ٤١ ﴾ وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد بعد ﴿ ٤٢ ﴾ فوضعا يسوع هناك لاجل تهيئة اليهود لأن القبر كان قريباً

قال يعقوب السروجي ان القبر كان قبر يشوع بن نون توارثه الخلف عن السلف حتى وُضع فيه يسوع لكن يوحنا يشهد بانه كان جديداً لم يوضع فيه احد . وكان قريباً من مكان الصلب فأمكن اجراء الدفن بدون تأخير قبل حلول ليلة السبت التي يحرم فيها نقل جسد من مكان الى آخر والدنو من ميت ثم بعناية خاصة وجد القبر قريباً اولاً ليتمكن التلاميذ من الاتيان اليه لتحقيق القيامة ثانياً ليضع حالاً الصالبون الختم عليه ثم كان جديداً لئلا يقول الصالبون أعينهم انغير يسوع ممن دفن فيه قد قام وأيضاً كان من حجر دلالة على ان الكنيسة التي يكون فيها السيد يسوع هي ثابتة غير متزعزعة

﴿ الاصحاح العشرون ﴾

﴿ في اتيان مريم وبطرس ويوحنا الى القبر ﴾

﴿ ١ ﴾ وفي أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر في الغداة والظلام باقٍ فرأت الحجر مدحرجاً عن القبر .

قال اوسابيوس : لما أتت مريم كانت الظلمة سائدة فما امكنها ان ترى الأكفان ثم عادت الى التلاميذ وأتت ثانية برفقتهم فظهرت اذ ذاك لفائف الكتان في القبر وقد صد التلاميذ عن المجيء الى القبر ليلاً لئلا يدعي اليهود أنهم هم الذين سرقوا الجسد .قال ساويرس ويعقوب ان منذ قام السيد اخذ النور يرمي باشعته في القبر وخارجاً عنه فكان كل آتٍ قادراً على ان يرى كل شيء . وذهب بعضهم الى ان النور كان مصدره وجه الملاك الذي كان منظره يلمع كالبرق وقد دحرج الحجر ليعلم الجميع ان القبر خالٍ وان المسيح قام حقاً .وجلس عليه ليرشد الآتين الاعزاء الى الحادث الجلل . ومما يستحق الالتفات محبة المجدلية للمعلم الالهي واهتمامها بهذا السيد المحسن الكبير كما سيبين من الآيات الآتية .

﴿ ٢ ﴾ فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما قد أخذوا الرب من القبر ولا نعلم أين وضعوه .
﴿ ٣ ﴾ فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأقبلا الى القبر . ﴿ ٤ ﴾ وكانا مسرعين معاً فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء الى القبر اولاً .
﴿ ٥ ﴾ وانحنى فرأى الاكفان موضوعة لكنه لم يدخل .

تألمت المجدلية وحزنت لجهلها قيامة سيدنا . وهذا ما دعاها الى الاسراع لاخبار بطرس ويوحنا ان القبر خالٍ . ولا تسل عن فرح سمعان ويوحنا عندما علما بالامر ولما كان الثاني في عنفوان قوته وشبابه سبق الاول الذي كانت السن قد اثقلته ومعروف

ما كانت دالة يوحنا ازاء فادينا . وان كان لم يدخل القبر قبل وصول سمعان حافظاً له المقام الاول فانه لم يقدر ان يملك رغبة قلبه المحبّ للنظر في داخل القبر حيث وقعت عينه على الاكفان فتحقق القيامة ودليل ذلك انه لو كان سارق قد سرق الجسد لما عراه ولكان يسرع خوفاً من اليهود والحراس ثم لما كان يلفّ المنديل المغطى به الرأس ويضعه في ناحية بل لكان حمل الجسد حالاً وهرب فضلاً عن الحنوط التي كانت كثيرة لاصقة بالجسد والثياب وليس في الاستطاعة تجريد الجسم والاكفان منها بدون تمزيق هذه الاكفان عنها

﴿ ٦ ﴾ ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأى الاكفان موضوعة ﴿ ٧ ﴾ والمنديل الذي على رأسه غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفاً في موضع على حدته ﴿ ٨ ﴾ فحينئذٍ دخل التلميذ الآخر الذي جاء أولاً الى القبر فرأى وآمن ﴿ ٩ ﴾ لانهم لم يكونوا بعدُ يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من بين الاموات ﴿ ١٠ ﴾ وذهب التلميذان الى موضعهما

ما ابدع النظام الذي يبتدىء الرسل بحفظه فان يوحنا تبع بطرس وتشبّه به اي شاهده دخل ونظر فبعد خروجه دخل مثله . ولما لم يكونوا عالمين باقوال الانبياء المثبتة ان السيد المسيح يتألم ويقوم مجيداً من قبره اقتضت الحال ان يختبرا بنفسهما فحققا حدوث القيامة . اما المنديل المطوي جانباً فقد اخذه بطرس ليكون اكليلاً له كالغطاء الذي يضعه الاساقفة على رؤوسهم والذي جرت العادة بنسجه من الكتان اقتداء باكفان المسيح قيل ان نعماً وافرة وهبات سماوية جزيلة تأتت عن المنديل الطاهر وفي المعنى الروحي فسر وضع المنديل ناحية بانه رمز الى كلمة الله المتأنس والمحجوب عن نظرنا البشري . اما لفه وتدحرج الحجر فقد اجراهما الملاك على شبه مايصنع خدام الملك عندما يطوون له الثياب ويفتحون امامه الابواب .

﴿ في ظهور يسوع لمريم ﴾

﴿ ١١ ﴾ اما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي وفيما هي
تبكي انحنت الى القبر ﴿ ١٢ ﴾ فرأت ملاكين بثياب بيض جالسين حيث
وضع جسد يسوع أحدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين.

رجع التلميذان بعد ان ثبتت لهما القيامة . اما مريم فبقيت خارجاً تبكي لانها من الجنس المائل الى الحزن ثم أرادت أن تريح نظرها بمشاهدة داخل القبر والمحل الذي وُضع فيه الجسد فظهر لها جبرائيل خادم اسرار التأنس وميخائيل معه كلاهما بثياب بيض دالة على الافراح والمسرات . بخلاف الملائكة حاملي غضب الله وضرباته ليرموا بها المصريين فقد كانوا بهيئة لهيب نار آكلة لان وجه الله نار على الاثمة ونور للابرار الصالحين

﴿ ١٣ ﴾ فقالا لها يا امرأة لمَ تبكين . فقالت لهما انهم أخذوا ربي ولا
أعلم أين وضعوه ﴿ ١٤ ﴾ فلما قالت هذا التفتت الى خلفها فرأت يسوع
واقفاً ولم تعلم انه يسوع ﴿ ١٥ ﴾ فقال لها يسوع لمَ تبكين مَن تطلبين .
فظنت أنه البستاني فقالت له يا سيدي ان كنت أنت حملته فقل لي أين
وضعته وأنا آخذه

ان تسميتها بامرأة يقصد به انتهارها وردعها عن البكاء لانها تذرف الدموع على حي هو مصدر الحياة للآخرين وبينما كانت تتكلم مع الملاكين وتذكر بحرقة قلب سبب حزنها شاهدتهما قاما وسجدا فالتفتت وراءها لترى ما اوجب عليهما هذا السجود لا سيما وان من فقد شيئاً يصبح قلقاً وينظر يميناً وشمالاً ومن خلفه . وقال آخرون : بينما تنظر الملاكين بان لها ظل آتٍ من ورائها كما يحدث لمن ولى وجهه صباحاً عن الشمس فالتفتت لترى من هو وذهب فريق الى انها سمعت حركة خطوات فالتفتت

أو ان النور الخارج من القبر كان ساطعاً جداً حتى مالت بنظرها الى ما وراءهافوقعت عينها على من ظنته البستاني الذي يحرس المحلّ . ومخلصنا له السجود عمل على ان لا تعرفه حالاً لئلا يستولي عليها خوف كبير

﴿ ١٦ ﴾ فقال لها يسوع مريم . فالتفت وقالت له رابوني الذي تفسيره يا معلم ﴿ ١٧ ﴾ قال لها يسوع لا تلمسيني لاني لم أصعد بعد الى أبي بل امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم

سمى السيد مريم باسمها فعرفت الصوت ثم أنار عقلها بالهام سماوي وجعلها تتذكر ما قاله من قبل من انه سيقوم فتحققت اذ ذاك قيامته وتقدمت اليه كالى معلم وسمته بهذا الاسم مريدة ان تعامله بمقتضاه لا كاله فافهمها ان لا تلمسه وان ترى فيه رأياً آخر أسمى ولا تترك الفرح يمنعها عن ان تعلم انه اله حق وان حالته تغيرت عما كان من قبل ولئلا تسأله : أين تذهب وما تعمل أفهمها انه صاعد الى السماء وفوّض اليها ان تذهب الى تلاميذه الذين سمعوا بقيامته من الملائكة لا غير وآمنوا بدون ان يداخلهم ريب ما . وفسر بعضهم سبب تحريم اللمس ان مريم لم تكن معمدة فلا تستحق الدنو من المخلص وقال آخرون : ان المرأة ألقت آدم في المعصية فلا تستحق في شخص مريم المجدلية ان تدنو من آدم الثاني مجدّد النوع الانساني او ان الجسد الممجد بالقيامة يجب ان يحفظ نفسه من لمس الايدي . ورأى فريق ان رغماً عن نهي يسوع دنت المجدلية منه كما دنا توما ولاحظ تسمية يسوع لتلاميذه باسم اخوة لا بالطبع بل بالنعمة وكيف انه زاد في محبتهم فقبل صلبه لم يكن يدعوهم الا تلاميذ و رسلاً وأحباء اما الآن فقد انقلبت الحال وأصبح له المجد بكراً كما يسميه بولس الرسول في العائلة البشرية المتجدّدة و بالتالي صار الله الآب أباً للتلاميذ والبشر المؤمنين بالمسيح . وما أرذل المراطقة الذين يقولون اسم الاخوة بان المسيح انسان لا غير ولذلك قال عن الرسل

انهم اخوته . فمن أي آية اتخـذوا هذا التأويل حتى رسخ في ذهنهم . ألسنا ندعو المسيح دائماً في صلواتنا الهاً ورباً . ألسنا نذكره دائماً باسم السيد الخالق لنا من العدم وفادينا من المعصية . وان كان قد تنازل فسمانا اخوةً فلنشكره على محبته السامية وعلى اشراكه لنا بالنعمة الروحية التي تنقلنا من صفّ العبيد الى مقام البنـين : اما تسميته الآب الهه فما ذلك الا لناسوته ولبيان ذلك نقول ان الانسان الواحد او الشيء الواحد بعينه يمكنه ان يتخذ اسمين باعتبارين مختلفين . فاسماعيل بن ابراهيم مثـلاً يُدعى عبرانياً بالنظر الى ابيه وعبداً ومصرياً بالنظر الى والدته هاجر . وايضاً كل انسان يُدعى نفساً ويُدعى ايضاً جسداً مع انه ليس نفساً محضة ولا جسداً محضاً بل هو مركب من نفس وجسد كذلك الجمرة المركبة من نار وخشب تُدعى ناراً وتُدعى خشباً فالـكلام اذن تابع للمعنى الذي يراد به كاتباع الظلّ للجسم فان كان الجسم طويلاً تبعه ظلّه في الطول ايضاً . وان كان قصيراً يكون الظل قصيراً . وان تحرك الجسم تحرك الظل ايضاً وان كان الـكلام على الاشياء البسيطة كالملائكة كان دالاً على البسيط . وان كان على الاشياء المركبة كالانسان اوردناه دالاً على مركب كما اذا قلنا ان الانسان مائت وغير مائت فقبوله الموت باعتبار جسده الذي تفترق عنه النفس وعدم قبوله الموت باعتبار النفس الخالدة . كذلك الجمرة تكون خفيفة وثقيلة فخفتها لانها نار وثقلها لانها خشب . ولنأت الآن الى الكلام على السيد المسيح له المجد فانه مركّب من لاهوت وناسوت فهو ليس الهاً فقط ولا انساناً فقط بل من الاثنين يكمل المسيح الواحد . ولانه مركب يقتضي الحال ان يكون عنه الكلام مركباً فهو اذن مخلوق وغير مخلوق ومحدود وغير محدود ومنظور وغير منظور . فهو مخلوق ومحدود ومنظور بناسوته وغير مخلوق وغير محدود وغير منظور بلاهوته وهو متألم بالجسد وغير قابل الآلام بلاهوته . فهذه كلها نقولها عنه ولا نقسمه الى طبيعتين حسب رأي الخليقدونيين فمن ثمّ يتضح لك ان السيد سمى بحق الآب الهاً له من حيث الناسوت لا اللاهوت

﴿ ١٨ ﴾ فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ انها رأت الرب وانه قال لها هذا .

مضت المجدلية و بشرت التلاميذ بما رأت وسمعت وكانت بدلاً من حوّاء التي حملت الى آدم كلام الحية الغشاشة فأكل من الثمرة المحرّمة ومات اولاً موتاً أدبياً ثم فقدَ نعمة عدم الموت الماديّ اما المجدلية فحملت كلام الحياة الخالدة وكلام القيامة المجيدة التي كان للعالم من ورائها السعادة والهناء .

﴿ في ظهور يسوع لتلاميذه واعطائهم سلطان الحلّ ﴾

﴿١٩﴾ فلما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع والابواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفاً من اليهود جاء يسوع ووقف في وسطهم وقال لهم السلام لكم .

لم يرد مخاصنا حباً بتلاميذه ان يطيل غيابه عنهم ففي مساء الاحد عند غروب الشمس تراآى لهم وهم مجتمعون والابواب مغلقة وكان قصده السني ان يعزّي قلوبهم وألاّ يتزعزعوا في ايمانهم وهم معدون الى ان يكونوا يوماً عواميد كنيسته . وأول عبارة فاه بها كانت عبارة تأمين لضمائرهم المضطربة بسبب اضطهاد اليهود ومنذهذا الزمن جرت عادة الرسل بان يعطوا السلام عينه اقتداء برئيسهم الاعظم ولذلك نرى بولس في رسائله يكثر من السلام ويردده على المؤمنين

﴿٢٠﴾ ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ حين أبصروا الرب . ﴿ ٢١ ﴾ وقال لهم ثانيةً السلام لكم كما ارسلني الآب كذلك أنا أرسلكم . ﴿٢٢﴾ ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم . خذوا الروح القدس . ﴿٢٣﴾ من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم .

لم يظهر المخلص يديه وجنبه وجراحه لرسله الا لينفي من قلوبهم الظن انه خيال لا حقيقة ولم يكرر كلمة السلام الا ليزيدهم فرحاً ثم انه كالملك العظيم الذي يرسل جنوده الى ساحات الوغى فيشجعهم ويعطيهم السلاح اللازم لمقاتلة الاعداء. نفخ فيهم نفخة الروح ولم يعطهم هنا الروح القدس عينه بل استعداداً للقائه عما قريب لاجل ذلك لم يقل قبلتم الروح بل اقبلوا او خذوا الروح . ولا حرج على من يذهب الى ان في هذا الوقت أخذ الرسل السلطان الروحي لا على ان يقيموا الموتى ويأتوا بالمعجزات فقط بل على ان يغفروا الخطايا ايضاً . ولهذا المعنى قال له المجد : من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم . وبحصر المعنى يمكننا القول ان هنا اعطاهم سلطاناً على ان يغفروا الخطايا وبعد أربعين يوماً منحهم قوة على اقامة الموتى وصنع الآيات وبعبارة أخرى هنا رسمهم كهنة وسلطهم على سلطان الحل لا على عمل المعجزات . وقال فريق انه له المجد أعطاهم الروح ثلاث مرات اولاً عند ما أرسلهم الى الشعوب ثانياً هنا بعد قيامته ثالثاً في عيد العنصرة

﴿ في عدم ايمان توما ﴾

﴿٢٤﴾ وان توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوأم لم يكن معهم حين جاء يسوع ﴿٢٥﴾ فقال له التلاميذ الآخرون اننا قد رأينا الرب . فقال لهم ان لم أعاين أثر المسامير في يديه وأضع اصبعي في موضع المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن . ﴿٢٦﴾ وبعد ثمانية ايام كان التلاميذ ايضاً داخلا وتوما معهم فأتى يسوع والابواب مغلقة ووقف في الوسط وقال السلام لكم .

لما أعلم التلاميذ توما المسمى بالتوأم لولادته مع أخ آخر انهم عاينوا السيد مجيداً منتصراً على الموت والقبر لم يدخله الريب ولم يقل اني لا أومن البتة بل أشتاق ان

يرى أثر المسامير وان يتحقق مثلما تحققوا وان يضع يده في جنبه ليتحقق مثلهم لانهم هم أعلموه انهم رأوا أثر المسامير وتحققوا وهو لم يكن حاضراً اصلب السيد حتى يعرف أين كانت . وان سيدنا تأخر عن الظهور ثمانية ايام ليزيد توما شوقاً ومحبة وليدل بعدد ثمانية على العالم الجديد الذي يدخل فيه التلامذة وهو عالم الروحيات وحياة المولودين لعدم الفساد وفيه يلزم الجميع التجرّد من الآراء العتيقة المادية ومن العادات التي لا ترمي الاّ لاقتناء الراحة على الارض ثم انه دخل والابواب موصدة ليؤمن رسله وجميع من يأتي بعدهم ممن يتبعونه انه هكذا أيضاً خرج من احشاء والدته العذراء الطوباوية ولم يُفك ختم بكارتها وصعد من القبر من دون ان يكسر الختم الذي وضعه اليهود على الحجر

﴿٢٧﴾ ثم قال لتوما هات اصبعك الى ههنا وعاين يديّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً . ﴿٢٨﴾ أجاب توما وقال له ربي والهي .

قصد سيدنا توبيخ توما لقلة ايمانه وقال فريق ان أصبع الرسول كانت ملتصقة بأخرى فلما قال السيد : هاتها افترقت حالاً . واننا لا نقبل هـذا الرأي لان المسيح كان قد شفى كثيرين ومنهم ذو اليد اليابسة اما كان في امكانه ان يشفي أصبع تلميذه ثم ان توما أعطي موهبة الشفاء والمعجزات أما كان قادراً على اصلاح أصبعه . وأيضاً لما قال : ان لم أضع أصبعي في موضع المسامير أ كانت أصبعه ملصوقة فان الامر غير معقول وليس فيه شيء من الصحة لانها لو كانت ملصوقة لما ذكرها بهذا الايضاح . ثم ان توما عند ما لمس أمراً فوق الطبيعة قال من فوره : ربي والهي . وأسكت الخجل والسرور لسانه فكانت عبارته أبلغ من كل مقال غيرها

﴿ ٢٩ ﴾ قال له يسوع لانك رأيتني يا توما آمنت طوبى للذين لم يروا وآمنوا .

هذا تعليم سام من يسوع وهو ان الايمان موجب ان يقبل المرء غير المنظورات وان يعتقد بما يسمعه استناداً الى شهادة القائل لانه لا يضل الغير ولا يضلّ هو . ومن آمن بدون ان يرى الشيء ويختبره بنفسه يستحق الطوبى والسعادة فيكون في أموره واثقاً بعدم الشرود عن محجة الهدى بعيداً عن اهواء النفس الأمارة بالسوء ومن المعلوم ان ما أتاه سيدنا امام تلاميذه لتحقّق قيامته كان تنازلاً منه نحو ضعفهم .

﴿٣٠﴾ وآيات آخر كثيراً صنع يسوع امام التلاميذ لم تُكتب في هذا الكتاب ﴿٣١﴾ وانما كتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم اذا آمنتم الحياة باسمه

ان يوحنا كتب في انجيله القدر المعقول اللازم لغايته التي هي اثبات لاهوت المسيح وانه ابن الله فمن آمن بهذه الاشياء المكتوبة نال الخيرات وكان نصيبه من السعداء . وبقوله : صنع امام تلاميذه . يدلّ على عجائب كثيرة عملها له المجد بعد قيامته في الاوقات التي كان يتردّد فيها اليهم وكانت كلها موجهة لتثبيتهم في الايمان وفي الاتحاد مع يسوع وفي نعمته .

﴿ الاصحاح الحادي والعشرون ﴾

﴿ في ظهور الرب لبعض تلاميذه على شاطئ البحر ﴾

﴿ ١ ﴾ وبعد ذلك أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية وهكذا ظهر لهم . ﴿ ٢ ﴾ كان قد اجتمع سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه . ﴿ ٣ ﴾ فقال لهم سمعان بطرس أنا ذاهب لأصطاد . فقالوا له ونحن أيضاً نجيء معك فخرجوا وركبوا السفينة ولم يصيدوا في تلك الليلة شيئاً .

كان المسيح يترآى من مدة الى أخرى لتلاميذه وما كان قد خوّلهم عمل شيء ولا كان الروح القدس قد حل عليهم او علّمهم الحقائق فرجعوا الى الصيد الذي كان مهنتهم وكانوا يزاولونه في الليل لخوفهم من اعداء الفادي فاتاهم يسوع بعد ان كان التعب قد أنهكهم ولم يصيدوا طول الليل شيئاً . وافهم بالاثنين اللذين لم يذكر الانجيلي اسمهما اندراوس وفيلبّس . اما ركوب السفينة في المعنى الروحي يدل على علو السيرة والصعود في سلم التقوى كما ان عدم الصيد رغماً عن التعب يشير الى ما احتمله الانبياء من المشقة مع الشعب الاسرائيلي وايضاً القيام في الليل هو رمز الى خدمة الناموس والى السيرة الاولى المادية التي سارها بنو البشر في ظلام المعصية .

﴿ ٤ ﴾ فلما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولم يعلم التلاميذ انه يسوع . ﴿ ٥ ﴾ فقال لهم يسوع يافتيان هل عندكم شيء من المأكول فقالوا لا .

الصبح يطرد الليل وهو موافق لظهور المسيح لانه نور السماء وشمس البرارة والملاشي لخدمة الناموس التي لم يجد فيها الانبياء قوتاً لنفوسهم . وان سألت لأي الاسباب لم يعرف الرسل معلمهم وهم عاشوا معه مدة طويلة ؟ أقول مجاوباً لانهم غير كاملين ولهذا المعنى دعاهم بكلمة فتيان مع انهم في السن شيوخ فقد نقصوا من المعرفة الكاملة وبدّلوا وظيفة الرسول بمهنة الصيد . والصبوة على ثلاثة أنواع اولاً تقال عن الزمان الماضي ثانياً عن عدم المعرفة ونقصان الجدّ في الانسان ثالثاً عن السن وفي هذا المعنى دُعي يسوع صبياً . وأيضاً الشيخوخة تُقال عن الزمان الاخير وعن كمال المعرفة وعن السنّ وقد دُعي الرسل صبياناً في المعنى الثاني

﴿ ٦ ﴾ فقال لهم ألقوا الشبكة من جانب السفينة الأيمن فتجدوا فألقوها فلم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك .

ظهر يسوع كالانسان او كن يريد ان يشتري سمكاً ثم عمل وقال كله فنقل الرسل والناس من الشمال المرموز به الى شريعة موسى الى اليمين الدالّ على شريعته السامية المانحة اليمن والاقبال والسعادة . وقد كان الناس في الناموس كن على عين بصيرته او قلبه غطاء لا يقدرون على اصطياد الراحة فاذ نقلهم له المجد الى ناموسه وأسمعهم كلمته وأراهم معجزاته فاضت لهم خيرات السعادة والهناء وقد تعب العالم في ليل الناموس فما وجد شيئاً اما في صباح الانجيل فما ألقى شبكته اي فما أراد اتباع المسيح واغتنام خيره حتى وجد كل ما أراد وأكثر . واستفدْ هنا مامفعول الطاعة وثمارها اللذيذة اذ لم يطع الرسل صوت الرئيس حتى نالوا سمكاً كثيراً ثم لا يحضر الله في مكان ويعمل فيه الا ويشعر الانسان بوجوده وعنايته ولذلك عرف الرسل ان مخاطبهم هو الرب .

﴿ ٧ ﴾ فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب . فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب ائتزر بثوبه لأنه كان عرياناً وطرح نفسه في البحر . ﴿ ٨ ﴾ وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة ولم يكونوا بعيدين من الأرض الا نحو مئتي ذراع وهم يجرون شبكة السمك .

ان يوحنا عرف سيدنا قبل بطرس لانه كان بتولاً وتأثير البتولية في الانسان انها تجعله ماهراً في معرفة الالهيات وان يرى الله حالاً لاول نظر ثم ان يوحنا كان قد تفرّس في مخلصنا عند ظهوره في العلية فعرفه الآن بدون ابطاء اما بطرس فلم يجسر ان ينظر اليه اذ ذاك بسبب الخجل المستولي عليه من جرى كفره الماضي الا انه الآن انقاد لحرارة المحبة وما صبر ان يأتي بالسفينة بل طرح نفسه في البحر بعد ان لبس ثوبه وعادة الصيادين ان يقوموا في البحر بدون ثياب . واعلم ان وجود السفينة في الساحل غير بعيدة عن الشاطئ وغير متوغلة في البحر الى الاعماق حيث لا يوجد صيد كثير يعني ان الشعوب التي تُصاد لبشارة الانجيل غير غارقة في العالم الذي يمثله البحر وغير

متوغلة في ملاهيه . أما الشبكة فهي رمز الى الكنيسة التي جمعت فيها بني البشر وأصعدتهم من الجهل الى المعرفة وانتشلتهم من ظلمة عبادة الاوثان الى نور الثالوث الاقدس والايمان به

﴿٩﴾ فلما نزلوا الى الارض رأوا جمراً موضوعاً وسمكاً عليه وخبزاً . ﴿١٠﴾ فقال لهم يسوع قدموا من السمك الذي اصطدتم الآن . ﴿١١﴾ فصعد سمعان بطرس وجر الشبكة الى الارض وهي مملوءة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة .

ماعمله من المعجزات هو : ١ً صيد السمك الفجائي ـ٢ً . عدم تمزّق الشبكة مع كثرة الحيتان التي فيها ـ٣ً . اشتعال النار ـ ٤ً . وجود الخبز مع السمك المشوي . وفي المعنى الروحي طلب المسيح ان يُقدم من السمك المصطاد يدلهم على انه سيطلب منهم النفوس التي هدوها ووضعوا فيها محبته ونعمته . ثم صعود بطرس الى الشاطئ اولاً يُعلم انه يجب ان يكون الاول في البشارة بالانجيل ويعتني جزيل الاعتناء باصعاد الناس من الغرق ليقودهم الى ارض الميعاد . ثم في عدد المائة والثلاثة والخمسين تدلّ الثلاثة على الاقانيم الثلاثة التي يلزم ان يؤمن بها من يُصادون باكرازة الى البيعة . وتدلّ المائة على كثرة الشعوب الذين يؤمنون بالمسيح . اما الخمسون فانها تعني الشعب اليهودي الذي لم يهتدِ كله . وقال أريجان ان عدد المائة والخمسين يعني المائة والخمسين مزموراً والثلاثة رمز الى التسابيح الثلاث في التوراة وقد أضيفت الى المزامير لتكون معه جملة واحدة

﴿١٢﴾ فقال لهم هلموا تغدوا . ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت لانهم علموا انه هو الرب ﴿١٣﴾ فتقدم يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك ﴿١٤﴾ هذه مرة ثالثة ظهر فيها يسوع لتلاميذه من بعد

ما قام من بين الاموات .

سكت التلاميذ لانهم تأكدوا انه المخلص فاخذوا يتأملون في اعمال محبته وعنايته وكانوا يرغبون شديد الرغبة في ان يلقوا عليه أسئلة كثيرة فصدوا عن ذلك لخوفهم الاحترامي منه ولما لم يمدوا يداً الى الاكل تناول هو واعطاهم ليأكلوا ولم يبارك الخبز ولا رفع عينيه الى السماء قبل تقدمته كما فعل من قبل . وتبعاً لرواية يوحنا كانت هذه المرة هي الثالثة التي ترآى لهم فيها والاولى كانت في مساء يوم القيامة ثم الثانية بعد ثمانية ايام من القيامة عينها . الاّ انه لاسمه السجود ظهر لهم بعد ذلك عدّة مرات . وربما اراد الانجيلي ان يدل على المرات الثلاث التي ظهر يسوع فيها لكل تلاميذه واكل فيها ايضاً ليثبت لهم صدق قيامته وانه هو عينه لا خياله الظاهر لهم .

﴿ ١٥ ﴾ فبعد ما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء . قال له نعم يارب أنت تعلم أني أحبك . قال له ارعَ خرافي . ﴿ ١٦ ﴾ قال له ثانية يا سمعان بن يونا أتحبني . قال نعم يارب أنت تعلم أني أحبك . قال له ارع خرافي . ﴿ ١٧ ﴾ قال له ثالثة يا سمعان ابن يونا أتحبني . فحزن بطرس لانه قال له ثالثة أتحبني فقال له يارب أنت تعلم كل شيء وأنت تعلم أني أحبك . فقال له ارع غنمي .

شاء مخلصنا ان يفهم بطرس ان الاهتمام بخير القريب يرضي الله فوق كل شيء ولذلك سأله هل يحبه فاجاب الرسول بجواب حكيم مبيناً ان سائله فاحص القلوب والكلى وعارف بمحبة المسؤول منه اكثر من سواه . ثم لان بطرس الرسول كان قد كفر بمعلمه لذلك عزاه السيد بقوله ارعَ خرافي واخبره بان كفره قد غفر الاّ ان التعزية

هذه كادت تتحوّل خوفاً وكآبة عند ما ردد يسوع سؤاله ثالثة فظن الرسول انه سيسمح له بسقوط آخر كما حدث قبل الموت والصلب ولذلك لم يُجب بغير كلمة : انت عارف يا سيد. وقد اعنى مخلصنا بالخرفان بعد السؤال الاول الصبيان الطاهرين الذين هم في سن الادراك والفهم وبالكباش بعد السؤال الثاني الرجال الذين بلغوا اشدّهم من العمر وبالنعاج بعد السؤال الثالث النساء الامهات وانتبه الى ان يسوع راجع سؤاله ثلاثاً ليوضح بذلك ان امر رعاية خرافه وكباشه ونعاجه لعظيم بالغ في الخطورة . ولم يقل له صم وصلّ . بل ما عدا ذلك أوجب عليه ان يكون راعياً يهتم بالشؤون وينفع بعمله رعيته .

﴿ ١٨ ﴾ الحق ألحق أقول لك أذ كنت شاباً كنت تمنطق نفسك وتذهب حيث تشاء فاذا شخت فستمد يديك وآخر يمنطقك ويذهب بك حيث لا تشاء . ﴿ ١٩ ﴾ وأنما قال هـذا دالاً على أية ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها . ولما قال هذا قال له اتبعني .

مفاد نبوّة السيد لسمعان هو هـذا : لم تفكر في شبابك الا بالعالميات اما في شيخوختك التي بلغت ببلوغها الكمال فيلزم ان تفكر فيما يريده سيدك وانما يريد ان تتشبه به في احتمال الصلب ولذلك ستمـد يديك على خشبة فيربطها آخر ويربط معهما حقويك وتصلب لاجل بشارتي . واني عارف بصدق محبتك وبرضاك بالصلب لاجلي ـ وأول الذهاب ببطرس حيث لا يشاء بمخالفة المحبة المغروسة في طبع الانسان بالنظر في الحياة الزمنية وباكراه النفس على مفارقة الجسد الذي تبتعد عنه ضد ارادتها. ومما يلزم اعتباره كل الاعتبار ما قاله الانجيلي من ان موت بطرس مصلوباً لاجل المسيح هو تمجيـد لله وتعظيم لشأنه العالي . وقد امر نيرون بقتل بطرس على صليب فطلب هذا في تواضعه ان يتم صلبه رأسه من أسفل ورجلاه من فوق لانه لا يستحق شرف اجراء صلبه كما وقع للمسيح سيده . ولما اتم يسوع نبوته قال لتلميذه : اتبعني ليدله على العناية التي يشمله بها والالتفات السامي الذي سيواصله نحوه .

﴿ ٢٠ ﴾ فالتفت بطرس فرأى التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه وهو الذي كان اتكأ في العشاء على صدره وقال يارب من الذي يسلمك .
﴿ ٢١ ﴾ فلما رآه بطرس قال ليسوع يارب ما لهذا . ﴿ ٢٢ ﴾ قال له يسوع أن شئت ان يثبت هذا الى أن أجيء فماذا لك. أنت اتبعني. ﴿ ٢٣ ﴾ فذاعت
ذه الكلمة فيما بين الاخوة أن ذلك التلميذ لا يموت . ولم يقل يسوع أنه يموت بل أن شئت أن يثبت الى أن أجيء فماذا لك .

ما كاد يوحنا يسمع دعوة يسوع لبطرس بان يتبعه حتى لحقهما ولم تكن دالته على المعلم الالهي قد نقصت شيئاً لا ان دالة بطرس زادت زيادة كبرى وفاقت الآن ما سواها فسأل بطرس : يا سيد اي موت يموته هذا . مشيراً الى يوحنا التابع عن قرب فكان جواب يسوع ان لا يطلب منه بطرس شيئاً يخرج عن دائرة رضاه وان ماعلى بطرس من الواجب الا السير مع المسيح فظن الرسل الآخرون هذا الجواب معلناً ببقاء يوحنا حياً وما كان ظنهم بالملاقي للصحة والصواب والتأويل الحسن لان سيدنا لم يقل ان يوحنا لا يموت بل انه سيدبر كل رسول تدبيراً خاصاً نافعاً له دون غيره . وقد عاش يوحنا الرسول ثلاثة وسبعون سنة بعد صعود الرب . ثم انه عليه السلام مات موتاً طبيعياً بعد كل الرسل وذلك في زمان طريانوس .

﴿ ٢٤ ﴾ وهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور وهو الكاتب لها وقد علمنا أن شهادته حق.

يخبر [illegible] ا انه كتب الاخير بعد اخوته وانه عرف الامور بذاته لانه كان لها شاهداً عيانياً فما اولى كلامه بتصديقنا ومن الاكيد الذي يلزم العاقل ألا يرتاب فيه ان يوحنا ألهمه الروح القدس بكتابة كل ما كتبه عن سيدنا وأثبت ذلك بعدمهوه وقد

نظرت فيما مر ان الانجيلي يردد انه هو الشاهد على صحة الحوادث التي يرويها في كتابه فكان اذن ديدنه التحقيق والضابط له الصدق .

﴿ ٢٥ ﴾ وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع لو أنها كتبت واحدة فواحدة لما ظننت ان العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة .

ادعى يوليانوس و برفوريوس ان بيان يوحنا في انجيله كاذب لانه : قال ان ما صنعه المسيح في سنتين وخمسة اشهر وهي المدة التي علم فيها . لو كتب وحررت روايته لما كان العالم يسع صحفه المكتوبة فنجيب هذين المخرقين ان يوحنا قصد بالعالم الناس الاشرار بدليل انه قيل: ان اركون العالم اي الشيطان رئيس الاشرار يطرح خارجاً وايضا العالم يفرح وانتم تحزنون اي أناس السوء والمكر يسرون وانتم تحف بكم الكآبة فهؤلاء الاشرار لا يقوون على ان يسعوا في عقولهم وادراكهم المظالم افعال يسوع وكلامه الالهي . فهم عاجزون على ان يضبطوا في قلوبهم كتب الآداب الاولية فباولى حجة لم يمكنهم ان يفقهوا الكتب الحاوية للاسرار السماوية . وعجزهم انما صادر عن عدم ايمانهم وتصلبهم في الشر واختيارهم للكذب . ويمكننا ان نقول ايضا ان كتبة الانجيل لا يخبروا بامور عديدة صنعها السيد لانها من العظائم التي يدهش منها بنو البشر ولا يقوون لضعف ايمانهم على تصديقهـا ومن ذلك ما رواه القديس ديونيسيوس في رسالته الى تيموثاوس كما يشهد بطرس الاسكندري في ميمره على اللاهوت من ان السيد المسيح ترآى من بعد صعوده للرسل عندما كانوا مجتمعين وهـذا الحادث ليس بمكتوب . وايضا لم يروِ احد شيئاً عن حالة من قاموا من القبور وقت الآلام المخاصة فما كانت نهاية امرهم ؟ فاننا لا نعلم . وايضا ما كتب الانجيليون عن الاسرار السبعة . وهذا مما يستدل منه انه ما عدا الكتب المنزلة المكتوب فيها حوادث وحالات عديدة يوجد التقليد الرسولي المتواصل في الكنيسة و بالتالي يصدق قول يوحنا بأن يسوع صنع اشياء اخرى لم يكتب عنها وفسر بعضهم هذه الاشياء بانها مختصة باللاهوت ولو كتب

عنها لما ادركها عقل البشر . ومن الـكذب الفاحش أن يقال أن في جسم انجيل يوحنا اشياء ليست من يد الرسول عينه بل زيدت لتأويل كلامه او شرحه كالقول ان ملاكاً كان ينزل و يحرك المــاء . لان عندنا نحن السريان كما عند اليونان والرومان والارمن لا نعد ذلك اجنبياً عن الآيات المنزلة . ومن اين هذا الاتفاق العجيب لو لم تكن هذه الآيات موضوعة من يد الرسول .

وصلنا بفضل الله الى هــذا الحد من القول وقد تتبعنا تفاسير القديسين العلماء وشرحنا فصول الاناجيل الاربعة فصلاً فصلاً واوضحنا الآيات تدريجاً وازلنا شيئاً من غوامضها بقدر ما منّ الله واعنا في اجتهادنا. وانت ايها القارىء حبيب الله صلِّ لاجل ديونيسيوس المعروف بابن الصليبي الذي ما ونى في خدمة الكلمة على قدر طاقته فقد كمل الآن تفسير انجيل يوحنا ولله المجد آمين .

هذا وقد وقع بعض اغلاط مطبعية لا تخفى على فطانة القراء